الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس/ سيدي بلعباس

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم: اللغة العربية وآدابها

أساليب التصوير في السور المكية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي

تخصص: الشعر العباسي في ضوء المناهج النقدية الحديثة

إعداد الطالبة:

- طراشي حليمة

إشراف الأستاذ:

- أ.د الأحمر الحاج

لجنة المناقشة

■ د. مويلح سمية	أستاذة محاضرة –أ–	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
■ أ.د.الأحمر الحاج	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
■ د.فريحي مليكة	أستاذة محاضرة –أ–	جامعة مستغانم	عضوا مناقشا
■ د.بن بغداد أحمد	أستاذ محاضر –أ–	جامعة تسمسيلت	عضوا مناقشا
■ د. بن ضياف كريمة زهرة	أستاذة محاضرة –أ–	جامعة سعيدة	عضوا مناقشا
■ د.سعدوني عتيقة	أستاذة محاضرة –أ–	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2019–2020

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أول الشكر لله تعالى

الذي أحاطنا بعنايته الإلاهية، ويسّر لنا كل عسير،

وألهمنا الصبر والقوة

في شق الطريق نحو البحث العلمي.

خالص الشكر والتقدير وعظيم الامتنان إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور" الأحمر الحاج"،

لما أبداه من حسن رعاية ورحابة صدر، وروح علمية مخلصة، وما قدّمه لي من نصائح وتوجيهات قيّمة.

كل الشكر والامتنان للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة.

أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، إلى الذين مهّدوا لنا طريق العلم والمعرفة، فكانوا لنا نِعم المثال والقدوة جميع أساتذتنا الأفاضل وأخصّ بالذكر الأساتذة الكرام:

"أد. ملاح بناجي" و"أ.د فرعون بخالد"

و"أ.د منصوري مصطفى".

جزيل الشكر والتقدير لرئيس المشروع الأستاذ الفاضل

"أ.د صبار نور الدين"

الذي أتاح لنا هذه الفرصة الثمينة .

إلى كل من نسيهم قلمي ولم ولن ينساهم قلبي.

إهـــداء

إلى من كلّت أنامله ليقدم لي لحظة سعادة،

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهّد لي طريق العلم،

إلى من غمرني بعطفه وحنانه ورعايته،

إلى القلب الكبير...

والدي العزيز أدامه الله تاجا على رأسي.

إلى من أرضعتني الحب والحنان،

إلى رمز الحب وبلسم الشفاء، إلى ملاكي في الحياة...

والدتي الحبيبة حفظها الله ورعاها .

إلى من كان تشجيعهم ودعمهم لي شمعة أنارت دربي،

إلى رياحين حياتي إخوتي.

إلى ضياء البيت وبهجته الكتاكيت الصغار.

إلى كل الأهل والأحباب والأقارب.

إلى كل من ساندني، ومدّ لي يد المساعدة من قريب

أو بعيد وخاصة الأستاذ والصّديق عمر شادلي.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

مقدمة

مقدمة

جعل الله تعالى في أقوامه لكلّ معجزة، ومعجزة نبينا محمد الذي تحدّى بها الله عزّ وجلّ البشرية أجمعين، هي القرآن الكريم، كما تحدّى بها من قبل جهابذة البلغاء وصفوة الأدباء، وفرسان البلاغة والبيان، فالقرآن الكريم كلام الله المعجز للخلق، نزل به الوحي الأمين على رسولنا الكريم محمد صلّى الله عليه وسلّم، الذي تعلّمه وعلّمه للنّاس، فكان يتلو عليهم آياته الباهرة، فمنهم من يلين قلبه، ومنهم من يقشعر بدنه، ومنهم من يعتصر فؤاده، فهو قلب خشونة الطباع عذوبة ولينا وسلاسة وقوة، وأورث العرب وضوحا في التفكير، ودقة في التعبير والتصوير، وروعة في الحجة، ولا شكّ أنّ سبب ذلك راجع إلى أسلوبه، وطريقة نظمه وبلاغته. والدليل على ذلك قوله تعالى: **(قُل لَّئِنْ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْءَانِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)** (**الإسراء، 88**).

ولعلّ تميّز القرآن الكريم بهذا الأسلوب يحمل في طياته من الصور والتراكيب والتعابير واختيار الألفاظ، إضافة مهمة للغة العربية التي كان القرآن سببا من أسباب خلودها. فقد كان نزوله بلسان عربي أعجز الفصحاء والبلغاء بفصاحة ألفاظه، وروعة بيانه، وأسلوبه الفريد الذي لا يشابهه فيه أسلوب، لا من نثر ولا من شعر. وكذا مسحته اللفظية الخلّابة التي تتجلّى في نظامه الصوتي وجماله اللّغوي وبراعته الفنية.

فالعرب وجدوا بين أيديهم منهلا عذبا صافيا يفيض عليهم من سحره وإعجازه وبلاغته وفصاحته وطلاوته وحلاوته فنهلوا منه وانتزعوا معانيه وأغراضه وأسلوبه وألفاظه،مع أنّهم كانوا على درجة من البلاغة، استطاعوا بها الوقوف على أساليب الكلام والتربّع على عرش البيان، ومعرفة وجوه اللغة وتصريفها، وما يمكن به تصوير ما يقوم في أذهانهم وأنفسهم، ومع ما أوتوا من هذه

القوّة في الفصاحة، والحجّة في البيان، والقدرة على التصوير، إلّا أنّه كان على درجة من البلاغة لا قبل لهم بها.

إنّ لغة القرآن هي المثل الأعلى في البيان، وفي روعة التعبير وعظمة التصوير، فقد تدفقت بأسلوب مبدع لا عهد للأسماع بمثله، فلا هو موزون مقفى، ولا هو مرصّع مسجع، ولا هو مرسل يطّرد أسلوبه دون تقطيع أو تسجيع، وإنّما هو آيات مفصّلة متناسقة، تروع الخيال بما فيها من تصوير بارع وتسحر الوجدان بما فيها من منطق ساحر.

ثمّ إنّ دراسة خصائص أساليب القرآن يبرز سماته ومظاهره وما يتميّز به عن غيره، ومعرفة ما اختص به أسلوبه من بديع التراكيب، وتنوّع التصاريف، وسموّ الألفاظ، وثراء المعاني، وجمال التعبير يغني الدارس له في تحصيل هذه المعاني والانتفاع بها، ولاشك أن يكون له الأثر البالغ على فكره وطريقة تعبيره، وتحسّن أسلوبه.

وقد وقع هذا التأثر في ألفاظ اللغة وأسلوبها، وفي فنون الآداب المختلفة، ولعلّ من أبرز ما اختص به أسلوبه أنه يوافق موافقة تامة نفسية المخاطب في تأدية الأغراض المنشودة الفاضلة، جاءت آياته مؤدية لمعانيه وأغراضه، ومطابقة للأجواء الذهنية والوجدانية للمخاطبين، فعبارات القرآن فيها من الفصاحة والبلاغة، والحقيقة والمجاز، والتشبيه والاستعارة والكناية، ومن زينة لفظية، وحلية معنوية، ما يجعل الكلام هادئا مريحا في مواقف اللّين، وعنيفا صارخا في مواقف العنف، لأنّه يخاطب في البشر قلوبهم وأفئدتهم ومشاعرهم وكيانهم، كما يخاطب عقولهم وألبابهم.

ولذلك تنوّعت أساليب القرآن الكريم بتنوّع الحالة والموضوع، وباختلاف مستوى الوعي الوجداني والنفسي للمخاطبين في تناسق دقيق، وانسجام لطيف. وخاصة الجزء المكي من القرآن الكريم. فما هي الخصائص الأسلوبية والموضوعية التي ميّزت السور المكية عن السور المدنية؟ وهل

يمكن أن تكون هناك خصائص أخرى تخص أساليب التصوير البياني بما فيها من مجاز واستعارة وتشبيه وكناية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات جاء اختياري لهذا الموضوع "أساليب التصوير في السور المكية"، لأنّ الموضوع من أجلّ ما يمكن أن يصرف فيه الباحث وقته وجهده، لأنّه متعلق بكتاب الله عزّ وجل، وهو أعظم ما توجهت إليه الأنظار، وصُرفت إليه الأبصار، فأسلوبه قوّة في التأثير، مصدرها جمال في التعبير، ودقة في التصوير، جسّدها في قالب من الصور البيانية، التي تبعث في النظم قوة التأثير بنفوذها إلى الذهن، وتسرّبها منه إلى أعماق القلب، فتخاطب فيه العقل والعاطفة.

فالبلاغة القرآنية تقف عند نظم الأسلوب، وما يتبعه من كلمات وجمل وعبارات في نسق أصيل ينبض بشتى ألوان التعبير، وتلك هي لغة جمال التصوير القرآني، وللبيان منزلة عظمى في سماء البلاغة؛ لتشعب مباحثه، وكثرة أبوابه وفصوله التي من شأنها أن تُبرز المعنى وتظهره في أبهى حلّة، وأحسن صورة، لما يتميّز به هذا العلم من إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، وما يُمدّ به المتكلمَ من شتى فنون التعبير الجميل عن المعنى القائم في نفسه، ليتخير منها ما يشاء في إظهار مقاصده ومعانيه، من تشبيه ومجاز، وكناية وتعريض، وهذا مكمن حُسن هذا الفن، وخاصية تميّز بها عن سائر علوم البلاغة.

ولكلّ عمل منهجية، فهي بمثابة القارب الذي يمتطيه القارئ، حيث اتبعت في دراستي للموضوع المنهج التكاملي الذي يقوم على استثمار مناهج عدّة كالمنهج التحليلي القائم على تحليل الآيات القرآنية بناء على التفاسير، وهذا الأمر من الأهمية بمكان في الدراسات البلاغية، فمهم جداً أن تُعنى الدراسات البلاغية بالجانب التطبيقي، فإن في ذلك ثباتاً للقاعدة في ذهن المتلقي، ونشاطاً لعقله، وطرداً للسآمة والملل، ويضاف لها المنهج التاريخي الذي أسعف الدراسة

بتتبعه لجذور هاته الصور البيانية، كما لا تخلو الدراسة من المنهج الوصفي الاستقصائي متمثلا في تتبع الأساليب البيانية في النص القرآني.

واقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة وأربعة فصول:

أما المقدمة فبينت فيها أهمية الموضوع ودواعي اختياره، وأهم ما تميز به عن غيره من الدراسات ومنهج الدراسة، وخطة البحث، وكذا المصادر التي اعتمدت عليها.

بعدها قسمنا الأطروحة إلى أربعة فصول:

عنونا الفصل الأول بالبعد الدلالي للسوّر المكيّة والمدنية في الخطاب القرآني، وقد أحطنا قدر المستطاع بهذا الجانب النظري من حيث: (الضوابط التي يعرف بها كل من المكي والمدني، دلالة المكي والمدني، وخصائص السور المكية).

أمّا الفصل الثاني من الأطروحة خصصناه لدراسة الأسلوب المجازي بعنوان "أسلوب المجاز في النص القرآني المكي" وأهم علاقاته في القرآن الكريم، باعتباره من أحسن الوسائل البيانية إيضاحا للمعنى، ولشغف العرب باستعماله، فقد زيّنوا به خطبهم وأشعارهم، لما فيه من الدّقة في التعبير. وكذا الاستعارة بأنواعها، فهي الأخرى بلغت حد الإعجاز في القرآن الكريم ،كونها لون من ألوان التصوير التي اتخذها، وأداة من الأدوات المفضلة في التعبير عن معانيه.

فيما تناول الفصل الثالث أسلوب التشبيه في النص القرآني المكي، لما له من أهمية وأثر في الكلام، ومنزلة في البلاغة بعامة، فهو من أبلغ أساليب البيان وفنونه، وأحسن طرق التصوير، وأشدّها تأثيرا، وأبلغها أثرا في النّفوس، ولأمر ما شغفت به العرب، وأكثرت منه في كلامها، لأنّها وجدت فيه حسن الإيضاح والبيان، وتنفرد تشبيهات القرآن الكريم بعدّة خصائص تميّزها عن غيرها، فهي آية في البلاغة والجمال، وقوّة في التصوير والتأثير في النّفوس لما لها من مقاصد

عظيمة، وأسرار بلاغية سنكتشفها من خلال الوقفات التحليلية البلاغية لبعض سور القرآن الكريم.

أمّا الفصل الرابع خصصناه لدراسة أسلوب الكناية في النص القرآني المكي. ولهذا الأسلوب أثره الخاص الذي يُميزه عن غيره من أساليب البيان، فقد كانت ولا زالت الميدان الفسيح الذي يتسابق فيه البلغاء، وتتفاوت فيه قدراتهم، وتتباين فيه منازلهم، وتكمن بلاغتها في إعطاء الحقيقة بالدليل، مع روعة التعبير، وجمال التصوير، حيث تعكس كلّ كلمة جمالا تصويريا يترك تأثيرا خاصّا في نفوسنا، من خلال إيحاء الكلمة بالصور البلاغية التي تنبض بالكثير من دلالاتها الموحية. وهي حقيقة لا يدركها إلّا من تذوّق حلاوة القرآن الكريم.

وزُيّن البحث بخاتمة كانت ثمرة لما قدمناه في ثنايا هاته الفصول.

ولا يخلو أي بحث علمي من بعض الصّعوبات والعراقيل التي تقف عائقا في طريق الباحث، وإن كانت هي التي تنميه، وتعطي الباحث المتعة واللذة، ليصل إلى النتائج التي رسمها، وتبعد عنه الملل والسؤم.

ومن بين الصّعوبات التي واجهت طريقنا صعوبة الموضوع التي تتعلق بالمصطلح القرآني، فهو كلام الله المحكم ولا مجال لنا في مناقشته، أو إبداء الرأي فيه، و ما كان زادنا منه إلّا كمثل الغراب الذي نقر نقرة أو نقرتين من هذا البحر، الذي لا يُعرف قاعه، ولا تُدرك جوانبه، فمن المستحيل أن يحصل الغواص على كلّ ما يتمنّاه بطريقة مرضية، بل ربّما ينسى فيترك شيئا مفروض الإتيان به، وربّما يأتي بشيء لا يُطلب، وما زاد حيرتي قلّة علمي أمام هذا البحر المواج . كما يُضاف لها قلّة الدراسات التطبيقية التي تشتغل على هذا الموضوع.

ورغم ذلك إلّا أنني حاولت جاهدة للإلمام ببعض جوانب الموضوع، معتمدة في ذلك على مجموعة من كتب البلاغة والتفاسير وغيرها. ومناي أن أكون قد وُفقت ولو قليلا في مسعاي. فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان.

الطالبة طراشي حليمة

سيدي بلعباس، 15-05-2020

الفصل الأول:

البعد الدلالي للسور المكية والمدنية في الخطاب القرآني

توطئة.

أوّلا: دلالة المكي والمدني عند العلماء.

ثانيا: الضوابط التي يعرف بها كل من المكي والمدني.

ثالثا: الخصائص الأسلوبية والموضوعية للسّور المكية.

رابعا: الخصائص الموضوعية والأسلوبية للسور المدنية.

توطئة:

القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم حميد، نزل بأفصح ما تسمو إليه لغة العرب من خصائصها العجيبة وما تقوم به، وقد طلع على العرب الأقحاح بألفاظ وتراكيب وموضوعات لم يعرفوها من قبل، وظلّت آياته على امتداد الحقب قوّة للخطيب وحلية للمنشئ، يرصّع بها كلامه فتتميّز بطلاوتها ونفاستها، كما تتميّز اللؤلؤة الفريدة في عقد من الجزع، فهو المعجزة الخالدة التي أبهرت الخطباء، وأفحمت البلغاء، وألجمت الشعراء.

ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوبه الخاص، أو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه، "فهو لم يخرج عن معهود العرب في لغتهم: مفرداتها، ونظمها، وقواعد صوغها، فمن حروف العرب تألّفت كلماته وتراكيبه، وعلى قواعده جاء نسجه وتأليفه"[1]، ومع هذا فقد أعجزهم، فهو حينما يخاطب العقلاء، إنما يخاطب فيهم عقولهم، كما يثير فيهم مشاعرهم وأحاسيسهم، بأسلوبه الفذ، وبيانه المعجز، وموسيقاه الساحرة، فيجعل المخاطب يتخيل المعنى المجرد صورة ناطقة يتحسس فيها الحركة والحياة.

إنّ للقرآن الكريم أوجه إعجازية كثيرة، والإعجاز البياني واحد منها، فأسلوب القرآن متناه في الروعة و الإتقان إلى حد عجز الخلق عن الإتيان بآية مثله؛ متميز في أسلوبه عما سواه، خارج عن معهود كلام العرب، ومن بين خصائصه نذكر ما يلي:

أولا: جريانه على نسق بديع خارج عن المألوف: فالقرآن ليس على أعاريض الشعر، وليس على سنن النثر، "إذ هو لا يلتزم السنن المعهودة في هذا ولا ذاك، ولكنك مع ذلك تقرأ بضع آيات منه فتشعر بإيقاع موزون من تتابع آياته، بل يسري في صياغته وتآلف كلماته، وتجد في تركيب حروفه تناسقا عجيبا... بحيث يؤلف اجتماعها إلى بعضها لحنا مطربا... على أنك تجد

[1]- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1: 1995، ص239.

ذلك في جميع آي القرآن وسوره، فكان أن انتهى الجاحدون منه إلى أنه السحر، واستيقن المنصفون منهم بأنه تنزيل من رب العالمين "[1].

فالقرآن ليس بالشعر لأن الشعر معروف بوزنه وقافيته وقانونه الخاص به، ولا هو بالسحر الذي يدعو إلى الخبث الموسوم بالكفر، فلا يمكن لكل منهما أن يسمو إلى كلامه سبحانه وتعالى، والدليل على ذلك إحساس قارئ القرآن بلذّة شديدة، وحب شديد عند استماعه لحروف القرآن المتتالية وكلماته العذبة التي تجمع بين اللين والشدة، والجهر والخفية، وبين الخشونة والرقة.

ثانيا: جريانه على مستوى رفيع واحد على الرغم من تنوع المعاني والموضوعات: وهي خاصية من أجلّ مظاهر الإعجاز في القرآن، "وهي أن التعبير القرآني يظل جاريا على نسق رفيع واحد من السمو في جمال اللفظ، ورقة الصياغة، وروعة التعبير، رغم تنقله بين موضوعات مختلفة من التشريع والقصص، والمواعظ، والحجج، والوعد، والوعيد، وتلك حقيقة ظلّت مستحيلة على الزمن لدى جميع من عرفنا وسمعنا بهم من فحول العربية والبيان... أما في كتاب اللّه فلا تجد الصياغة إ لا في أوج رفيع من الإشراق والبيان"[2].

فهذا الجمال اللغوي والنظام الصوتي يهزّ القلوب، ويحرّك المشاعر، على الرّغم من تنوّع موضوعات القرآن الكريم من تشريع إلى قصص إلى وصف... إلى غير ذلك، وطول نفسه في سوره وآياته.

ثالثا: صلاحية صياغته لمخاطبة الناس عامة على اختلاف ثقافاتهم وعصورهم: وهي خاصية أخرى ينفرد بها القرآن الكريم، إذ أنه على اختلاف مواضيعه، يخاطب جميع الأفهام، فيأخذ كل واحد منه قدر فهمه، فيعرف منه العلماء غير ما يعرف الجهّال، ثم يمتاز بعض العلماء

[1] محمد سعيد رمضان البوطي: من روائع القرآن الكريم. تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص111.

[2] . المرجع نفسه، ص114.

في المعرفة به عن بعض، ذلك أن للقرآن سطحا وعمقا وجذورا، وهو ما يفسر مرونة القرآن في التأويل بحيث يتّسع للآراء الكثيرة عبر العصور، مراعيا درجات الفهم على اختلافها. فيأخذ كلٌّ منه على قدر فهمه،[1] ومثاله قوله تعالى: ﴿**وَالخَيْلَ وَالبِغَالَ وَالحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَالَا تَعْلَمُونَ**﴾ (**النحل08**) "فأسلافنا لا يعنيهم من فهم هذه الآية إلا قوله: ﴿**وَالخيَلَ وَالبِغَالَ وَالحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً**﴾ فهو ما ينطبق على واقع حياتهم. فإذا قرأوا الجملة الموالية"ويخلق ما لا تعلمون "تاهوا بين تأويلات مختلفة، ويقرأها إنسان هذا العصر فلا يشك أن المراد بها وسائل الركوب الحديثة"[2].

فالقرآن الكريم يرضي العامّة والخاصّة، فإذا قرأوه أو قُرئ عليهم أحسّوا بجلاله، وذاقوا حلاوته، وفهموا منه ما يرضي عقولهم وقلوبهم، فهو كلام منزّه ليس ككلام البشر، إنّه كلام الله المنزّل على رسوله عليه الصّلاة والسّلام.

رابعا: ظاهرة التكرار للألفاظ والمعاني: ويقصد بها تكرار بعض الألفاظ أو الجمل، أو تكرار بعض المعاني كالأقاصيص والأخبار، والهدف من التكرار على مستوى الألفاظ، هو التأكيد وما يفيده من نكت بلاغية أخرى كالتهويل، والإنذار، والتجسيم، والتصوير. من ذلك قوله تعالى:﴿**الحَاقَّةُ مَا الْحاقَّةُ*وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ *كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادُ بِالْقَارِعَةِ**﴾ (**الحاقة1ـ 3**).

يفيد التكرار على مستوى المعاني تقرير المعاني خشية تناسيها لما ذكرت لأول مرة في موضع ما من القرآن. "كما أ نّ المعاني تخرج في قوالب مختلفة من الألفاظ والعبارات والصور والأشكال تفصيلا و إجمالا، وهو أمر جلي في إعجاز القرآن إذ لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا[3]." وفي كل مرة يكون التركيز على جانب معين من جوانب المعنى، ومثاله قصة نوح في

[1] ينظر، محمد الصالح الصديق: البيان في علوم القرآن. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1994، ص234.

[2] محمد سعيد رمضان البوطي: من روائع القرآن، ص ص116 - 117.

[3]. ينظر، محمد سعيد رمضان البوطي: من روائع القرآن، ص ص 117-118.

سورتي" هود و"القمر"، فالتصوير في كل مرة يفيد خبرا جديدا، ويشعر القارئ بالحاجة إلى كلا الأسلوبين، ذلك أن من الناس من تكفيه الخلاصة، فيهم من لا تكفيه بل يحتاج إلى التفصيل. لذا اقتضى الأمر أن تنصرف المعاني القرآنية في طرائق مختلفة من التعبير والبيان.

وإذا كان التصوير تثبيتا للظل الصامت، أو مجموعة خطوط وألوان متجمعة، تضع أمام القارئ لوحة قد تثير في ذهنه معنى من المعاني، أو تنقل إلى مخيلته مشهدا من المشاهد، فإن التصوير القرآني أوسع من هذا بكثير: فهو تحويل الحروف الصوتية الجامدة إلى ريشة تنبع من رأسها الأصباغ والألوان المختلفة، حسب الحاجة والطلب، لتحيل- بدورها- المعاني المعتادة إلى صور يتأملها الخيال، ويدركها الشعور، وتكاد العين أن تستوعبها قبل أن يستوعبها العقل. وهو- كما يقول صاحب كتاب التصوير الفني في القرآن: "تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل". وكذلك: "هو تصوير حي، منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة."[1] فالتصوير القرآني كما أنه يخرج المعاني الذهنية بصورة حسية، كذلك يخرج الحالات النفسية والمعنوية صورا شاخصة أو متحركة، ويعدل بها عن التعبير المجرد إلى الرسم المصور.

ويعرفه عبد الفتاح الخالدي بأنه: "إبراز الصور إلى الخارج فنيا، أو هو تحويل الأفكار التجريدية الجامدة إلى صور نابضة بالحياة والحركة، لإثارة الانفعالات والأحاسيس في النفس وأداته الفكر واللغة"[2] الواضح أنّ التصوير هو إبراز الصورة إلى الخارج بشكل فني، وأداته الفكر واللسان واللغة، فهو شكلي.

[1]. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، د.ط، د.ت، ص ص37- 38.

[2] ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي :نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988، ص74.

ولما كان القرآن هو محور الحركة الاجتماعية، وكان النّبي عليه الصّلاة والسّلام هو الرمز البشري الذي يحمل مشعل الدعوة، ويجسّد فيهم الإسلام بخلقه وسلوكه، وكان الوحي هو أداة التواصل بين السّماء والأرض، وهو أداة انتقال الرسالة من مصدرها الإلاهي إلى قلب النبي عليه الصّلاة والسّلام.

فمن الطبيعي أن يتوجه اهتمام العلماء والباحثين إلى معرفة المكي والمدني من الآيات لمواكبة مسيرة الدعوة، ولرصد ذلك التدرج المحكم للتشريع، من بدء الرسالة إلى نهايتها، ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلاّ عن طريق الرواية الصّحيحة عن الصّحابة والتابعين، "لأنّه لم يرد عن النّبي عليه الصّلاة والسّلام بيان للمكي والمدني ولم يكن المسلمون في زمانه بحاجة إلى هذا البيان، إذ هم يشهدون نزول الوحي ومكانه وزمانه وأسباب نزوله"[1]، ومن الثابت أنّ الصّحابة رضوان اللّه عليهم قد اعتنوا بالقرآن عناية فائقة، فكانوا يحفظون مشاهداتهم لنزول الوحي ويؤرخون كل آية بوقت ومكان نزولها.ثمّ يبدو لنا أن هذا التفريق ساعد العلماء على تحقيق ما يلي:

أ– تحديد خصائص كل من الآيات المكية والمدنية عن طريق الاستقراء والتّتبع من الناحية الموضوعية والأسلوبية.

ب– دراسة مراحل تاريخ الدعوة الإسلامية خلال المرحلتين المكية والمدنية، وتوثيق روايات السنّة النبوية المرتبطة كل الارتباط بالقرآن والسنّة النّبوية.

ت– معرفة الناسخ والمنسوخ من الآيات والأحكام، وهذا أمر كبير الأهمية.

[1] . مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب متو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1998، ص65.

أوّلا: دلالة المكي والمدني عند العلماء.

من المعلوم أن القرآن الكريم قد بدأ نزوله في مكّة، واستمر مدّة ثلاثة وعشرين عاما تقريبا، وهذه المدّة تنقسم إلى قسمين: مدّة إقامة النّبي عليه الصّلاة والسّلام في مكة قبل الهجرة، ومدّة إقامته في المدينة بعد الهجرة، ومن هنا تنوّع القرآن في مجموعه إلى مكي ومدني، وقد عُني العلماء والروّاة بتمييز هاذين القسمين عن بعضهما واستخراج خصائص كلّ منهما" فالمدني باتّفاق عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة ، وما عدا ذلك مكي باتّفاق".[1]

وللعلماء في تعريف المكي والمدني من القرآن اصطلاحات ثلاثة، وذلك يرجع إلى اختلاف أنظار المعرّفين، فمنهم من نظر إلى القرآن باعتبار مكان نزوله، ومنهم من نظر إليه باعتبار زمان نزوله، ومنهم من نظر إليه باعتبار حال المخاطبين به.

الاصطلاح الأول: من عرّفه باعتبار مكان نزوله عرّفه بقوله "أنّ المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة، ويدخل في مكة كل ما قرب منها من ضواحيها، كعرفات ومنى والحديبية، ويدخل في المدينة ما قرب منها، كبدر وأحد، ولوحظ في هذا التقسيم المكان"[2] وليس الزمان، ومن الصعب في ظل هذا التقسيم تطبيق الخصائص الزمانية المرتبطة بتطور الدعوة، حيث من الصعب دمج الآيات المكية التي نزلت قبل الهجرة والآيات المكية التي نزلت بعد الهجرة في إطار نسق واحد موضوعي وأسلوبي.[3] ويردّ على هذا التعريف أنّه غير حاصر لأنّه يثبت الواسطة، فما نزل عليه بالأسفار لا يسمى مكيا ولا مدنيا، وذلك مثل ما نزل بتبوك وهو قوله تعالى:﴿**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيهِمُ الشُّقَّةُ**﴾ (**التوبة 42**) وقوله في سورة الزخرف: ﴿**وَسْئَلْ مَنَ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُّسُلِنَا**﴾ (**الزخرف 45**) فإنّها نزلت ببيت

[1] . محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، ط1، 1995، بيروت، ص163.

[2] . مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب متو، الواضح في علوم القرآن، ص 63.

[3] - ينظر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المقدس ليلة الإسراء، ومثاله أيضا آية التيمم التي في سورة النساء، فإنّها نزلت على النّبي صلّى الله عليه وسلّم في بعض أسفاره[1].فمكان النزول ليس بالمقياس الذي يميّز بين القرآن المكي والمدني.

الاصطلاح الثاني: من عرّفه باعتبار زمن نزوله ،وهو الأشهر عرّفه بقوله**:** "أنّ المكي ما نزل قبل هجرته صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة، وهذا الاصطلاح هو أصوب وأشهر الاصطلاحات الثلاث وأولاها بالقبول، لأنّه يأخذ في اعتباره تاريخ النزول، ولهذا أهمية في معرفة الناسخ والمنسوخ، واستنباط الأحكام".[2] فالزمان يجسد المرحلة التاريخية ويعبر عنها، ومن اليسير في ظل هذا التقسيم تطبيق الخصائص الزمانية المتعلقة بكل من المكي والمدني، وهو تقسيم سليم من هذا الجانب، وييسر الأمر على الدارس والباحث. وعليه فآية: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً**﴾ (**المائدة04**) ضمن الآيات المدنية مع أنها نزلت بعرفة أثناء حجة الوداع.

الاصطلاح الثالث: من عرّفه باعتبار حال المخاطبين "فالمكي ما كان خطابا لأهل مكة، والمدني ما كان خطابا لأهل المدينة، وهذه الطائفة نظرت إلى أهل مكّة وقت التنزيل، فوجدت أنّ الغالب على أهلها الكفر، والمناسب لمخاطبتهم النداء بـ: "يا أيّها النّاس" أو "يا بني آدم"، وبما أن الغالب على أهل المدينة هو الإيمان، فإنّ المناسب نداؤهم ب**:**" يا أيّها الذين آمنوا" وعلى هذا فكل خطاب بدأ بلفظ "يا أيها الناس" فهو مكي، وكل خطاب بدأ بلفظ "يا أيها الذين آمنو" فهو مدني"[3]. ويعترض على هذا القول:

[1] . ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح**:** فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995، ص159.

[2] . مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب متو، الواضح في علوم القرآن، ص64.

[3] . المرجع نفسه، ص64.

أ . بأنّه غير ضابط ولا يفيد الحصر، لأنّ في القرآن ما نزل خطابا لغير الفريقين مثل قوله تعالى:**﴿يا أيّها النّبي اتّق اللهَ وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ﴾ (الأحزاب01).** الخطاب موجّه للنّبي عليه الصّلاة والسّلام، بأن يتّق الله بالعمل بأوامره، واجتناب محرّماته، ليكون قدوة للمؤمنين، ولا يطع الكافرين وأهل النّفاق.

ب . هذا التقسيم غير مطّرد، لوجود آيات مدنية صُدّرت بصيغة "يا أيّها النّاس" مثل سورة النّساء وأوّلها: **﴿يَا أَيّهَا النّاسُ اتّقُوا رَبَّكُمُ﴾ (النّساء01)**، خطاب للنّاس بمخافة الله، والالتزام بأوامره، واجتناب نواهيه.

وكذلك سورة البقرة مدنية وفيها: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ (البقرة21)**. هو نداء من الله لعباده، مفاده عبادة الله وحده، وعدم مخالفة دينه.

ووجود آيات مكيّة صُدّرت بصيغة "يا أيّها الذين آمنوا" مثال ذلك سورة الحج فإنّها مكيّة مع أنّ في أواخرها: **﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾(الحج77).**خطاب موجّه للمؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله عليه الصّلاة والسّلام، بأن يركعوا ويسجدوا في صلاتهم، ويعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا.

ج . أنّ هذا التقسيم استبعد الجانب الزمني، فلا فائدة منه في دراسة تاريخ القرآن.[1]

ولا سبيل إلى معرفة المكي والمدني من الآيات إلا عن طريق الصحابة الذين كانوا يتابعون نزول الوحي، ويعرفون تاريخ نزول كل آية، والأسباب المؤدية إلى النزول.

[1] . مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب متو، الواضح في علوم القرآن، ص63.

ثانيا: الضوابط التي يعرف بها كل من المكي والمدني.

للعلماء في ضبط المكي والمدني طريقان:

الطريق الأوّل: السّماع وهو النقل الصحيح عن الصّحابة أو التابعين بأنّ هذه الآية أو السورة قد نزلت بمكة أو بالمدينة، أو نزلت قبل الهجرة أو بعدها. أمّا النّبي فلم يرد عنه بيان للسور المكية والسور المدنية، لأنّ هذا ممّا يشاهده ويحضره الصّحابة رضي الله عنهم، فكيف يخبرهم عن شيء يعلمونه فالمكي والمدني يعرف بغير نص من الرّسول صلّى الله عليه وسلّم. جاء في كتاب الإتقان للسيوطي: "إنّما يُرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصّحابة والتابعين، ولم يرد عن النّبي عليه الصّلاة والسّلام في ذلك قول، لأنّه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمّة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ، فقد يُعرف ذلك بغير نصّ من رسول الله عليه الصّلاة والسّلام".[1] فالوسيلة الوحيدة في التفرقة بين القسمين هو ما حفظه ونقله الصّحابة والتابعين فقط، لأنّهم شاهدوا وعايشوا نزول الوحي على نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم مرحلة بمرحلة، فكان لهم الأسوة الحسنة برسول الله بالإسراع إلى حفظ القرآن واستظهار آياته، وقد ساعدهم نزول القرآن منجما على الحفظ.

وقد وردت نصوص كثيرة في كتب السير والسنن تدل على أنّ الصّحابة كانوا يتنافسون في حفظ القرآن، ويحفّظونه أزواجهم وأولادهم، ومن أمثلة ما عُرف أنّه مكي أو مدني عن طريق الصّحابة رضي الله عنهم قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُومِنِينَ﴾ (الأنفال65)** قيل أنّها نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال، نزلت على إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن المعلوم أنّ عمر قد أسلم في مكة، فالآية إذا مكيّة. ومعنى الآية "أن الله عزّ

[1] . السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية دار الأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ص23.

وجلّ عندما وعد المؤمنين بالكفاية والنّصر، كان هذا التكليف سهلا لأنّ من تكفّل الله بنصره، لا يقدر أحد على إيذائه".[1]

وقوله أيضا: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَالِكَ سَبِيلًا﴾ (**الإسراء109**) فقد جاء في تلخيص صحيح الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت ورسول الله مختف بمكة. كان إذا صلّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبّوا القرآن ومن أنزله، ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه عليه الصّلاة والسّلام" ولا تجهر بصلاتك" أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبّوا القرآن "ولا تخافت بها" عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا.[2] وقيل: "لا تجهر بصلاتك كلّها ولا تخافت به كلّها وابتغ بين ذلك سبيلا، بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النّهار، وقيل المراد بالصّلاة الدعاء: أي لا ترفع صوتك فتذكر ذنوبك فيسمع ذلك، فتعيّر بها".[3]

وجاء في كتاب السيرة أنّه: إذا جهر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالقرآن وهو يصلي، يتفرقون عنه، ويأبون الاستماع له، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلّى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي، استرق السّمع دونهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب-خشية أذاهم- فلم يستمع، وإن خفض رسول الله عليه الصلاة والسّلام فظنّ الذي يستمع أنّهم لا يستمعون شيئا من قراءته وسمع هو شيئا دونهم.[4] إذن فالآية نزلت من أجل أولئك النفر ومعناها: لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك، ولا تخافت بها فلا يسمعها من يحب أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعلّه ينتفع بما يسمع.

---

[1] . محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج15، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1981، بيروت، لبنان، ص ص198-199.

[2] . القرطبي، تلخيص صحيح مسلم لابن الحجاج القشيري النيسابوري، ج1، تح: رفعت فوزي عبد الغني وأحمد محمود ابراهيم عثمان الخولي، دار السلام للطباعة والنشر، كتاب الصلاة، ص193.

[3] . الرازي، مفاتيح الغيب، ج21، ص72.

[4] . ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، تح: جودة محمد جودة، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 2006، ص158.

وأمّا الطريق الثاني: القياسي الاجتهادي: نظر العلماء رحمهم الله تعالى في الآيات والسور التي عرفوا أنّها مكية أو مدنية بالطريق الأول "السماعي النقلي"، واستنبطوا خصائص وضوابط للسور المكية، وخصائص وضوابط للسور المدنية، ثم نظروا في السور التي لم يرد نصوص في بيان مكان نزولها، فإن وجدوا فيها خصائص السور المكية قالوا إنّها مكية، وإن وجدوا فيها خصائص السور المدنية قالوا: إنّها مدنية، وهذا يكون بالاجتهاد والقياس، فسمّي هذا الطريق بالقياس الاجتهادي.[1] أي أنّهم حاولوا باجتهادهم الخاص تطبيق خصائص السور المكية والمدنية على هاته السور المختلف فيها ، فإن وجدوها تحمل خصائص السور المكية قالوا أنّها مكية والعكس.

وإذا كان السّماعي هو النقل الصّحيح عن طريق الصّحابة والتابعين، فإنّ القياسي عبارة عن ضوابط كلية لمعرفة كل من المكي والمدني، "وهذه الضوابط مبناها على التتبع والاستقراء المبني على الغالب والكثير"[2] ، وهذه الضوابط هي:

1 ـ وجود لفظ**"كلاّ"** في السّورة، فحيثما وُجدت" كلّا" فالسورة مكية، وهذه الكلمة قد ذكرت ثلاثا وثلاثين مرّة في خمس عشرة سورة وكلّها في النّصف الأخير من القرآن. وذلك لأنّ النّصف الأخير غالبه نزل بمكة. فلفظة "كلّا" محصورة في القرآن الكريم ما بين سورتي مريم والهمزة، وكلّها سور مكية النزول. ولو تتبعنا لفظة "كلاّ" لوجدناها ردّا على إنكار المشركين وتعنتهم أمام الدعوة الإسلامية في عهدها المكي بكل ما أوتوا من قوّة، فقد أنكروا وحدانية الله فنسبوا له الشريك كما نسبوا له الولد، وأنكروا البعث والجزاء وأنكروا أن يكون القرآن منزّلا من عند الله على رسوله عليه الصّلاة والسّلام حسدا من عند أنفسهم. ولنأخذ مثالا في الرّد على تعنّت المشركين قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا* وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا* وَبَنِينَ شُهُودًا* وَمَهَّدْتُّ لَهُ تَمْهِيدًا* ثُمَّ يَطْمَعُ أَنَ اَزِيدَا* كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِأَيَاتِنَا عَنِيدًا* سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا**﴾

[1] . ينظر: فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط14، 2005، ص139.

[2] . ينظر: محمد محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص227.

(**المدثر11–17**) قيل أنّ هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة" لأنّه كان يلقّب في قريش بالوحيد لتوحّده وتفرّده باجتماع مزايا له لم تجتمع لغيره من طبقته، وهي كثرة الولد الذين وصفهم بالشهود بمعنى لا يفارقونه، وسعة المال، ووصفه في هذه الآية بما له من النعمة والسّعة توطئة لتوبيخه وتهديده بسوء في الدّنيا وبعذاب النّار في الآخرة، وأعظم من ذلك أنّه يطمع في الزيادة من تلك النّعم وذلك بما يُعرف من يُسر أموره. واستُعملت "كلّا" لردع وإبطال طمعه في الزيادة من النعم وقطع لرجائه".[1]

والمقصود إبلاغ هذا إليه مع طمأنة النّبي عليه الصّلاة والسّلام بقطع المدد عن الوليد لئلا تكون نعمته فتنة لغيره من المعاندين فيغريهم حاله، وفي هذا الإبطال والرّدع إيذان بأنّ كفران النّعمة سبب لقطعها.

والملاحظ أنّ هذه اللفظة "كلّا" مفرقة بين القرآن على النّحو الآتي:

- مريم (الآية80 والآية 83).
- المؤمنون (الآية101).
- الشعراء: (الآية14 والآية62).
- سبأ: (الآية27).
- المعارج: (الآية15 والآية39).
- المدثر: (الآية 16 والآية 32 والآية 53).
- القيامة: (الآية 11 والآية 19 والآية 25).

[1] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج29، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص305.

- النبأ: (الآيتين 04 و05).
- عبس: (الآية 11 والآية 23).
- الانفطار: (الآية 09).
- الفجر: (الآية 19 والآية 23).
- العلق: (الآية 06 والآية 15 والآية 20).
- التكاثر: (الآيات 03 و04 و05).
- الهمزة: (الآية 04).

2 ـ ورود آية **السّجدة** في السّورة، فوجود هذه السّجدة في السّورة يدلّ على مكيّتها،[1] وتبدأ بآخر سورة الأعراف وتنتهي بآخر سورة العلق والدليل على ذلك:

- قوله في سورة الأعراف: ﴿**إِنَّ الذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾(**الأعراف206**). فالملائكة لا يستكبرون عن عبادة الله، بل ينقادون لأوامره، ويسبّحونه بالليل والنّهار، وله يسجدون.
- سورة النحل: ﴿**وَللهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَآبَّةٍ وَالمَلاَئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ**﴾(**النحل49**).كلّ ما في السّماوات وما في الأرض من دابة، والملائكة يسجدون لله، ولا يستكبرون عن عبادته.
- سورة الإسراء: ﴿**إِنَّ الذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيهِمْ يَخِرُّونَ لِلاذْقَانِ سُجَّدً وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً*وَيَخِرُّونَ لِلاَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ**

[1] . الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص159.

خُشُوعًا﴾(الإسراء107–108). فالعلماء الذين أوتوا الكتب السّابقة قبل القرآن، زادهم سماع القرآن ومواعظه خضوعا لأمر الله، فسجدوا لله على وجوههم، باكين متأثرين بمواعظه.

- سورة مريم: **﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمُ ءَايَاتُ الرَّحْمَانِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾(مريم58)**. فالذين هداهم الله واصطفاهم للرسالة والنبوّة خرّوا له ساجدين.

- سورة الفرقان: **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَانِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَانُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَامُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾(الفرقان60)** هو أمر للكافرين بالسّجود للرحمان، وما زادهم هذا الدعاء للسّجود إلاّ نفورا وبعدا عن الإيمان.

- سورة النمل: **﴿أَلَّا يَسْجُدُوا للهِ الذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * اللهُ لَا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾ (النمل25–26)**.

- سورة السّجدة: **﴿إِنَّمَا يُومِنُ بِئَايَاتِنَا الذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾(السجدة15)**. فما يصدّق بآيات الله ويعمل بها إلاّ الذين سجدوا لربّهم خاشعين مطيعين، مسبّحين بعبادته وحده لا شريك له.

- سورة فصلت: **﴿وَاسْجُدُوا للهِ الذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمُ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ*فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُون لَهُ بِالَيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لاَ يَسْئَمُونَ﴾ (فصلت 36–37)**.

- سورة النّجم: **﴿فَاسْجُدُوا للهِ وَاعْبُدُوا﴾(النجم61)**. تدعو إلى عبادة الله والسّجود له.

- سورة الانشقاق: **﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ القُرْءَانُ لاَ يَسْجُدُونَ﴾(الانشقاق21)**. فسجيّة الذين كفروا التكذيب والعناد، ومخالفة الحق، لأنّهم إذا قُرئ عليهم القرآن لا يسجدون لله.

- سورة العلق: ﴿**كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبِ**﴾(**العلق20**). دعوة النّبي صلّى الله عليه وسلّم بالسّجود لربّه، والاقتراب منه بالطاعات، وعدم طاعة أبا جهل فيما دعاه إليه من ترك الصّلاة.

والملاحظ أنّ هذه السجدات تقع غالبا عقب ذكر نعمة من نعم الله تستوجب الشكر، جاء في تفسير ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾(**الأعراف206**) إنّما ذكرهم بهذا ليُقتدى بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم، ولهذا شرع لنا السّجود ها هنا لما ذكر سجودهم لله عزّ وجلّ. كما جاء في الحديث: "ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربّها، يتمون الصّف الأول، ويتراصّون في الصّف". وهذه أوّل سجدة في القرآن، ممّا يشرع لتاليها ومستمعيها السّجود بالإجماع.[1]

3 ـ ومن هذه الضوابط وجود حروف التّهجي التي في أوائل السّور، فكل سورة افتتحت بحروف التهجي فهي مكية واستثنوا من ذلك سورتي "البقرة" و"آل عمران"، وهذه الأحرف التي افتتحت بها هذه السور مفرّقة في القرآن الكريم على النحو التالي: *الأعراف: (**ألمص**)، *يونس: (**ألر**)، *هود: (**ألر**)، *يوسف: (**ألر**)، *إبراهيم: (**ألر**)، *الحجر: (**ألر**)، مريم: (**كهيعص**)، *طه: (**طه**)، *الشعراء: (**طسم**)، *النمل: (**طس**)، *القصص: (**طسم**)، *العنكبوت: (**ألم**)، *الروم: (**ألم**)، *لقمان: (**ألم**)، *السجدة: (**ألم**)، *ص: (**ص**)، *غافر: (**حم**)، *فصلت: (**حم**)، *الشورى: (**حم عسق**)، *الزخرف: (**حم**)، *الدخان: (**حم**)، *الجاثية: (**حم**)، *الأحقاف: (**حم**)، *ق: (**ق**)، *القلم: (**ن**). وهي رموز غير مفسّرة لا يعلم تفسيرها إلّا الله.

4 ـ ومن الضوابط كذلك وجود "**يا أيّها النّاس**" في السّورة،" والعلّة في ذلك أن الناس في مكة كان يغلب عليهم الكفر فخوطبوا بها، فلمّا استقر الأمر في المدينة المنورة بعد الهجرة النّبوية

[1] . ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط2، 1999، ص539.

خوطبوا بـ: "يا أيّها الذين آمنوا" لغلبة الإيمان عليهم".[1] غير أنّ هناك آيات مصدرة بـ "يا أيّها الناس" في سور مدنية.

ففي سورة البقرة مثلا نجد قوله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الذِي خَلَقَكُمْ وَالذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(**البقرة20**) وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلَالاً طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾(البقرة167). وبهذا النداء افتتحت سورة النساء وهي مدنية: ﴿**يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾(**النساء01**) و﴿**يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الرَّسُولُ بالحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَئَامِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ**﴾(**النساء169**) وفيها كذلك: ﴿**يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيكُمْ نُورًا مُّبِينًا**﴾(**النساء173**).

وجاء في سورة الحجرات: ﴿**يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾(**الحجرات13**). أما غير هذه السور المدنية الثلاث فإنّ النداء "يا أيّها النّاس" ما ورد إلاّ في سور كلها مكية، وهي مفرقة في القرآن الكريم على النّحو التالي:

يقول الحق تبارك وتعالى في سورة الأعراف: ﴿**قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيكُمْ جَمِيعًا**﴾(**الأعراف158**).

وفي سورة يونس: ﴿**يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُم**﴾(**يونس23**). وقوله: ﴿**يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُم وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ**﴾(**يونس57**). وفيها كذلك: ﴿**قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ**﴾ (**يونس104**). وكذلك: ﴿**قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ**﴾ (**يونس108**). أي قد جاءكم رسول الله بالقرآن الذي فيه هدايتكم.

[1] . الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص160.

ويقول في سورة النمل: ﴿**وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ**﴾(**النمل16**).أي أنّ سليمان عُلّم كلام الطير.

وفي سورة لقمان: ﴿**يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم وَاخْشَوا يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدُ عَنْ وَّلَدِهِ**﴾(**لقمان32**).بمعنى اتّقوا ربّكم وأطيعوه، واحذروا يوم القيامة الذي لا يغني فيه والد عن ولده، ولا مولود عن أبيه شيئا.

وفي سورة فاطر: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم**﴾(**فاطر03**). وفيها: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَواةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الغَرُورُ**﴾(**فاطر05**). وفيها كذلك: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَآءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**﴾(**فاطر15**).أي أنّكم أنتم المحتاجون إلى الله، وهو سبحانه الغنّي عن النّاس وعن كلّ شيء من مخلوقاته.

وعُدّ من الضوابط أيضا:" **يا بني آدم**": فكل سورة وردت فيها فهي غالبا مكية[1]، وقد وردت في سورتين مكيّتين هما الأعراف ويس، ففي سورة الأعراف نجد قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِي ءَادَمَ قَدَ اَنْزَلْنَا عَلَيكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا**﴾(**الأعراف25**). وفي الآية الموالية: ﴿**يَا بَنِى ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ**﴾ (**الأعراف26**). وفي السورة نفسها: ﴿**يَا بَنِى ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾(الأعراف29). و كذلك قوله: ﴿**يَا بَنِى ءَادَمَ إِمَّا يَاتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيكُمُ ءَايَاتِى فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (**الأعراف33**). أي أنّه سبحانه وتعالى أرسل إليهم رسلا من أقوامهم يتلون عليهم آياته، فمن اتّقى منهم وأصلح عمله فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله تعالى، ولاهم يحزنون على مافاتهم من حظوظ الدنيا.

[1] . مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، ص66.

أمّا في سورة يس فقوله: **﴿أَلَمَ اَعْهَدِ اِلَيْكُمْ يَابَنِى ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(يس59)**. أي أوصاهم بأن لا يعبدوا الشيطان ولا يطيعوه، لأنّه عدو ظاهر العداوة.

والملاحظ مما سبق أنّ أسلوب الآيات المكية يغلب عليه التهديد والتخويف، "لأنّ أهل مكة كانوا مشركين، أشدّاء في عداوتهم، قساة القلوب، فكان لا بدّ من مخاطبتهم بما يلائم حالهم، ويتلاءم مع الوضع النّفسي الذي كان قائما آنذاك"[1]، ولهذا استعمل القرآن كلمة "كلاّ" الدّالة على الزجر والإنكار، وخاطبهم بلفظة" يا أيّها النّاس"، واستعمل حروف التهجي وغيرها من الضوابط.

ويظهر من هذه الضوابط مجتمعة أنّها خلت تماما من ذكر التشريع كأحكام القتال أو الحرب والسلم وشؤون الأسرة، كما خلت من محاجة أهل الكتاب ومناقشتهم، وقصص غزوات النبي صلّى الله عليه وسلّم فإنّ ذلك كلّه قد اختصت به السور والآيات المدنية.

[1] . ينظر: نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصبل، دمشق، ط1، 1993، ص59.

ثالثا: الخصائص الأسلوبية والموضوعية للسّور المكية.

لكلّ من السّور المكية والمدنية خصائص تنفرد بها عن غيرها. والذي يهمنا في دراستنا هو بيان خصائص السور والآيات المكية، وهي نوعان: النوع الأوّل يتعلق بالأسلوب والثاني بالموضوع.

1- الخصائص الأسلوبية:

من الملاحظ أنّ السور المكية قد اتّسمت بقصر الآيات والسور مع جزالة اللفظ وإيجاز العبارة بما يشتد وقعه على السّامع، وهذا أغلبي لا مطرد، "فجزء "عم"، وهو الجزء الثلاثون أغلبه مكي، وإذا أنت تلوته رأيت قصر آياته وتعدّد فواصله، فهناك آيات مكية طويلة نوعا ما، كسورة الأنعام فإنّها تقع في تسعة أرباع ونصف الربع، ومع ذلك فلم تتجاوز آياتها 165 آية، ومثلها سورة النحل، فإنّها تقع في ستة أرباع وهي مكية إلاّ الآيات الثلاث الأخيرة منها وآياتها 128 آية".[1]

والحكمة في ذلك" أنّ القوم في مكة أهل عناد وشراسة وطغيان واعتداد بقوتهم، والرّسول عليه الصّلاة والسّلام والمؤمنون لا يستطيعون رد هذا الطغيان وإيقافهم عند حدّهم... فكان الله هو الذي يتولّى الدفاع عنهم بالكلمة الحاسمة ينزل بها القرآن يهزّ نفوس هؤلاء، ويزجرهم ويتوعدهم بالأسلوب القوي الذي يناسب حالهم، وبآيات كثيرا ما تكون قصيرة موجزة، لكنّها قارعة شديدة في كلماتها ووقعها".[2] فالقرآن هو السبيل الوحيد لنصرة المسلمين وإيقاف هؤلاء الطغاة عند حدّهم.

ولنزول القرآن الكريم بمكة، وأكثر أهلها يومئذ يمتازون بعلو كعبهم في الفصاحة والبلاغة، وتملكهم لناصية القول، والخطابة، والشعر وبلوغهم الغاية في لطف الحس، وذكاء العقل، والألمعية

[1] . ينظر: شعبان محمد إسماعيل، المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، ج1، دار ابن حزم الأولى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009، ص183.

[2] . عادل محمد صالح أبو العلا، خصائص السور والآيات المدنية، ص ص39-40.

وسرعة الخاطر" فكان المناسب لهم النذر القارعة، والعبارات الموجزة، والفقر القصيرة ذات اللفظ الجزل، والجرس القوي، والمعنى الفحل فتصخّ الآذان وتستولي على المشاعر وتعقل ألسنتهم عن المعارضة وتدعهم في حيرة ودهشة مما يسمعون، فلا يلبث البليغ منهم بعد سماعها أن يلقي عصا العجز ويرسلها قولة صريحة تشهد بالإعجاز كما قال الوليد بن المغيرة القرشي لما سمع القرآن: والله لقد سمعت كلاما ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وما هو بقول بشر، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته".[1]

ولما أحزنت المشركين مقالته وأكرهوه على أن يقول في القرآن قولا ينقض قولته الأولى لم يسعه بعد الصراع النفسي العنيف وتكلف الخروج عن فطرته العربية وملكته الأدبية إلا أن يقول: **﴿إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾** والدليل على ذلك قول الله تبارك وتعالى: **﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقالَ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: 18– 25]**. فلننظر كيف صور القرآن حالته النفسية هذا التصوير المعجز الذي يصور لنا الوليد وقد بدت على وجهه آثار الصراع النفسي العميق العنيف ما بين فطرته اللغوية التي تأبى عليه أن يقول في القرآن غير ما قال، وما بين رغبته في إرضاء قومه التي تلح عليه أن يقول في القرآن ما يرضيهم ويبقي على مودتهم له، فلم يستطع إلا أن يقول: **﴿إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾** وآثر أن يناقض نفسه على أن يغضب قومه.

وبما أن أهل مكة كانوا أهل فصاحة يناسبهم الإيجاز دون الإطناب، كما كانوا أهل مشاقة تناسبهم المخاطبة بالألفاظ الزاجرة، "وهذه العملية أغلبية أيضا إذ قد يوجد القصر في الآيات المدنية كسورة النصر".[2] وهذا مما يدعو إلى كثرة الفواصل، "والفاصلة هي خاتمة الآية كالقافية في

[1]. محمد محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص230.

[2]. ينظر: شعبان محمد إسماعيل، مع القرآن الكريم في تاريخه. خصائصه. أحكامه. أسراره. قراءاته. آداب تلاوته ناسخه ومنسوخه، دار الاتحاد العربي للطباعة، 1978، ص147.

الشعر، تكمل معناها ويتم بها النغم، ويتّسق الوزن، وهي تأتي مستقرة في قرارها، مطمئنة في مواضعها، يتعلق معناها بمعنى الآية كلّها بحيث لو طُرحت لاختلّ المعنى، فهي في مكانها تؤدي جزءا من معنى الآية ، ينقص ويختل بنقصانها".[1]

فالسور المكية تقصد المشركين، وتخاطب وجدانهم ومشاعرهم، فتقسوا عليهم بالزجر والوعيد والتهديد، والترغيب والترهيب، والتبشير والإنذار، في أسلوب متتابع السجعات، والفواصل القصيرة. وأكثر ما تكون الفواصل تماثلا في حروف الرّوي في الآيات المكية كما نرى في قوله تعالى: ﴿**وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَى*مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى*وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى**﴾(**النجم01-02-03**). يقسم الله تعالى بالنّجوم إذا غابت، ماحاد محمد صلّى الله عليه وسلّم عن طريق الهداية والحق، بل هو في غاية الاستقامة والسّداد، وليس نطقه صادرا عن هوى النّفس.

وقد تكون متقاربة كما في قوله تعالى: ﴿**حمِ وَالكِتَابِ المُبِينِ*إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ اِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ*فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ*اَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ**﴾(**الدخان01-04**). فالميم والنون حرفان متقاربان في المخرج اللفظي، وأكثر ما تكون الفواصل متقاربة في الآيات المدنية.[2]

ولنأخذ مثالا لذلك سورة الشعراء يقول تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ*ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ*مَآ أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ*وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ اِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ*ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾(**الشعراء من 205 إلى 209**) هو تذكير لقريش بأنّ القرى التي أهلكها الله قد كان لها رسل ينذرونها عذاب الله ليقيسوا حالتهم على أحوال الأمم التي قبلهم، فعبّر عن الرّسل بصفة الإنذار لأنّه المناسب للتهديد بالإهلاك.[3] بمعنى إنّ متعناهم بالحياة سنين طويلة، وما أغنى

[1] . عبد الفتاح لاشين، ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1982، ص210.

[2] . عبد الفتاح لاشين، ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، ص210.

[3] . ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص198.

عنهم تمتعهم هذا من عذاب الله الواقع بهم، إذا لم يتوبوا من شركهم، فما أهلكنا من قرية من القرى في الأمم السابقة، إلّا بعد أن نرسل إليهم رسلا ينذرونهم.

بعد هذا التهديد والوعيد، والإنذار من مثل ما وقع للأمم السّابقة الظالمة ينتقل الحديث إلى القرآن الكريم، وأنّه تنزيل من ربّ العالمين، وأنّ الشياطين محجوبون عنه كي لا يغيّروا فيه ويبدّلوا فيقول الله تعالى: **﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ*إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾(الشعراء210–211)**.

فالعبارة موجزة واضحة لتبليغ الغاية المرجوة، وهي بيان حقيقة القرآن الكريم، وإبطال دين الشّرك الذي تبنّته قريش وغيرها وناضلت عليه بالأكاذيب، فناسب أن يتفرع عليه النّهي عن الإشراك بالله والتحذير منه فقوله: **﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَاهًا اخَرَ فَتَكُونَ مِنَ المُعَذَّبِينَ﴾ (الشعراء، 212).**

وهو خطاب لغير معيّن يعمّ كل من يسمع الكلام، ومعناه "أن لا يدعو مع الله إلاها آخر فيكون من المعذّبين، وفي هذا تعريض بالمشركين أنّهم سيعذّبون لعلمهم بعدم شرك النّبي عليه الصّلاة والسّلام وأصحابه".[1] أي لا تعبد مع الله معبودا غيره، فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين عبدوا مع الله غيره.

ثمّ ترسم الآيات القرآنية طريق الدّعوة للنّبي صلّى الله عليه وسلّم وهو الاعتماد على الله تعالى، وإنذار عشيرته الأقربين، وخفض الجناح للمؤمنين، وأخذهم بالرّفق كلّ ذلك في عبارات واضحة موجزة وفواصل قصيرة (الشعراء الآيات من 213 إلى 218).

وأكثر ما يكون ذلك في سور المفصل و غالبه نزل بمكة، فخاطب أهلها بما يناسب حالهم في العناد والكفر والغفلة التامة عن الحق، والانغماس في اللهو والفجور. يقول سيد قطب عند

[1] . ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج19، ص 200.

تقديمه لسورة النبأ، وهو يتكلم عن الجزء الأخير من القرآن الكريم- هذا الجزء كلّه ومنه هذه السورة- أي النبأ ذو طابع غالب سوره مكية فيما عدا سورتي البيّنة والنّصر، وكلّها من قصار السور" والأهم من هذا هو طابعها الخاص الذي يجعلها وحدة على وجه التقريب في موضوعها واتجاهها وإيقاعها وصورها وظلالها وأسلوبها العام إنّها طرقات متوالية على الحس، طرقات عنيفة قوية عالية وصيحات بنوم غارقين في النّوم، نومهم ثقيل، أو بسكارى مخمورين، أو بلاهين في سامر راقصين في ضجّة وتصدية، ومكاء، تتوالى على حسهم تلك الطرقات، والصيحات المنبعثة من سور هذا الجزء كلّه بإيقاع واحد ونذير واحد، اصحوا، استيقظوا، انظروا تفكروا تدبّروا، إنّ هناك إلاها وإنّ هناك تدبيرا وإنّ هناك تقديرا، وإنّ هناك ابتلاء، وإنّ هناك تبعة وإنّ هناك حسابا وإنّ هناك جزاء وإنّ هناك عذابا شديدا ونعيما كبيرا".[1]

والمفصّل هو السّور الأخيرة من القرآن الكريم بداية من سورة الحجرات، وسميت بذلك "لكثرة الفصل فيها بين السور بعضها وبعض من أجل قصرها، وقيل سميت بذلك لقلّة المنسوخ فيها، فقولها قول فصل لا نسخ فيه ولا نقص".[2]

والأمثلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿**إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا*لِّلطَاغِينَ مَئَابًا* لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا* لَّايَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا* اِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا* جَزَاءً وِفَاقًا*اِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا*وَكَذَّبُوا بِئَايَاتِنَا كِذَّابًا*وَكُلَّ شَيْءٍ اَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا*فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا**﴾(النبأ من21 إلى30).

وصنف آخر عرف أنّ له ربّ فآمن به وبما أرسل من رسل وصدّقهم واتّبع ما جاؤوا به من عند الله، فخاف الله وكبح جماح نفسه، واتّقى الله فوفّاه أجره بغير حساب يقول تبارك وتعالى:

[1] . سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق للطبع والنشر، بيروت، ط32، 2003، مج6، ص3800.

[2] . ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص162.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا*حَدَآئِقَ وَأَعْنَابًا*وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا*وَكَأْسًا دِهَاقًا*لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا* جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾(النبأ من31إلى36).

جرى هذا الانتقال على عادة القرآن في تعقيب الإنذار للمنذَرين بتبشير من هم أهل للتبشير، "فانتقل من ترهيب الكافرين بما سيلاقونه إلى ترغيب المتّقين فيما أعدّ لهم في الآخرة من كرامة ومن سلامة، مما وقع فيه أهل الشرك والمقصود من المتّقين المؤمنون الذين آمنوا بالنّبي عليه الصّلاة والسّلام ، واتّبعوا ما أمرهم به واجتنبوا ما نهاهم عنه".[1]

ومثل ذلك أيضا ما جاء في سورة النازعات: **﴿فَإِذَا جَآءَتِ الطَّآمَّةُ الكُبْرَى*يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ مَا سَعَى*وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لِمَنْ يَّرَى*فَأَمَّا مَن طَغَى وَءَاثَرَ الحَيَوةَ الدُّنْيَا*فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المأْوَى﴾(النازعات 34–38)**.بمعنى إذا جاءت القيامة الكبرى، وهي النّفخة الثانية، عندئذ يُعرض على الإنسان كلّ عمله من خير وشرّ، فيتذكّره، فأمّا من تمرّد على أمر الله، وفضّل الحياة الدّنيا على الآخرة، فإنّ مصيره إلى النّار.

أمّا النوع الآخر فهو الذي صوّرته هذه الآية: **﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى*فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾(النازعات39–40)** ومعناه: "أنّ من خاف القيام بين يديي الله، وخاف حكم الله فيه، ونهى نفسه عن هواها، وردّها إلى طاعة مولاها، فإنّ منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنّة الفيحاء".[2] فمن خاف القيام بين يدي الله للحساب، ونهى النّفس عن الأهواء الفاسدة، فإنّ الجنّة هي مسكنه.

وينبّه هذا الإنسان الغافل الجاحد لنعم الله الذي أوجده من العدم في سورة "عبس" فيقول: **﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَآ أَكْفَرَهُ*مِنَ اَيِّ شَيءٍ خَلَقَهُ*مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ*ثُمَّ السَّبِيلَ**

[1] . ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص43.

[2] . ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص1959.

يَسَّرَهُ*ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ*ثُمَّ إِذَا شَآءَ انشَرَهُ*كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآأَمَرَهُ﴾(عبس17-23).فهذا الإنسان كفر بوحدانية الله وبقدرته على إعادة خلق الأجسام بعد الفناء، وبإرساله الرسول وبالوحي إليه صلّى الله عليه وسلّم، وهو كفر قوي لأنّه اعتقاد قوي لا يقبل التزحزح، و أنّه مستمر لا يقلع عنه مع تكرر التذكير و الإنذار والتهديد.

وجملة "ما أكفره" "بلغت نهاية الإيجاز وأرفع الجزالة بأسلوب غليظ دال على السّخط بالغ حدّ المذمّة، جامع للملامة، ولم يسمع مثلها قبلها، فهي من جوامع الكلم القرآنية".[1]

وهو الإنسان المخاطب في سورة الطارق يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿فَلْيَنظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ*خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ*يَخْرُجُ مِن بَينِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ*إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ (الطارق 05 -08).**فالذي خلق الإنسان من هذا الماء لقادر على رجعه إلى الحياة بعد الموت.

في حين تتّسم السّور والآيات المدنية بالطول على عكس المكية التي تمتاز بالقصر والإيجاز، والحكمة في ذلك أنّه" لما انتقل النّبي عليه الصّلاة والسّلام إلى المدينة كان التنظيم الكامل للمعاملات. حيث بدأت الآيات تتوالى وابتدأت بأعلى أنواع التعاون بين النّاس وهو الإخاء بين المهاجرين والأنصار، وشرعت النظم الاجتماعية والمعاملات الإنسانية من أحكام البيوع وتحريم الربويات وغيرها، وفريضة الصدقات وتنظيمها، وإعطاء الفقير حقّه والتنظيم الاجتماعي الكامل. وشرعت الزواجر الاجتماعية من حدود وقصاص... وغيرها".[2] وذلك أن الآيات المدنية عُنيت بتفصيل وبيان الأحكام الشرعية وحدودها، ودعت إلى الجهاد لإعلاء راية الإسلام، وحضّت على الاستشهاد في سبيل الله، وجادلت أهل الكتاب، وندّدت بالنفاق والمنافقين... وغيرها.

[1]. الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص ص120-121.

[2] . عادل محمد صالح أبو العلا، خصائص السور والآيات المدنية، ص39.

فهذه التشريعيات بحاجة إلى البسط والإطالة، ومثال ذلك آية الدين في قوله تعالى: **﴿يَأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ اِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ... وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** (**البقرة281**). النّص القرآني يبيّن كيفية المعاملة بالدين.

الملاحظ ممّا سبق أنّ أسلوب القرآن الكريم المكي منه يغلب عليه قصر الآيات والسور، وقوة التعبير والتناغم الموسيقي، وكثرة الفواصل القرآنية وقصرها وتنوّعها بما يتناسب مع المعاني والمواقف والصور، كما يكثر فيه أسلوب التأكيد، والاعتناء بوسائل التقرير فكثُر في المكي القَسم وضرب الأمثال والتشبيه، وتكرار بعض الجمل أو الكلمات، بالإضافة إلى ذلك فإن الآيات المكية يكثر فيها التجسيم الحسّي، وإضفاء الحركة لاسيما في مشاهد القيامة، وأهوال النار، وبيان أحوال أهل الجنّة والنار، وكذلك القصص.

2- الخصائص الموضوعية:

هي خصائص مستمدة من طبيعة المرحلتين اللّتين عاشهما النّبي عليه الصّلاة والسّلام في مكة و المدينة، حيث كان في مكة يعاني صدود الكافرين ومقاومتهم، وفي المدينة يبني الدولة الإسلامية ويقاوم مكر اليهود وتآمر المنافقين، ونجملها فيما يلي:

1- ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم؛ ليكون في قصصهم عبرة وموعظة لأولي الألباب، "لبيان أن دعوة الرسل جميعا واحدة وأنهم جاءوا بالتوحيد الخالص والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن الأنبياء وأتباعهم لاقوا كل أنواع الإيذاء في سبيل عقيدتهم ومع ذلك صبروا وثبتوا على عقائدهم وكان النصر والعاقبة لهم، والهزيمة والخذلان لأعدائهم إلى غير ذلك"[1]، ولقد كان ذكر القصص في القسم المكي من أعظم الأدلة على أن القرآن من عند الله؛ إذ لو تأخر نزوله إلى المدينة لقالوا: تعلمه من أهل الكتاب قال تعالى: **﴿تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ**

[1]. ينظر: محمد محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص229.

ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(هود: **49**)، وقال تعالى: **﴿لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ * ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** (يوسف: **111**). أي كان في نبأ المرسلين الذي قصصناه عليك وماحلّ بالمكذّبين عظة لأهل العقول السليمة، ورحمة لأهل الإيمان تهتدي به قلوبهم، فيعلمون بما فيه من الأوامر والنواهي.

ومن قصص القرآن نجد مثلا في سورة الأعراف قصّة آدم عليه السّلام في قوله: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا﴾** (**الأعراف 10**) إلى غاية قوله: **﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلذِينَ لَا يُومِنُونَ﴾** (**الأعراف 26**) **أي الآيات من(10-26).** النّص القرآني يبيّن كيف أنّ الشيطان زيّن لآدم المعصية، فأخرجه بسببها من الجنّة، فلا يجب على بني آدم أن ينخدعوا به أو يصدّقوه، فهو ولي الكفار الذين لا يوحدون الله، ولا يصدقون رسله.

ونجد فيها كذلك قصّة موسى عليه السّلام مع الطاغية فرعون في الآيات (102 إلى 156) أي من قوله تعالى: **﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى بِئَايَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ﴾** (**الأعراف102**) إلى غاية قوله: **﴿وَالذِينَ هُم بِئَايَاتِنَا يُومِنُونَ﴾** (**الأعراف156**). تحدثت عمّا نال بنو إسرائيل من بلاء وشدة ثمّ من أمن ورخاء، وكيف عاقبهم الله تعالى بالمسخ بعدما بدّلوا نعمة الله وخالفوا أمره.

كما نجد قصّة نوح عليه السّلام وما لاقاه من قومه من جحود وعناء في سورة يونس من قوله تعالى:**﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ اِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِئَايَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ﴾**(**يونس71**) إلى غاية قوله: **﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾**(**يونس 74**).ففي ذكر عاقبة نوح عليه السّلام تعريض للمشركين،" بأنّ عاقبتهم

كعاقبة أولئك أو أنّهم إنّما يُمتّعون قليلا ثمّ يؤخذون أخذة رابية كما متع قوم نوح زمنا طويلا، ثم لم يفلتوا من العذاب في الدّنيا، فذكر قصّة نوح مع قومه عظة للمشركين. وفي ذلك تأنيس للرّسول وللمسلمين بأنّهم أسوة للأنبياء والصّالحين من أقوامهم"[1]. وكذلك قصة موسى عليه السّلام مع فرعون عقبها في قوله: **﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ بِئَايَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾(يونس75) إلى غاية قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾(يونس93)**.بيّن النّص القرآني أنّ موسى وهارون عليهما السّلام بُعثا إلى فرعون وأشراف قومه بالمعجزات الدّالة على صدقهما، فاستكبروا عن قبول الحق، وكانوا قوما مشركين مكذّبين. وأنّ الله يقضي بينهم يوم القيامة يفصل فيما كانوا يختلفون فيه من أمرك أيّها الرّسول، فيدخل المكذّبين النّار والمؤمنين الجنّة.

وخُصّت بعثة موسى وهارون بالذكر لأنّها كانت انقلابا عظيما وتطورا جديدا في تاريخ الشّرائع، فإنّ الرّسل الذين كانوا قبل موسى إنّما بُعثوا في أمم مستقلة، وكانت أديانهم مقتصرة على الدعوة إلى إصلاح العقيدة، وتهذيب النّفوس، وإبطال ما عظُم من مفاسد في المعاملات. وأمّا بعثة موسى فقد أتت بتكوين أمّة، وتحريرها من استعباد أمّة أخرى إيّاها، وتكوين وطن مستقل لها، وتأسيس قواعد استقلالها، ووضع نظام سياسة الأمّة، ووضع ساسة يدبّرون شؤونها، فبعثة موسى كانت أول مظهر من مظاهر الشرائع لم يسبق له نظير في تاريخ الشرائع ولا في تاريخ نظام الأمم، وهو مع تفوّقه على جميع ما تقدّمه من الشرائع قد امتاز بكونه تلقينا من الله المطلع على حقائق الأمور.[2]

وكذلك ذكرت قصّة نبيّ الله يونس عليه السّلام وقومه الذي سميت السورة باسمه في قوله تعالى: **﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةُ امَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ**

[1] . ينظر:الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج11، ص235.

[2] . ينظر: المصدر نفسه، ص246.

الخِزْيِ فِي الحَيَواةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمُ إِلَى حِينٍ﴾ (**يونس98**) أي أنّ أهل قرية يونس لما أيقنوا أنّ العذاب نازل بهم تابوا إلى الله توبة نصوحا، فكشف الله عنهم عذاب الخزي، وتركهم في الدّنيا يستمتعون إلى وقت إنهاء أجلهم. وكل هذه القصص لبيان سنّة الله في الكون وإهلاك الظالمين ونصرة المظلومين.

كما نجد قصّة نوح في سورة هود أيضا ابتداءً من قوله تعالى:**﴿وَلَقَدَ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾**(**هود25**) إلى غاية قوله: **﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُم ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابُ اَلِيمٌ﴾** (**هود48**) انتقلت الآيات من إنذار المشركين ووصف أحوالهم وما ناسب ذلك إلى موعظتهم بما أصاب المكذّبين قبلهم من المصائب،" وفي ذلك تسلية للنّبي صلّى الله عليه وسلّم، بما لاقاه الرّسل عليهم السّلام قبله من أقوامهم".[1] فلم ينج من الطوفان سوى نبي الله نوح عليه السّلام ومن كان معه من المؤمنين.

ثمّ ذُكرت قصّة هود عليه السّلام مع قومه ابتداءً من قوله تعالى: **﴿وَإِلَى عَادٍ اَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُم مِّنِ اِلَاهٍ غَيْرُهُ إِنَ اَنتُمُ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾**(**هود50**) إلى غاية قوله: **﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمُ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾**(**هود59**) والمراد من هذا الكلام استمالة قوم محمد صلّى الله عليه وسلّم،" لأنّ قومه كانوا يستبعدون في محمد مع أنّه واحد من قبيلتهم أن يكون رسولا إليهم من عند الله، فذكر الله تعالى أنّ هودا كان واحدا من عاد، وأنّ صالحا كان واحدا من ثمود لإزالة هذا الاستبعاد".[2] فهود عليه السّلام أرسله الله تعالى إلى قوم عاد العتاة المتجبّرين الذين اغتروا بقوّتهم، وكفروا بنعم ربّهم، فأهلكهم الله بالريح الصرصر العاتية.

[1] . ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،، ج12، ص43.

[2] . الرازي، مفاتيح الغيب، ج18، ص10.

ثمّ تلتها قصة صالح عليه السّلام مع ثمود، وذلك من قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِّنِ اِلَاهٍ غَيْرُهُ**﴾(**هود60**) إلى غاية قوله: ﴿**كَأَن لَّمْ يَغْنَوا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمُ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ**﴾(**هود67**) هي القصّة الثالثة من القصص المذكورة في هذه السورة، وهي قصة صالح مع ثمود، ونظمها مثل النظم المذكور في قصة هود.

كما أخذت قصة إبراهيم ولوط عليهما السّلام حيّزا كبيرا من هذه السورة وذلك من قوله تعالى:﴿**وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بالبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا**﴾(**هود68**) إلى غاية قوله:﴿**مَّنضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَاهِيَ مِنَ الظَّلِمِينَ بِبَعِيدٍ**﴾(**هود82**). والغرض من هذه القصة هو" الموعظة بمصير قوم لوط إذ عصوا رسول ربّهم فحلّ بهم العذاب،ولم تغن عنهم مجادلة إبراهيم، وقدّمت قصة إبراهيم لذلك وللتنويه بمقامه عند ربّه".[1] فالنّص القرآني تهديد لكلّ عاص متمرّد على الله.

وبعدها قصة شعيب عليه السّلام مع قومه ابتداء من قوله تعالى:﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا... أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ**﴾(**هود83-95**). فمدين وثمود اشتركتا في البعد والهلاك والخزي.

كما ذُكر فيها بعضا من قصة موسى مع فرعون في قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَلَقَدَ اَرْسَلْنَا مُوسَى بِئَايَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**﴾(**هود96**) **إلى غاية الآية:** ﴿**وَيَوْمَ القِيَامَةِ بِيسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ**﴾(**هود99**). النّص القرآني يبيّن كيف أنّ فرعون وقومه كذّبوا موسى وخالفوا أمره، وما جزاء ذلك الكفر والعناد من عذاب في الدّنيا والآخرة.

أمّا سورة يوسف نزلت بعد هود في تلك الفترة الحرجة العصيبة من حياة رسول الله عليه الصّلاة والسّلام، حيث توالت الشدائد والنكبات عليه وعلى المؤمنين. فجاءت هذه القصّة تسلية لرسول الله عمّا يلقاه، وجاءت تحمل البشرى والأنس والراحة والطمأنينة لمن سار على درب

[1] . الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص116.

الأنبياء. وقد انفردت هذه السورة بقصّته كاملة مع أبويه وقومه، ولم تتكرر في مكان آخر من القرآن.

وتحدثنا سورة إبراهيم عن رسالة موسى عليه السّلام ودعوته لقومه بعبادة الله عزّ وجلّ، وضربت الأمثلة للمكذبين بالرّسل من الأمم السّابقة كقوم نوح وعاد وثمود، وحكت ما جرى بينهم من محاورات ومناورات انتهت بإهلاك الظالمين الآيات(05-19) .كما تحدثنا سورة الحجر أيضا عن آدم وإبراهيم ولوط عليهم السّلام في الآيات(26-77)، وسورة الكهف التي ذكرت فيها قصة أصحاب الكهف وقصة صاحب الجنّتين في الآيات(09-43) كما نجد فيها قصة موسى والعبد الصّالح، وقصة ذي القرنين . وفي سورة مريم هناك أيضا مجموعة من القصص كقصة زكريا ويحي وعيسى عليهم السّلام، وقصة مريم مبسوطة كل البسط في السورة. وذكرت قصة موسى عليه السّلام في سورة "طه" وذكرت بطريقة أخرى في سورة "الشعراء" وسورة "النمل" وسورة "القصص".

ونجد قصة نوح وإبراهيم ولوط في سورة العنكبوت، وذكرت قصة داود وسليمان في سورة "سبأ" كما وردت قصّتهما أيضا في سورة "ص". وفي سورة الذاريات ذكر ابراهيم ولوط عليهما السّلام. هذه بعض القصص على سبيل المثال لا الحصر.

غير أنّ هناك تكراراً لبعض القصص مثلا قصة موسى عليه السّلام، وهي أشدّ القصص في القرآن تكرارا وردت هذه القصة في حوالي الثلاثين موضعا. نذكر أهمّها:

- في سورة الأعلى إشارة قصيرة يقول تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأولى* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾(**الأعلى18–19**). فما أُخبروا به في هذه السورة هو ممّا ثبُت في الصّحف التي أُنزلت قبل القرآن، وهي صحف إبراهيم وموسى عليهما السّلام.

- وفي سورة الفجر إشارة إلى فرعون بدون ذكر موسى مع عاد وثمود: ﴿**وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ*الذِينَ طَغَوْا فِي البِلَادِ*فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسَادَ*فَصَبَّ عَلَيهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ**﴾(**الفجر10–13**).النّص القرآني يبيّن كيف أنّ الله سيصبّ عذابه على هؤلاء الذين استبدوا، وظلموا في بلاد الله، وأكثروا الفساد بظلمهم.

- وفي سورة الأعراف بدأت القصة برسالة موسى إلى فرعون وملئه:﴿**ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَى بِئَايَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ**﴾(**الأعراف102**) "والسياق يعرض القصة من حلقة مواجهة فرعون وملئه بالرسالة، ثم يعجّل بالكشف عن خلاصة استقبالهم لها. كما يعجّل بالإشارة إلى العاقبة التي انتهوا إليها".[1] أي أنّهم جحدوا بمعجزات الله وعاندوها، فكانت نهاية هؤلاء المفسدين الغرق بمرأى من موسى وقومه.

- وفي سورة الفرقان: ﴿**وَلَقَدَ اتَينَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا**﴾(**الفرقان35**). فالله سبحانه وتعالى أرسل موسى وأخاه هارون إلى فرعون وقومه الذين كذّبوا بربوبية الله، ليدعواهم إلى الإيمان بالله وطاعته، فكذّبوهما، فأهلكهم الله إهلاكا عظيما.

ويبدأ في سورة طه بتفصيل آخر يبدأ من حلقة أسبق من حلقة الرسالة التي ذكرت في سورة "الأعراف" تلك هي رؤية موسى للنار من جانب الطور: ﴿**وَهَلَ اَتَيكَ حَدِيثُ مُوسَى*إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّيَ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيَ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ...**﴾(**طه08**). وبعد أن يكلّف الذهاب إلى فرعون، يحاور ربه ليرسل معه هارون، يشد أزره ويكون وزيرا له، فيذكره الله بنعمته عليه في مولده، وردّه إلى أمّه–في إشارة سريعة– ثم تسير القصة كما سارت في الأعراف (مع حذف آيات الجراد والقمل والضفادع والدم، وعهد فرعون لبني إسرائيل ونكثه. ومع زيادة

[1] . ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص1344

حلقة وهي أنّ السّامري هو الذي صنع العجل، وتفصيل قصة صنعه. ويذكر الميعاد بسرعة ويغفل الميقات)[1].

كما ذكرت في سورة الشعراء والنمل وفي سورة القصص، وفي سورة الإسراء إشارة سريعة إلى إغراق فرعون والتمكين لبني إسرائيل. وفي سورة يونس عرض قصير لبيان عاقبة التكذيب. وهناك إشارة سريعة إلى الإهلاك بعد التكذيب في صدد قصص مشترك في سورة هود. وكذلك سورة غافر. إضافة إلى ذلك إشارات سريعة في سورة فصلت والزخرف، وفي سورة الذاريات إشارة خاطفة إلى إرسال موسى إلى فرعون بسلطان مبين، وتكذيبه وإهلاكه.

ولا شك أنّ لهذا التكرار حكمة بل حكم بالغة فقد تكرر القصة الواحدة في القرآن، ولكن في تكرارها فوائد في كل منها فائدة لا توجد في الأخرى ، لأنها لما كانت منزَّلة لأجل العبرة والموعظة والتأثير في العقول والقلوب؛ اختلفت أساليبها بين إيجاز وإطناب، وذكر في بعضها من المعاني والفوائد ما ليس في بعضها الآخر حتَّى لا تُملَّ ألفاظها ومعانيها، هذا وإن اختلاف الأساليب وطرق التعبير في قصص القرآن وفي القرآن عموماً عن المعنى الواحد لا تختلف إلا لفائدة لفظية أو معنوية.

وذلك لأنّ القصص في القرآن يهدف إلى تسلية الرّسول الكريم حتّى لا تذهب نفسه حسرات على معاندة قومه، فيقصّ الله عليه أخبار الأنبياء السّابقين ليثبّت فؤاده وفؤاد أتباعه القليلين[2]، لأنّ مشيئة الله تعالى أن ينصر رسوله صلّى الله عليه وسلّم وأتباعه يقول جلّ شأنه: **﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالذِينَ ءَامَنُوا فِي الحَيَواةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾(غافر51)**.أي أنّ نصر الله لرسله ومن تبعهم من المؤمنين، وتأييدهم على من آذاهم في حياتهم الدّنيا، ويوم القيامة،

[1] . ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص ص157-158.

[2] . ينظر: شعبان محمد إسماعيل، المدخل لدراسة القرآن والسنّة والعلوم الإسلامية، ص184.

يوم تشهد فيه الملائكة والأنبياء والمؤمنون على الأمم التي كذّبت رسلها، ببلاغ رسالات الله لرسله.

ومن أهداف القصص في القرآن تحذير المعاندين من عاقبة عنادهم بضرب الأمثال لهم بمن سبقهم من الأمم المعاندة. نجد ذلك واضحا في قصّة موسى عليه السّلام مع فرعون وقومه، وقصّة إبراهيم مع أبيه وقومه، ثمّ قصّة نوح مع قومه، ثمّ قصّة عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة مع أنبيائهم، وقد خُتمت كلّ قصّة من هذه القصص بالآيتين: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَأَيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّومِنِينَ*وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ**﴾(**الشعراء07–08**). **ومن السورة نفسها الآيتين** (**67–68**)، (103-104)، (121-122)، (139-140)، (158-159)، (174-175)، (190-191).

وفي هاتين الآيتين إنذار شديد وتحذير من انتقام الله العزيز الذي لا يغلب، الرحيم الذي يقبل توبة التائبين، لاعن خوف منهم أو خشية من قوتهم ومكانتهم.

وفي سورة القمر قصص مجمل لنوح وهود وصالح عليهم السّلام مع أقوامهم وكيف كانت عاقبتهم، وقد أتبعت كل قصّة بالآيتين:﴿**فَكَيفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ*وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍ**﴾(16-17) هو تعريض بتهديد المشركين أن يصيبهم العذاب جزاء تكذيبهم الرّسول وإعراضهم وأذاهم كما أصاب قوم نوح، "وفي الوقت نفسه تنويه بأنّ القرآن من عند الله، وأنّه سبحانه يسّره وسهّله لتذكر الخلق بما يحتاجونه من التذكير ممّا هو هدى وإرشاد، وهذا التيسير ينبئ بعناية الله به. تبصرة للمسلمين ليزدادوا إقبالا على مدارسته وتعريضا بالمشركين عسى أن ينتهوا عن صدودهم عنه".[1] فالله تعالى سهّل لفظ القرآن للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر، لمن أراد أن يتذكّر ويعتبر.

[1]. ينظر، الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص187.

ثم ذكر فيها قصة لوط عليه السّلام مع قومه وأعقبها بقوله: ﴿**فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ**﴾(**القمر39**). ثم تحدثت السورة عن فرعون وتكذيبه للنذير، وأتبع هذه القصص بقوله:﴿**أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ اولَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي الزُّبُرِ**﴾(**القمر43**).تنبيها لهم لئلا يأمنوا العذاب فإنّهم ليسوا بخير من أولئك الذين أهلكوا. "هذه الجملة كالنتيجة لحاصل القصص عن الأمم التي كذّبت الرّسل من قوم نوح ومن ذكر بعدهم".[1] فمصيركم كمصير الأمم التي خلت من قبل تلك الأمم التي كذّبت الرّسل والرّسالة.

وإذا تتبعنا القصص في القرآن الكريم وجدنا أكثره يهدف إلى تسلية الرّسول عليه الصّلاة والسّلام والمؤمنين من شدّة ما يلاقونه من العذاب والإهانة، فتزوّدهم بالصّبر والثبات والتوكل على الله اقتداء بالرسل وأتباعهم المؤمنين بهم قال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾(**الأحقاف34**).النّص القرآني يدعو الرسول إلى الصّبر على أذى المكذّبين له من قومه، كما صبر من قبله نوح وإبراهيم وموسى وعيسى.

وقوله أيضا: ﴿**وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنَ اَنْبَآءِ الرُّسُلِ مَانُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُومِنِينَ**﴾(**هود119**). أي أنّه في قصص الرّسل من قبلك ما تحتاج إليه للقيام بأعباء الرّسالة.

وتحمل في الوقت نفسه التهديد والوعيد بالهلاك والخزي للمشركين قال تعالى: ﴿**فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الذِينَ كَذَّبُواْ بِئَايَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ**﴾(**يونس73**). لمّا كذّب نوحا قومه بما جاءهم به من الهدي، نجّاه الله ومن معه في السّفينة، وجعلهم يخلفون المكذّبين في الأرض، وأغرق الذين جحدوا حججا، وكيف كانت عاقبة هؤلاء القوم.

[1] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص209.

وهناك هدف آخر من أهداف القصص القرآني ، وهو جعل هذا القصص حجة على أنّ هذا القرآن من عند الله، فإنّ الرّسول عليه الصّلاة والسّلام لم يدرس تاريخا ولم يجلس إلى معلم قط، ثم أتى بهذا القصص الذي قامت البراهين على صدقه، "فكان ذلك من أعظم الأدلة على أنّه من عند الله، إذ لو تأخر نزوله إلى المدينة لقالوا: تعلمه من أهل الكتاب"[1]. ففي سورة هود بعد أن قصّ الله قصّة نوح بتفصيل لم يرد في سورة أخرى أعقب هذه القصة بقوله جلّ شأنه: **﴿تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾**(**هود: 49**) النّص القرآني يدعو رسول الله عليه الصّلاة والسّلام إلى الصبر عن تكذيب قومه وأذاهم له، "وفيه تنبيه على أنّ الصّبر عاقبته النّصر والظفر والفرح والسرور كما كان لنوح عليه السلام ولقومه".[2] فالعاقبة الطيّبة في الدّنيا والآخرة للمتّقين الذين يخشون الله.

وفي سورة يوسف بعد أن قصّ الله خبر يوسف مع إخوته وكيف كانت عاقبة أمره أعقب ذلك بقوله جلّ شأنه مخاطبا رسوله محمد صلّى الله عليه وسلّم:**﴿ذَلِكَ مِنَ اَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيهِمْ إِذَا اَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾**(**يوسف102**).

والقصد من ذلك إثبات نبوّة الأنبياء المتقدّمين بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات، وذكر هلاك من كذّبهم بأنواع من المهالك، ثم ذكر المؤمنين بما أنعم الله عليهم من الأمن والرخاء وسعادتي الدّنيا والآخرة وإثبات نبوّة سيّدنا محمد عليه الصّلاة والسلام.

ولرد شبه المنكرين للقرآن الكريم وإثبات تنزيله من الله تعالى دلائل كثيرة نذكر منها ما جاء في سورة الشعراء: **﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ*نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الاَمِينُ*عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ*بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾**(**الشعراء192–195**). فالقرآن الكريم نزل به جبريل الأمين على

[1] . عادل محمد صالح أبو العلا، خصائص السور والآيات المدنية ضوابطها ومقاصدها، مؤسسة علوم القرآن بيروت، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، د.ط، د.ت، ص49.

[2] . الرازي، مفاتيح الغيب، ج18، ص11.

رسول الله بلغة عربية واضحة المعنى، ظاهرة الدلالة، فيما يحتاجون إليه في إصلاح شؤون دينهم ودنياهم.

ويقول تعالى في سورة الإسراء مخبرا عن كتابه العزيز وهو القرآن المجيد أنّه بالحق نزل: **﴿وَبِالحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا*وَ قُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾(الإسراء105–106)**.أي "متضمّنا لعلم الله الذي أراد أن يطلعكم عليه من أحكامه وأمره ونهيه، نزل به شديد القوى، القوي الأمين المكين المطاع في الملأ الأعلى، جاء بشرى لمن أطاع النّبي عليه الصّلاة والسلام، ونذيرا لمن عصاه من الكافرين".[1] فالقرآن نزل بالحقّ على رسول الله، فجاء مبشّرا بالجنّة لمن أطاع، ومخوّفا بالنّار لمن عصى وكفر.

وتوجيها من الحق تبارك وتعالى لما ينبغي للمؤمنين التحلي به من آداب عند تلاوته يقول: **﴿وَإِذَا قُرِئَ القُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(الأعراف204)**.هي إعادة تذكير للمشركين تصريحا أو تعريضا بأن لا يعرضوا عن استماع القرآن، وبأن يتأملوه ليعلموا أنّه آية عظيمة، وأنّه بصائر وهدى ورحمة لمن يؤمن به ولا يعاند. فالاستماع والإنصات المأمور بهما هما المؤديان بالسّامع إلى النظر والاستدلال، والاهتداء بما يحتوي عليه القرآن من الدلالة على صدق الرسول عليه الصّلاة والسّلام، ولما جاء به من إصلاح النفوس. فالأمر بالاستماع مقصود به التبليغ واستدعاء النّظر والعمل بما فيه.[2]

فحسن الاستماع المقصود منه التأمّل والتدبّر في آيات الله، والإنصات لها يكون بالقلب والعقل معا حتى يتمكّن الشخص من فهم كلام الله، والغوص في معانيه، والتأثر به، ومعرفة أسراره، وأنّه كتاب الله المنزل على نبيّه الصادق الأمين.

[1] . ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص1147.

[2] . ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص139.

ويقول سبحانه عزّ وجل في ذمّ المشركين على نكيرهم عند سماع القرآن الكريم: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ**﴾(**الانشقاق21**) أي إذا قرئ عليهم القرآن لا يخضعون لله ولمعاني القرآن وحجّته ولا يؤمنون بحقيقته.

وفي موقف من مواقف المشركين المتعددة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في مساومتهم له يطلبون منه أن يأتي بقرآن غير هذا الذي أتى به، لا يتعرض لآلهتهم وعقائدهم وجاهليتهم، كي يستجيبوا له ويؤمنوا به، أو أن يبدّله بغيره لمّا وجدوا أنّ هذا يسفّه آلهتهم التي زعموها يقول تبارك وتعالى:﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ايتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنُ ابَدِّلَهُ مِن تِلْقَآءِ نَفْسِيَ إِنَ اَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾(**يونس15**)"وهو طلب عجيب لا يصدر عن جد ، إنّما يصدر من عبث وهزل، وعن جهل كذلك بوظيفة هذا القرآن وجديّة تنزيله، إنّه دستور حياة شامل من مدبّر الكون كلّه، وخالق الإنسان وهو أعلم بما يصلحه، فما يكون لرسول الله عليه الصّلاة والسّلام أن يبدّله من تلقاء نفسه، إذ ما هو إلاّ مبلغ متبع للوحي الذي يأتيه. وكل تبديل فيه معصية وراءها عذاب يوم عظيم".[1] فرسول الله عليه الصّلاة والسّلام أدّى الأمانة فقط، وبلّغ الرسالة، وحاشاه أن يبدّل أو يحرّف كلام الله، وهو الصّادق الأمين.

ثمّ يقولون أنّه مفترى افتراه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأتى به من عنده، فتحداهم القرآن الكريم إن كان ما يقولونه حقا أنّه من عند محمد، فليأتوا بمثل ما أتى به محمد، وإلاّ فإنّ دعوتهم هذه لا أساس لها من الصّحة يقول تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ العَالَمِينَ*أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾(**يونس37-38**). "فهذا القرآن بخصائصه الموضوعية والتعبيرية، بهذا الكمال في

[1] . ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص1771.

تناسقه، وبهذا الكمال في العقيدة التي جاء بها، وفي تصوير حقيقة الألوهية، وفي تصوير طبيعة البشر وطبيعة الحياة، وطبيعة الكون... لا يمكن أن يكون مفترى من دون الله، لأنّ قدرة الله هي الوحيدة التي أتت به"[1].

إنّه كلام الله الذي عجزت القدرة الإنسانية على الإتيان بمثله ومن يدرك بلاغة لغته، ويتذوق جمالها الفنّي والتناسق فيها، يدرك أنّ هذا النّسق من القول لا يقدر له إنسان.

وحينما يتكلم القرآن عن الهداية يبيّن أنّ سبيلها هو القرآن نفسه، لأن من قرأه وتدبّر في معانيه ومكنوناته، وعمل بما جاء به وسلك منهجه، فقد هُدي إلى صراط مستقيم يقول تعالى: **﴿إِنَّ هَذَا القُرْءَانَ يَهْدِي لِلتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ المُومِنِينَ الذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمُ أَجْرًا كَبِيرًا﴾(الإسراء09).** ويشمل الهدى أقواما وأجيالا بلا حدود من زمان أو مكان، ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان.

جاءت هذه الآية تنفيسا على المؤمنين من أثر القصص المهوّلة التي قصّت عن بني إسرائيل، وما حلّ بهم من البلاء، ممّا يثير في نفوس المسلمين الخشية من أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك، "فأخبروا بأن في القرآن ما يعصمهم عن الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل، إذ هو يهدي للطريق التي هي أقوم، ولذلك ذكر مع الهداية بشارة المؤمنين الذين يعملون الصّالحات، وإنذارا للذين لا يؤمنون بالآخرة".[2] والغرض من هذه السّورة تأييد النّبي صلّى الله عليه وسلّم بالآيات والمعجزات، ولعلّ أعظم آية هي آية القرآن الكريم.

وفي السورة نفسها إشارة إلى أنّ القرآن فيه شفاء للمؤمنين ورحمة: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُومِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾(الإسراء82).** فالقرآن كلّه شفاء ورحمة للمؤمنين وخسارة للكافرين،" لأنّ كل آية من القرآن من أمره ونهيه ومواعظه وقصصه وأمثاله

[1]. ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص1785.

[2]. الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج15، ص40.

ووعده ووعيده، كل آية من ذلك مشتملة على هديٍ وصلاح حال المؤمنين. ومشتملة بضد ذلك على ما يزيد غيظ المستمرين على الظلم"[1] وهم بذلك يزدادون بالغيظ كراهية للقرآن، وبذلك يزدادون خسارا بزيادة آثامهم واستمرارهم على فساد أخلاقهم، وبعد ما بينهم وبين الإيمان.

ولعلّ الحكمة في اعتناء القرآن المكي بقصص الأنبياء والأمم الغابرة ظاهرة جدا في حِكَم نزول القرآن منجّما، وما كان لها من أثر عظيم في تثبيت النّبي صلّى الله عليه وسلّم والمسلمين، ومواساتهم فيما كان يصيبهم، وإنذار أعدائهم، وإثارة العبرة والعظة بقصص من سبقهم، ومن الحكم نذكر ما يلي:

- بيان بلاغة القرآن الكريم في أعلى مراتبها، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصص المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب متميّز عن الآخر، وتصاغ في قالب مختلف، ولا يملّ الإنسان من تكرارها، بل تتجدّد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.
- قوة الإعجاز، فإيراد المعنى الواحد في صور متعدّدة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدّي.
- الاهتمام بشأن القصّة لأنّها محبّبة إلى النفس لتمكين عبرها في نفس المستمع، لأنّ التكرار من طرق التأكيد و أمارات الاهتمام كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون، فهي تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل، مع أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثُر تكرارها.[2]

[1] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، ج15، ص ص189-190.

[2] . ينظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط11، 2000، ص303.

- اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة، فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب ما يقتضيه الحال.

2- الدعوة إلى أصول الإيمان الاعتقادية من الإيمان بالله واليوم الآخر، وما فيه من البعث والحشر والجزاء والإيمان بالرسل والملائكة،" وإقامة الأدلة العقلية والكونية والأنفسية على ذلك، وهذه الثلاثة وأدلتها هي التي يدور عليها غالبا الحديث في السور المكية؛ وذلك لأن القوم كانوا منغمسين في الشرك والوثنية، وكانوا لا يقرون بالنبوات ولا بالبعث وما بعده، ويقولون: إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين، فكان اللائق بحالهم دعوتهم أولا إلى الإيمان بهذه الأصول فإذا ما آمنوا بها خوطبوا بالفروع والتشريعات التفصيلية".[1]

ولننظر إلى هذه الآيات التي تدعو إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده:﴿**وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَاتُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ*وَهُوَ اللهُ لَآ إِلاَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولَى وَالاَخِرَةِ وَلَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ*قُلَ اَرَآيْتُمُ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اليْلَ سَرْمَدًا اِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنِ اِلَهُ غَيْرُ اللهِ يَاتِيكُم بِضِيَاءٍ اَفَلَا تَسْمَعُونَ*قُلَ اَرَايْتُمُ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا اِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنِ اِلَاهٌ غَيْرُ اللهِ يَاتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ*وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اليْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾(القصص**69-73**).

ونتأمل هذه الآيات الخاتمة من سورة ابراهيم بما تعرض من مشاهد القيامة:﴿**فَلَا تَحْسِبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ... وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الاَلْبَابِ**﴾(ابراهيم**49-54**). فالخطاب وإن كان خاصّا بالنّبي صلّى الله عليه وسلّم، فهو موجّه لعموم النّاس، ليوقنوا أنّ الله هو الواحد الأحد، المعبود بحق لا شريك له، وليتّعظ به أصحاب العقول السّليمة.

[1]. ينظر: محمد محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط3، 1987، ص228.

ويطمئن القلب إيمانا بالآخرة وهو يتفكر في هذه الآيات من سورة ق: ﴿**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَالَهَا مِن فُرُوجٍ... كَذَلِكَ الخُرُوجُ**﴾(**ق06-11**). النّص القرآني يبيّن كيف أنّ الله سبحانه وتعالى خلق السّموات والأرض وما فيهما من الآيات العظيمة عبرة لمن يعتبر، فكما أحيا الله الأرض بعد موتها سيخرج العباد أحياء بعد الموت.

وهكذا الحجّة البالغة في مثل هذه الآيات الخاتمة من سورة القيامة: ﴿**أَيَحْسِبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى*اَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ تُمْنَى*ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى*فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثى*أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى**﴾(**القيامة35-39**).فالإنسان خلق من ماء و طُوّر أطوارا حتّى صار جسدا حيّا تامّ الخلقة والإحساس، فكان بعضه من صنف الذكور، وبعضه من صنف الإناث، فالقادر على هذا الخلق البديع لا يعجزه إعادة خلق كلّ واحد كما خلقه أوّل مرّة بحكمة دقيقة وطريقة أخرى لا يعلمها إلّا هو سبحانه.

3- الحملة على الشرك والوثنية، والإلحاد والدّهرية، وإقامة الحجج والبراهين الدامغة على بطلان عقائدهم الزائغة،" مستعينا بضرب الأمثال وأنواع البيانات، حتّى كشف لهم سوء عقائدهم وفضحها حتّى جعل أصنامهم دون الذباب"،[1] والدليل على ذلك قول الحق في سورة العنكبوت: ﴿**مَثَلُ الذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾(**العنكبوت41**).

ولمّا كان التقليد منبعا خطيرا من منابع الضلال، واحتج المشركون بما وجدوا عليه آباءهم،" عُني القرآن بتوسيع آفاق العقل والفكر وأمر بالتفكّر وحثّ على النظر والتعقّل، وسفّه أحلامهم وأحلام آبائهم حتّى جعل التقليد الأعمى للآباء عارا، يعتبر به المعتبر، فضلا عن تقليد الأعداء فيما يبتكرونه في الفكر من أزياء"[2]. قال تعالى: ﴿**بَلْ قالُوا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى**

[1] . ينظر: نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، ص 61.

[2] . المرجع نفسه، ص 62.

آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءَكُمْ قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ﴾ [الزخرف: 22– 24] وقال سبحانه: **﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا أَوَلَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: 21]**، فقد أقام سبحانه الحجة على المشركين في بطلان عبادتهم الأصنام، وبيان أنها بمعزل عن الألوهية واستحقاق العبادة، وأنها لا تضر ولا تنفع، ودعوتهم إلى استعمال عقولهم ونبذ التقليد بغير حجة وعلم، وإقامة الأدلة على أن القرآن حق لا شك فيه، وأنه من عند الله.

4- الدعوة إلى أصول التشريعات العامة والآداب والفضائل الثابتة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ولاسيما ما يتعلق منها بحفظ الدين والنفس والمال والعقل والنسب، وهي الكليات الخمس التي تتفق فيها جميع الشرائع السماوية، وذلك كالحث على الثبات على العقيدة والاستهانة بكل شيء في سبيلها والأمر بالصلاة والصدقة، والصدق، والعفاف وبر الوالدين، وصلة الرحم، والعفو، والعدل، والإحسان والتواصي بالحق، والخير، والصبر، والنهي عن القتل، ووأد البنات، والظلم، والزنا وأكل أموال الناس بالباطل[1].

ولننظر إلى هذه الآيات بالوصايا العشر الأخلاقية والاجتماعية في سورة الإسراء: **﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ...فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾(الإسراء23–39)**، النّص القرآني بيّن ووضّح الأحكام الجليلة التي جاء بها القرآن الكريم، وأوحى بها الله سبحانه وتعالى لنبّه عليه الصّلاة والسّلام، من الأمر بمحاسن الأعمال، والنّهي عن أراذل الأخلاق.

[1] ينظر: محمد محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص229.

وقوله تعالى في أواخر سورة الأنعام: ﴿**قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمُ...**﴾ **الآيتين (152-153).**يدعو النّص القرآني للامتثال لأوامره سبحانه وتعالى، كالتفرّد بعبادته، والإحسان إلى الوالدين، والانتهاء عمّا نهاهم عنه ، من قتل الأولاد خشية الفقر، وقتل النّفس بغير حق، وغيرها من الوصايا التي ذُكرت في هذا النّص القرآني.

وفي سورة الأعراف: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ**﴾(**الآية199**). الخطاب موجّه للنّبي عليه الصّلاة والسّلام، بأن يقبل الفضل من أخلاق النّاس وأعمالهم، ويأمر بكل قول حسن وفعل جميل، وأن يُعرض عن منازعة السّفهاء، والجهلة الأغبياء.

وفي سورة النحل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ**﴾ (**الآية90**)، أمر الله عزّ وجلّ عباده بالعدل والإنصاف في حقّه بتوحيده وعدم الإشراك به. وقوله تعالى في سورة القلم: ﴿**وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**﴾ (**الآيات10–11**). هو تحذير للمسلم من موافقة من اتّصف بهذه الصفات الذميمة.

كانت هذه أهم الخصائص الأسلوبية والموضوعية التي تميّزت بها الآيات والسور المكية، في حين هناك أيضا خصائص أسلوبية وأخرى موضوعية تميّزت بها الآيات والسور المدنية نذكرها باختصار.

رابعا: الخصائص الموضوعية والأسلوبية للسور المدنية.

أ- الخصائص الموضوعية:

من أهم خصائصها اعتنائها بالموضوعات التالية:

1- التحدث عن التشريعيات التفصيلية والأحكام العملية في العبادات والمعاملات "كأحكام الصّلاة والصيام والزكاة والقصاص والنكاح والطلاق والبيوع والمداينات، والربا والحدود كحد القتل والزنا والسرقة، والكفارات ككفارة القتل الخطأ، وتنظيم الأسرة، وما يتّصل بالمواريث والوصايا"[1]. كما هو ملا حظ في سورة البقرة والنساء والمائدة والنور.

ثانيا: مجادلة أهل الكتاب ومناقشة آرائهم التي تعارض أحيانا حقائق التاريخ، ودعوتهم إلى الإيمان بالدين الإسلامي الذي بُشّرت به رسلهم "فالسور المدنية كثيرة الحديث عن اليهود وعنادهم وسوء أدبهم مع الله تعالى"[2] وأكثر هذا الحديث عن اليهود والنّصارى في سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة.

2- "فضح للمنافقين، وكشف مؤامراتهم، وعرض تناقضاتهم، وتسفيه شعاراتهم المخادعة التي يطرحونها، والتحذير من أساليبهم، وإظهار ما بهم من سوء الطباع والجبن والهلع"[3]، "لأنّ النّفاق لم يظهر إلّا في المدينة من قوم مرضى الأخلاق، ومرضى القلوب خافوا من سطوة المسلمين، فقد أصبحت لهم شوكة، ولم تكن عند هؤلاء الشجاعة كأهل مكّة أن يجهروا برأيهم، ورأوا أنّ الدولة تتسع أركانها كلّ يوم فطلبوا المغانم بإظهار الإسلام، وأبطنوا الكفر حقدا وحسدا".[4]

---

[1] . عادل محمد صالح أبو العلا، خصائص السور والآيات المدنية ضوابطها ومقاصدها، ص45.

[2] . شعبان محمد إسماعيل، مع القرآن الكريم . تاريخه، خصائصه، أحكامه، أسراره، قراءاته، آداب تلاوته، ناسخه ومنسوخة، دار الاتحاد العربي للطباعة، 1978، ص163.

[3] . محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي، ط3، 1990، بيروت، ص148.

[4] . شعبان محمد إسماعيل، مع القرآن الكريم، ص164.

فالكفار المجاهرون بكفرهم أخفّ عذابا ، لأنّ كلا الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعاداة الله ورسوله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق والخداع، وبلية المسلمين بهؤلاء أعظم من بليّتهم بالكفار المجاهرين.

ولما كان هؤلاء أخطر على الدولة الناشئة من أعدائها المجاهرين، كثُرت الآيات فيهم تكشف خباياهم، وتحذر من شرّهم، ودليل ذلك ما جاء في سورة البقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة، حتى أُنزلت سورة خاصّة تحمل اسم "المنافقون"، وغير ذلك من مواضع في القرآن الكريم تتعلق بهم.

3- ومن مميزات السور والآيات المدنية ذكر أحكام الجهاد والحرب والسلم والهدنة مما يتصل بشؤون الدولة المسلمة وعلاقاتها الدولية، كالحديث عن الغزوات وما يتصل بها من أحداث." لأنّ القتال إنّما شُرع في المدينة للدفاع عن العقيدة وردّ طغيان الأعداء، الذين يريدون إطفاء نور الله بأفواههم. ففي سورة آل عمران حديث عن غزوة أحد، وسورة الأنفال تتحدث عن غزوة بدر الكبرى، وغزوة تبوك في سورة التوبة". [1]

فالكثير من أعداء الإسلام شوّهوا الصورة الحقيقية للجهاد، ورسموها في صورة بشعة من شراسة الطبع والهمجية، وسفك الدماء، غير أنّ القتال في سبيل الله لا يكون إلاّ في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وإعلاء راية الإسلام. فهو دفاع عن العقيدة، وإحقاق للحق، وإزهاق للباطل، ومحاربة للكفر وللكافرين.

[1] . شعبان محمد إسماعيل، مع القرآن الكريم، ص167.

ب- الخصائص الأسلوبية:

فالسور المدنية عكس المكية تمتاز بطول أكثر آياتها وسورها، كما هو واضح من سورة البقرة وآل عمران. كما أنّها غالبا ما تسلك سبيل الهدوء، واللين في أسلوبها، واسترسال فواصلها.[1]

ولعلّ الحكمة في اختيار هذا الأسلوب اشتمال القرآن المدني على الموضوعات السابقة، والتي تقتضي البسط والإسهاب، كما أنّ الخطاب في المدينة كان موجّه في أكثره للمؤمنين، وذلك يناسب الهدوء واللين.

إنّ تتبع السور المكية والمدنية والنظر في موضوعاتها وأسلوبها يكشف عن المنهج الذي رسمه القرآن للدعوة في مراحلها المختلفة، فكانت موضوعات السور المكية تتحدث عن قضية العقيدة خاصّة، وتعددت صوّر عرضها في أسلوب قوي موحٍ عميق الإيقاع، بالغ التأثير حيث تشترك في أداء هذا الغرض كل خصائص التعبير من البناء اللفظي، إلى المؤثرات الموضوعية.

وبمناسبة الحديث عن الأسلوب فللقرآن أسلوبه الذي تميز به بما فيه من خصائص فنية، وسمات بلاغية، ولطائف لغوية، وسلامة منطقية، وبراعة تعبيرية، ودقة تصويرية، وروعة بيانية يقول الزرقاني: «أسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه»[2].

ولا غرابة أن يكون لهذا الأخير أسلوب خاص به، فإن لكل كلام إلهي أو بشري أسلوبه الخاص به وأساليب المتكلمين وطرائقهم في عرض كلامهم من شعر أو نثر تتعدد بتعدد أشخاصهم، بل تتعدد في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات التي يتناولها والفنون التي يعالجها، وهذا هو السر في أنّ الأساليب مختلفة باختلاف المتكلمين من ناثرين وناظمين، مع أنّ المفردات والتراكيب التي يستخدمها الجميع واحدة.

[1] . نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، ص68.

[2] محمد عبد العظيم الزرقانيُّ ، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ص239.

ولهذا أفاض العديد من الأدباء والبلغاء والعلماء في دراسة الأسلوب القرآني قصد بيان خصائصه وسماته ومميزاته المختلفة التي تبرهن على إعجازه وقوة بيانه، مثل الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن" ، والزرقاني في كتابه "مناهل العرفان"، والرافعي في كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" وكتابه "تاريخ آداب العرب"، ومحمد بكر إسماعيل في كتابه "دراسات في علوم القرآن" وغيرهم ممن خصه بالحديث أو ضمنه في مؤلفه ، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على جمالية لغة القرآن وبراعته في التعبير والتقرير وما يحتوي عليه أسلوبه من دقة في التصوير، باعتبار هذا الأخير (التصوير) من السمات الأساسية البارزة للأسلوب القرآني في طريقة التعبير عن المعاني والأفكار والتصورات التي يريد إيصالها وإيضاحها للمخاطبين، سواء كانت معاني ذهنية مجردة، أو قصصا غابرة، أو مشاهد ليوم القيامة وغيرها من المجالات. "فالتصوير القرآني يحمل طابع الصبغة الإلاهية المعجز في بنائه التعبيري وتنسيقه الفني، وأسلوبه في الأداء".[1]

إن الأسلوب القرآني يجسد المعنى الذي يُرَاد إيضاحه للمتلقي في قالب من الصور البيانية تجعلها كأنها مجسمة بين ناظريه، فينظر القارئ في تفصيلات الصورة، وكأن المشهد يجري بين عينيه حيا متحركاّ، فتكون أقرب إلى الفهم وأوضح في الذهن مما لو نقل المعنى مجردا من تلكَّ الصور الحيّة. يقول محمد بكر إسماعيل: "فالقرآن الكريم يبرز المعاني المعقولة في صور محسنة منتزعةَ من الواقع المشاهدَ، مؤتلفة ائتلافا عجيبا في قوالب كلية متحركة، تشعر فيها بالأصوات والألوان والحركات، مما يجعلك تعيش مع الواقع الذي تصوره لك هذه التشبيهات والاستعاراتً والكنايات، المسبوكة سبكا فريدا يأخذ بمجامع القلوب، ويملك على الإنسان حسه ومشاعره، فلا يحتاج إلى مزيد تصوير للحقائق التي يذكرها القرآن في ثنايا هذه اللوحات البارعة البديعة في عناصرها، وائتلافها وانسجامها مع معانيها ومراميها".[2]

[1] . صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفاروق، عمان- الأردن، ط1، 2016، ص282.

[2] . محمد بكر إسماعيل ، دراسات في علوم القرآن ، دار المنار، ط2، 1419هـ-1999م، ص 331.

هي تشبيهات واستعارات وكنايات حيوية، تستمد حيويتها من الطبيعة في أسمى مظاهرها وأبهج مناظرها... ومن سماته التي اكتشفوها بالاستقراء والتتبع لهذه الصور البيانية أنها تصور الغائب حتّى يصبح حاضرا، وتقرب البعيد حتى يصير قريبا دانيا ومن سماتها أنّها تتغلغل في النفس البشرية حتى تصير جزءا من كيانها الروحي.

والبداية ستكون مع جني أول ثمرة من جنان أساليب التصوير القرآني ألا وهي "المجاز". ولمزيد من الشرح والتوضيح لهذا الأسلوب خصصنا له الفصل الموالي.

الفصل الثاني:

أسلوب المجاز في النص القرآني المكي

أولا: المجاز المرسل وعلاقته.

ثانيا: المجاز اللغوي الاستعاري.

يعد المجاز من الموضوعات التي أثرت الدراسات القرآنية بكثير من الاهتمام والتمحيص والتدقيق، إذ قدّم هذا الأخير خدمة للقرآن الكريم في البلاغة العربية، في معرفة أسراره الخفيّة، ودلائله الإعجازية، وكنوزه البلاغية، وللأثر الكبير الذي يتركه هذا الأخير ويحدثه في نفس المتلقي، فالمجاز ركن أساسي في اللغة العربية، وليس عارضا فيها، "فهو أحد شقي الكلام (الحقيقة والمجاز)"[1] والعرب كثيرا ما تستعمل المجاز وتعدّه من مفاخر كلامها، "فإنه دليل الفصاحة ورأس البلاغة"[2].

المجاز لغة واصطلاحا.

أ- لغة:

المعنى الاصطلاحي للمجاز مستمد من المعنى اللغوي للكلمة جاء في "لسان العرب" في معنى "المجاز": جزت الطريق، وجاز الموضع جوازا: سار فيه وسلكه، وجاوزت الموضع بمعنى: جزته، والمجاز والمجازة الموضع، والمجاز والقطع يتضمنان معنى الانتقال.[3]

ب- اصطلاحا:

إلاّ أنّ دلالة مصطلح "المجاز" اختلفت عند المفسّرين والبلاغيين، إذ تعني كلمة المجاز عند أبي عبيدة" الطريقة التي يسلكها القرآن في تعبيراته، وهي التفسير والتأويل وتوجيه الكلام"[4]، وهذا المعنى أعمّ من المعنى الاصطلاحي الذي حدّ به علماء البلاغة كلمة "المجاز". فقد تعدّدت تعريفاتهم له، لكنّها تدور حول المعنى اللغوي، ولا تخرج عنه فقد عرّفوا المجاز أنّه: "استخدام اللفظة

[1] . محمد حسين علي الصغير، مجاز القرآن وخصائصه الفنية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1994، ص49.

[2] . ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط2، 1955، ص265.

[3] . ابن منظور، لسان العرب، ج5، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت، مادة (جوز)، ص326.

[4] . أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج1، علق عليه: محمد فؤاد سزكين، منشورات الخانجي، مصر، ط1، 1954، ص18.

في غير ما وضعت له ، لعلاقة مع قرينة تمنع إيراد المعنى الحقيقي لها"[1] ومن هنا يتبيّن أن المجاز ضد الحقيقة، وذلك أن الحقيقة في استخدام الألفاظ فيما وُضعت له في أصل اللغة.

وينبغي أن يُعلم أن الحقيقة في بابها بيان وبلاغة، فلا يقلل من شأن الكلمة أن تكون مستعملة في معناها الحقيقي الذي وضعت له، إذا كان ذلك ممّا يقتضيه المقام، بل إنّ البلاغة حينئذ تكون في استخدام هذه الألفاظ على حقيقتها، أمّا إذا تطلّب المقام للمجاز، فإنّ البلاغة حينئذ تكون في المجاز.[2]

ولا جدل في هذا ذلك أن "الحقيقة والمجاز وسيلتان من وسائل التعبير، لا تغني إحداهما عن الأخرى في نقل المعنى، أو رسم الصورة، فها هو القرآن الكريم حافل بأساليب الحقيقة، وفنون المجاز جنبا إلى جنب، ولو كان أحدهما أمتع للأسماع، أو أجمع للفكرة لاقتصر عليه دون الآخر".[3]

وعلى هذا يحمل ما نقل عن كثير من العلماء من الحفاوة بالمجاز والعناية به، إذ لا تخفى مكانة هذا المجاز وأثره في التعبير، وأداء المعاني في المقامات التي تتطلّبه وتستدعيه.

ولا بدّ لهذا المجاز من علاقة وقرينة، "فالقرينة هي التي تبيّن أنّ المعنى الحقيقي غير مُراد، وأنّ المعنى المجازي هو المقصود، وقد كثرت هذه القرائن وتعددت سواء كانت لفظية أو عقلية، ولكن يجمعها كلها أمر واحد وهو ما يدل على تعذر حمل اللفظ على معناه الحقيقي".[4]

---

[1] . أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، ط2، 1996، ص589.

[2] . ينظر: عبد العزيز بن صالح العمار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن دراسة بلاغية تحليلية، جائز دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 2007، ص30.

[3] . عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1992، ص287.

[4] . ينظر: ركن الدين محمد بن علي الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب القاهرة، 1418هـ، ص185.

ومن خلال هذه العلاقات يتبين نوع المجاز ، فإذا كانت العلاقة بين المعنيين المشابهة كان ذلك المجاز استعارة، وإذا كانت تلك العلاقة غير المشابهة كان ذلك مجازا مرسلا، وهناك نوع آخر من المجاز يتعلق بالتجوز في الإسناد، وهو المجاز العقلي.

يقول عبد القاهر الجرجاني: "وأمّا المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الأول والثاني"[1] وقسّمه إلى قسمين:

لغوي: وهو نوعان:

1- **مجاز مرسل**: وهو كل مجاز لم تكن العلاقة فيه هي المشابهة، وسميّ مرسلا" لأنّه لم يقيّد بعلاقة المشابهة أو لأنّ له علاقات شتّى"[2].

2- **استعارة**: وهي كل مجاز بني على علاقة المشابهة.

3- **عقلي**: ويكون في الإسناد أي إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له.

وستكون البداية مع النوع الأول من المجاز اللغوي ألا وهو "المجاز المرسل" وهو واسع الاستعمال في القرآن الكريم، وكثرة شواهده دليل على ذلك، وحدّه القزويني بقوله: "هو ما كانت العلاقة بين ما استُعمل فيه ، وما وُضع له ملابسة غير التشبيه"[3] وهذا يعني أنّ الكلمة مستعملة قصدا في غير معناها الأصلي، لملاحظة علاقة غير المشابهة بين المعنيين.

[1] . عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2003، ص324.

[2] . عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص143.

[3] . الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح :محمد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط5، 1980، ص280.

أولا: المجاز المرسل وعلاقته.

توسّع البلاغيون في استخراج علاقات المجاز المرسل ومنها: الجزئية، الكلية، السببية، المسببية، المحلية، الحالية، الزمانية، المكانية، والعموم والخصوص، ومن أهم علاقاته في القرآن الكريم:

أ . ما يقوم على العلاقة الجزئية: أي إطلاق الجزء وإرادة الكل: مثال ذلك قوله تعالى في سورة الروم: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ**﴾(**الروم29**) "أي أخلص دينك لله وأقبل على الإسلام بهمّة ونشاط".[1] شبّه الإقبال على الدين بتقويم وجهه إليه وإقباله عليه، أي سدّد وجهك يا رسولنا للدين الإسلامي بحيث لا تنظر إلاّ إليه.

وقوله كذلك: ﴿**بِمَا كَسَبَتَ أَيْدِي النَّاسِ**﴾(**الروم43**) "أي ظهور البلايا والنكبات في برّ الأرض وبحرها سبب معاصي الناس وذنوبهم".[2] بيّن سبحانه أنّ الشرك والمعاصي سبب لظهور الفساد في العالم، وظهور الفساد هو القحط وعدم النبات، ونقصان الرزق، وكثرة الخوف، والظلم وغير ذلك، وهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل.

وفي سورة هود: ﴿**وَعَصَوْا رُسُلَهُ**﴾(**هود58**). والمراد ذكر إجرامهم فناسب أن يناط الجرم بعصيان جنس الرسل لأن تكذيبهم هودا لم يكن خاصّا بشخصه، وهو تفظيع لحالهم ، وبيان أنّ عصيانهم له عصيان لجميع الرّسل والسّابقين واللاّحقين[3]. مجاز مرسل علاقته الجزئية.

وقوله: ﴿**بِمَا قَدَّمَتَ أَيْدِيهِمْ**﴾(**القصص47**) والمراد "بما كسبوا من الشرك والمعاصي"[4]، وهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، فلما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي، جعل كلّ عمل معبّرا عنه بالأيادي.

---

[1] . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص 478.

[2] . المصدر نفسه، ص481.

[3] . ينظر، الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص105.

[4] . أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص1109.

وقوله أيضا في السورة نفسها: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾(**القصص88**) أي إلاّ إياه، "والمراد بالوجه هنا الذات القدسية لله عزّ وجل، ولما كان الوجه هو ذلك الجزء الذي لا يستغنى عنه في الدلالة على كل ذات، فلا أحد يستحق أن يؤله ويحب ويعبد، إلاّ الله الكامل الباقي، وما سواه كله باطل وهالك ببطلان غايته، وفساد نهايته"[1]. عبّر به هنا عن الذات الإلاهية مجازا بإطلاق الجزء وإرادة الكل.

ومنه قوله: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ**﴾ (**الحجر22**)، "أي تلقح السحاب فيمتلئ ماء، كما تنقل مادة اللقاح من ذكر الشجر إلى أنثاه"[2]، فالرياح الهادئة المطمئنة الطيّبة هي التي تحمل في نسائمها الخير، فتجمع في هبوبها السحب والغيوم، وتسبّب نزول الغيث، وتنتقل بين النباتات حاملة أجزاء الأنوثة فيها عناصر الذكورة لتؤدي عملية التلقيح، وهي جزء من إرسال الرياح وليس كلّها.

ضف إلى ذلك قوله في سورة القيامة:﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ**﴾(23). وقوله في سورة الغاشية:﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ**﴾(02) والمراد أصحابها .وفي الآيتين مجاز مرسل علاقته الجزئية.

وقوله تعالى: ﴿**يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ**﴾(**يوسف09**) والخلو: "حقيقته الفراغ، وهو مستعمل هنا مجازا في عدم التوجه لمن لا يرغبون توجه له، أي يخلو وجه أبيكم لكم".[3] أي أنّ يوسف شغله عنّا وصرف وجهه إليه، فإذا فقده أقبل علينا بالميل وأفردنا بالمحبة. ف:"وجه أبيكم" يعني ذاته فقد أطلق الجزء وأراد الكلّ، وعبر عن الذات بالوجه لما في لفظة الوجه من دلالات توحي بتوجهه (عليه السلام) لهم وانشغاله بهم.

[1] . عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، اعتنى به: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2006، ص622.

[2] . أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 2002،ص738.

[3] - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص223.

ب . ما يقوم على العلاقة الكلية: أي إطلاق الكل وإرادة الجزء: كقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿**وَقالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾ (**يوسف99**). ومعلوم أنهم لا يستوعبون البلد كلها، وإنما يدخلون جزءا منها، وبذلك زاد المجاز في توضيح المعنى وخاصة عند إطلاق الكل.

ومثاله أيضا في سورة الشورى:﴿**وَمِنْ ايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالاَرْضِ وَ مَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ**﴾(**الشورى27**) "فلفظ دابة أطلق على عموم المخلوقات، على أن في السّموات خلقا يدبّون فيها كما يدبّ الأناس في الأرض، ويراد بما في السّموات الملائكة".[1] وهو مجاز مرسل علاقته الكلية.

ج . العلاقة السّببية والمسبّبية: ويقصد بالسببية في المجاز كون المعنى الأصلي سببا في المعنى الفرعي، ومن شواهد هذا النوع من المجاز قوله تعالى: ﴿**وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّماءِ رِزْقًا**﴾(**غافر12**). "أطلق الرزق وأراد المطر"[2]، لأنّ الماء سبب في جميع الأرزاق، والرزق لا يُنَزَّلُ من السماء، وإنما الذي يُنَزَّلُ هو المطر الذي ينتُج عنه الرزق، ومعنى ذلك أن المطر وهو السبب سُمِّيَ باسم مُسَبَّبه الرزق. فهو من باب إطلاق المسبب وإرادة السبب.

وقوله:﴿**أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ**﴾(**الزمر18**)." أي لا يقدر على إنقاذه من النار أحد إلّا الله، فنزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا بمنزلة دخولهم النار، ونزل اجتهاد الرسول عليه السّلام في دعائهم إلى الإيمان منزلة إنقاذهم من النار".[3] فالظلال إذن سبب لدخول النار، أطلق المسبب وأراد السبب.

---

[1] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج7، ص496.

[2] . المصدر نفسه، ص 436.

[3] . ينظر، المصدر hgshfr، ص405.

وكذلك قوله:﴿**وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ**﴾(**الجاثية04**)، أي مطر، لأنّ الرزق لا يتنزّل من السماء، ولكن ينزل المطر الذي ينشأ عنه النبات والرزق،[1] وهو مجاز مرسل علاقته السببية.

ومنه لفظ "الرجز" في قوله تعالى:﴿**وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ**﴾(**المدثر 05**)، فالمعنى الحقيقي للرِجز العذاب والمعصية، عبّر بهذا الأخير "الرجز"، وهو العذاب الشديد لأنّه مسبب عن عبادة الأصنام، ويحمل هنا على ما يشمل من الأوثان وغيرها من أكل الميتة والدم[2]، فعلاقة هذا المجاز المسببية.

ومنه أيضا قوله في سورة القصص: ﴿**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ**﴾(35) من باب إطلاق السبب وإرادة المسبب، لأنّ شدّ العضد يستلزم شد اليد، وشد اليد مستلزم للقوة، ويمكن أن يكون من باب" الاستعارة التمثيلية" حيث شبّه حال موسى في تقويته بأخيه بحال اليد في تقويتها بيد شديدة.

ومنه قوله في سورة هود: ﴿**إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُون...**﴾(14) مجاز عن الضعف والعجز والعلاقة هي السببية. وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ اِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾(**ابراهيم05**) أي متكلما بلغة من أرسل إليهم من الأمم، والعلاقة السببية، لأن اللسان آلة النطق.

وقوله في سورة الأنعام: ﴿**قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا**﴾(149)."أي هل عندكم دليل صحيح يعد من العلم النافع فتخرجوه إلينا لننظر فيه ونتدبره، والمقصود من هذا التبكيت لهم، لأنّه قد علم أنّه لا علم عندهم يصلح للحجة ويقوم به البرهان، ثم أوضح لهم أنّهم

[1] . ينظر، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص327.
[2]. ينظر، المصدر نفسه، ج29، ص298.

ليسوا على شيء من العلم"[1]، فعبّر بالإخراج، لأنه سبب في إظهاره وإقامة الدليل عليه، فعلاقته السببية.

ومنه أيضا: ﴿**وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً**﴾(**الاسراء12**)، أي جعل سبحانه شمسه مضيئة تبصر فيها الأشياء، وإضافة آية إلى الليل والنّهار بيانية: أي فمحونا الآية التي هي الليل والآية التي هي النهار كقولنا نفس الشيء وذاته، والفاعل الحقيقي هو الله تعالى فهو مجاز بعلاقة السببية.

وفي قوله: ﴿**وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ**﴾(**الشعراء84**)، "أي اجعل لي ثناء حسنا في الآخرين الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة"[2]. إذ المراد باللسان هنا الثناء وذكر اللسان مجاز لأنه سببه فالعلاقة هي السببية، وقيل هو مجاز من إطلاق الجزء على الكل لأن الدعوة باللسان.

وفي السياق نفسه يقول عزّ وجلّ:﴿**يَا بَنِي ءَادَمَ قَدَ اَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ**﴾(**الأعراف25**)،أي مطرا يتسبب عنه اللباس، لأنّ اللباس لا ينزل من السّماء، وإنّما ينزل من السّماء المطر الذي ينبت به القطن أو الكتان، وترعاه البهائم فيصير صوفا ووبرا وشعرا. ويقول في السورة نفسها: ﴿**وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ اَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا اَوْ هُمْ قَائِلُونَ**﴾(**الأعراف03**). عبّر عن إرادة الإهلاك بالإهلاك تجوزا، "وذلك بقرينة "فجاءها بأسنا"، إذ لا معنى لوقوع الإهلاك، ومجيء البأس بعده، وإنّما يأتي اليأس فيحدث الإهلاك عنده، وإنّما عبّر

[1] محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2000، ص564.

[2] . محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ص1278.

عنه بالإهلاك لأنّه سبب الإرادة المقتضية للإهلاك.[1] فكان ذلك من باب تسمية السبب باسم المسبب، فأطلق المسبب وأراد السبب.

ومنه لفظ "النار" في قوله تعالى:﴿**وَيَا قَوْمِ مَالِيَ أَدْعُوكُمُ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ**﴾(**غافر41**)،أي تدعونني إلى الكفر. والدليل عليه أنّه قال بعد ذلك:﴿**تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ**﴾(**غافر42**)، فهذه الآية بيان للآية السابقة، لأن الدعوة إلى النار أمر مجمل مستغرب فبيّنه ببيان أنهم يدعونه إلى التلبس بالأسباب الموجبة عذاب النار. والمعنى: "تدعونني للكفر بالله وإشراك ما لا أعلم مع الله في الإلاهية."[2] فلمّا كانت النّار مسببة عن الكفر حسن إطلاقها عليه.

ومن الشواهد أيضا المجاز والمشاكلة في قوله تعالى: ﴿**وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾(**غافر60**). لأن الدعاء سبب العبادة. "وفي قوله" أستجب لكم" مشاكلة، لأن الإثابة مترتبة عليها"[3]. وإنما جعل الكلام مجازا بقرينة قوله بعد ذلك:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي**﴾(**غافر60**). فهو مجاز مرسل علاقته السببية.

وقوله تعالى: ﴿**وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ**﴾(**الجاثية33**) نسي الشيء تركه وأهمله تماما وقال بعضهم: "يجوز أن يعتبر في ضمير الخطاب الاستعارة بالكناية بتشبيههم بالأمر المنسي في تركهم في العذاب وعدم المبالاة بهم وتجعل نسبة النسيان قرينة الاستعارة".[4] مجاز مرسل علاقته السببية لأن النسيان سبب الترك.

---

[1] . محمد حسين علي الصغير، مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط1، 1999، ص163.

[2] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص153.

[3] . محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2002، ص283.

[4] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص375.

وقوله أيضا: ﴿**ولم يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ**﴾(**الأحقاف33**) "فالعيّ أي التعب مستحيل عليه تعالى، وهو سبب للانقطاع عن العمل أو النقص فيه والتأخر في إنجازه."[1] مجاز مرسل علاقته السببية.

وقوله تعالى مخبرا عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين: ﴿**أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصارِ**﴾ (**ص44**). يعني بذلك العمل الصّالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة، وقيل "هم أصحاب النعم على الناس والإحسان إليهم، لأنّهم قد أحسنوا وقدّموا خيرا"[2]، على أن ذكر الأيدي من ذكر السبب وإرادة المسبب.

وفي علاقة المسببية التعبير بالفعل عن إرادته، فالإرادة سبب والفعل سبب عنها، وقد كثر ذلك في القرآن الكريم كما في قوله: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ (**النحل98**) والمعنى "إذا هممت أو عزمت أو أردت قراءته فاستعذ بالله حيث علم من السنّة أن الاستعاذة تسبق القراءة، وفي الآية رتبت الاستعاذة بالفاء على القراءة فكان هذا الترتيب قرينة على أن المراد بالقراءة: إرادتها والعزم عليها، وفي ذلك تنبيه للمؤمن وحث له على أن يقرن العزم بالفعل، فلا يكون هناك مجالا للأماني الكاذبة وأحلام اليقظة، والتقاعس وحياة الكسل"[3]. هو مجاز مرسل علاقته المسببية إذ أطلق المسبب وهو الفعل وأريد السبب وهو العزم والإرادة.

ويرى بعض الأصوليين أنّ التجوّز بلفظ السبب عن المسبَّب أولى بالتقديم على التجوز بلفظ المسبَّب عن السبب، وذلك "لأنّ السبب المعيَّن يقتضي المسبَّب المعيّن لذاته، وأمّا المسبب

[1]. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج26، ص64.

[2]. الشوكاني، فتح القدير، ص1519.

[3]. بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص152.

المعيّن فإنّه لا يقتضي لذاته السبب المعين... وإذا كان كذلك كان إطلاق اسم السبب على المسبب أولى من العكس"[1].

وقوله تعالى: ﴿**خالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ حِمْلاً**﴾ (**طه101**) أي في الوزر، أراد العقاب المتسبب عن الوزر، فالعلاقة فيه السببية.

وكذلك قوله : ﴿**أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ**﴾(**الإسراء62**). أي "لأستولين على ذريّته ولأغوينّهم إلاّ قليلا"[2]، هذا مجاز في استعمال الرؤية بمعنى الإخبار، فيكون المعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته وشرّفته وعظّمته عليّ، لم كرّمته عليّ وأنا أكرم منه، والعلاقة ما بين العلم والإخبار من السببية و المسببية واللازمية والملزومية.

ومن شواهد هذا النوع أيضا قوله :﴿**وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا**﴾(**الشورى37**). عبّر سبحانه عن الاقتصاص بلفظ السيّئة، والسيّئة الثانية في الآية غير السيّئة الأولى، "لأنّ السيّئة الأولى ذنب والثانية مقاصة، وفرّق بين الذنب والاقتصاص، فأطلق الاعتداء على ظاهره، وأريد به الجزاء و العقوبة في واقعه، إذ ليس الجزاء اعتداء، وقد عبّر عن الاقتصاص بالسيّئة، وليس ذلك بسيئة، ولكنّه سببا منها".[3] فأطلق السبب وأراد المسبب.

وكذلك معنى "الإزاغة" في قوله: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِى القَوْمَ الفَاسِقِينَ**﴾(**الصّف05**)."اعتبر الزيغ الأول غير الزيغ الثاني، فالأول زيغ عن الإيمان، والثاني العقوبة على الميل والانحراف عن الهدى إلى الضلال، فهو ليس من جنسه، وإنّما سمّي كذلك مجازا،

[1] . فخر الدين محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير، ج10، دار إحياء التراث العربي، ط3، د.ت، ص19.

[2] . أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2000، ص1126.

[3] . محمد حسين علي الصغير، مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، ص159.

فأخبر تعالى أنّه إنّما فعل ذلك بهم عقوبة على زيغهم، وجزاء على فعلهم، فمنعهم الألطاف والفوائد التي يؤتيها سبحانه من آمن به".[1] أطلق السبب وأراد المسبب.

د . الحالية والمحلية:

- **الحالية:**

عندما نعبر بمن أو ما بداخل المكان ونريد المكان نفسه كقوله تعالى: ﴿**لكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾(**مريم37**).والعلاقة الحالية والمراد جهنم فأطلق الحال وأريد المحل لأن الضلال لا يحل فيه وإنما يحل في مكانه ،وكذلك قوله في الآية اللاحقة: ﴿**وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ**﴾(**مريم38**) والغفلة لا يحل فيها أيضا، وإنما يحل بالمساوئ التي توقع الغفلة أصحابها فيها.

وقوله تعالى في سورة البروج: ﴿**بَلِ الذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ**﴾(**البروج19**) لأنّ التكذيب معنىً من المعاني ولا يحل الإنسان فيه، و إنّما يحلّ في مكانه، فاستعمال التكذيب في مكانه مجاز أطلق فيه الحال وأريد المحل، فعلاقته الحالية.

وحينما يذكر تعالى نعمه على خلقه، في إرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته، بمجيء الغيث عقبها يقول: ﴿**وَلِيُذِيقَكُم مِّنْ رَّحْمَتِهِ**﴾(**الروم45**)، أي" المطر الذي ينزله فيحيي به العباد والبلاد"[2].هو مجاز مرسل علاقته الحالية، لأن الرحمة تحل في الخصب والمطر، فأطلق الحال وأريد المحل، وفسّر بعضهم الرحمة بنعمه من المياه العذبة والأشجار الرطبة وصحة الأبدان وما يتبع ذلك من أمور لا يحصيها إلا اللّه.

[1] . محمد حسين علي الصغير، مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، ص151.

[2] . أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص1455.

- **المحلية:**

التعبير بلفظ المحل وإرادة الموجود في المحل، ومثاله قوله تعالى: ﴿**قُل لَّا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى**﴾(**الشورى21**).اختُلف في معنى الآية فقيل معناها "استكفاف شر الكفار ودفع أذاهم أي ما أسألكم على القرآن والدين والدعاء إلى الله إلاّ أن توذوني لقرابة هي بيني وبينكم، فتكفّوا عنّي أذاكم. وقيل معناها أنكم قومي وأحق من أجابني وأطاعني فإذا أبيتم ذلك، فاحفظوا حق القربى وصلوا رحمي ولا تؤذوني".[1] فقد جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها مثل: لي في آل فلان مودّة، ولي فيهم هوى وحب شديد، والمراد أحبهم وهم مكان حبي ومحلّه، فالعلاقة محلية.

ويقول تعالى مخبرا عن فرعون وتمرّده وعتوّه وكفره وعناده: ﴿**وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ**﴾ (**الزخرف50**).أي جمع قومه فنادى فيهم مفتخرا بملك مصر وتصرّفه فيها. هو مجاز مرسل علاقته المحلية فقد جعل قومه محلا لندائه وموقعا له، والمعنى أنه أمر بالنداء في مجامعهم وأماكنهم. وقوله أيضا: ﴿**فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ**﴾(**الجاثية29**). "فيدخلهم في رحمته شامل لما تتصوره النفس من أنواع الكرامة والنعيم إذ جعلت رحمة الله بمنزلة المكان يدخلونه".[2] المراد إدخالهم في جنته ،لأن الرحمة لا يحلّ فيها الإنسان لأنها معنى من المعاني وإنما يحلّ في مكانها، فاستعمال الرحمة في مكانها مجاز أطلق فيه الحال وأريد المحل فعلاقته المحلية.

[1] . القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج5، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2001 ، ص34.

[2] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص371.

وقوله تعالى: ﴿**وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها**﴾ (**يوسف82**) المراد أهلها، وقد تقدمت نظائر كثيرة لهذا المجاز "وأراد بالقرية مصر"[1]. أي أرسل إلى أهلها فاسألهم عن تفاصيل هذه القصة. مجاز مرسل وعلاقته المحلية.

ومن علاقاته المحلية أيضا قوله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا**﴾(**الأنعام07**) أي المطر الكثير، وقد عبر بالسماء عن السحاب لأنه ينزل منها.

وقوله: ﴿**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً**﴾(**النحل112**)، هذا مثل أُريد به أهل مكة، "فإنّها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يُتخطّف النّاس من حولها، ومن دخلها آمن لا يخاف"[2]. مجاز مرسل في قوله "قرية "والمراد أهلها فعلاقة المجاز المحلية، إذ أطلق المحل وأريد الحال.

ومنه أيضا قوله: ﴿**فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ**﴾(**العلق18**) فالنادي هو المجلس الذي يجتمع فيه القوم للحديث، وهو لا يُدعى وإنّما يدعى أهله، فأطلق المحل وأريد الحال، فعلاقته المحلية.

وقوله: ﴿**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ**﴾(**القارعة06**) وقيل راضية بمعنى مرضية، أي راض بها صاحبها، و هذا المجاز علاقته المحلية، لأن الذي يرضى بها الذي يعيش فيها.

هـ . اعتبار ماكان: أي تسمية الشيء باسم ما كان عليه في الزمن الماضي نحو قوله: ﴿**قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**﴾(**غافر10**) مجاز مرسل لأن المعنى "كنتم ترابا قبل أن يخلقكم، فهذه ميتة، ثمّ أحياكم فخلقكم فهذه حياة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور فهذه ميتة أخرى، ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة أخرى".[3] وعليه فالمراد بالميتتين الاثنتين "خلقهم أمواتا

[1] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 13، ص 41.
[2] . ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص1078.
[3] . المصدر نفسه، ص107.

أولا وإماتتهم عند انقضاء آجالهم ثانيا"،[1] والمراد بالإحياءتين الإحياءة الأولى وإحياءة البعث وقد أوضح سبحانه ذلك بقوله: ﴿**قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ**﴾(**الجاثية25**).وعبّر عن الحال قبل الوجود بالموت بجامع ما يشتركان فيه من عدم الإحساس، ففي تسمية خلقهم أمواتا إماتة مجاز لأنه باعتبار ما كان، وقد أوضح ذلك الزمخشري أبلغ إيضاح في قوله: "فإن قلت كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتا إماتة، قلت: كما صح أن تقول: سبحان من صغر حجم البعوضة وكبر حجم الفيل، وقولك للحفار ضيّق فم الركبة ووسّع أسفلها، وليس ثمة نقل من صغر إلى كبر، ولا عكسه، ولا من ضيق إلى سعة ولا عكسه، وإنما أرد الإنشاء على تلك الصفات والسبب في صحته أن الكبر والصغر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لأحدهما، وكذلك الضيق والسعة، فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء ،فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر، فجعل صرفه منه كنقله منه دعاء".[2] أي أحياهم الله بعدما كانوا أمواتا قبل الخلق.

ومنه أيضا قوله عزّ وجلّ:﴿**إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا**﴾(**طه74**)."فالمجرم يوم القيامة ذليل متهافت واهن لا يقوى على التمتّع يومئذ بأيّة صفة من صفات الإجرام الدنيوية كمظاهر الجبروت والطغيان و العناد و الإصرار والقوّة، بل و حتّى إرادة المعصية صغيرة أو كبيرة، و ما أشبه ذلك".[3] سُميّ هذا الإنسان مجرما باعتبار ما كان عليه حاله في الحياة الدنيا من الإجرام، لا في حالته تلك يوم القيامة.

[1] . محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ص283.

[2] . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج24، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2009، ص952.

[3] . محمد حسين علي الصغير، مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، ص161.

هي صورة لمشهد من مشاهد القيامة تعبّر عمّا كان عليه العبد في حياته الدنيوية، وبلاغة هذا المجاز جعلت ما يرتكبه العاصي من جرم في حياته ماثلا أمامه يوم الحساب، وما يبدو عليه من آثار الذلّة والمهانة والندم على ما فعل.

و . علاقة المجاورة: وهي أن يعبر عن الشيء باسم ما يجاوره، وذلك إذا كثر اقتران الاسمين ومجاورتهما كثرة تسوغ استعمال أحدهما مكان الآخر نحو **قوله تعالى: ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ﴾(يوسف70)** والمراد هنا أصحاب العير، "والعير كل ما سير عليه من الإبل والحمير والبغال فهو عير، وقيل: العير الإبل التي عليها الأحمال لأنّها تعير أي تذهب وتجيء، وقيل: هي قافلة الحمير".[1]

وقوله: **﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾(الأحقاف14)** الفصال هو الفطام وأريد به هنا مدته التي يعقبها الفطام. وهو مجاز مرسل علاقته المجاورة.

ز . علاقة المآلية والآلية:

- **علاقة المآلية:** أو اعتبار ما سيكون، أو اعتبار ما يؤول إليه من أبرز علاقات المجاز المرسل. وفيها يسمّى الشيء باسم ما سيؤول إليه نحو قوله تعالى: **﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾(النحل04)** "نبّه الله على خلق الإنسان من نطفة ضعيفة مهينة، فلمّا استقل ودرج إذا هو يخاصم ربّه تعالى، ويكذبه، ويحارب رسله، وهو إنّما خُلق ليكون عبدا لا ضدّا"[2] لأن الفاء تدل على التعقيب وكونه خصيما مبينا لا يكون عقب خلقه من نطفة، ولكنه إشارة إلى ما تؤول إليه حاله. فهو مجاز مرسل والعلاقة اعتبار ما سيكون.

[1] . محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي، ج18، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1981، ص182.

[2] . ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص1056.

وقوله في سورة يوسف: ﴿**قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّيَ أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا**﴾(**يوسف36**) "العصر: الضغط باليد أو بحجر أو نحوه على شيء فيه رطوبة لإخراج ما فيه من المائع زيت أو ماء، والعصير: ما يُستخرج من المعصور سمي باسم محله"[1] أي عنبا يؤول إلى الخمر، فالخمر لا يعصر إنّما هي سائل قد عصر وانتهي منه، فإطلاق الخمر وإرادة العنب منه جاء على سبيل الاتساع، باعتبار ما سيؤول إليه العنب بعد العصر، وصيرورته خمرا.

ومن أمثلته أيضا قوله: ﴿**وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَاتُ بِيَمِينِهِ**﴾(**الزمر64**) أي: "إن الأرض جميعا تحت ملكه يوم القيامة يتصرف فيها كيف يشاء، ولا يتصرف فيها سواه، والسموات مطويات طي السجل للكتب بقدرته سبحانه، وفي هذا رمز إلى أن ما يشركونه معه في الأرض أو في السماء مقهور تحت سلطانه جل شأنه"[2]، وطي السموات والأرض مجاز ليس المراد به الطي كما نفهمه وإنما المراد به الذهاب والفناء.

- **علاقة الآلية:** تعتبر علاقة الآلية من علاقات المجاز المشهورة ، وفي المجاز المقام عليها يسمّى الشيء باسم آلته التي بها يتحقق وجوده، نحو قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا**﴾(**مريم50**). " أي الثناء الحسن فهؤلاء من أئمة المحسنين ذكرهم ملأ الخافقين، والثناء عليهم ومحبّتهم امتلأت بها القلوب، وفاضت به الألسنة، فصاروا قدوة للمقتدين، وأئمة للمهتدين، ولاتزال أذكارهم في سائر العصور متجددة"[3].عبّر باللسان وأُريد الذكر الحسن، لأنّ هذا الذكر يُؤدى باللسان ويحصل به فهو آلته.

[1] ـ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص269.

[2] . أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ج24، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده للنشر، مصر، ط1، 1946، ص27.

[3] . عبد الرحمان بن ناصر السّعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص491.

وقوله:﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾(**الشعراء195**). أي بكلام عربي، أي أنّ هذا القرآن نزل به جبريل على رسول الله عليه الصّلاة والسّلام بلغة عربية واضحة المعنى، ظاهرة الدلالة، لإصلاح شؤون العباد الدينية والدنيوية.

ومن العلاقة الآلية قوله تعالى لسيّدنا نوح: ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا**﴾(**هود37**) فالعين آلة الملاحظة وطريق المعرفة يقول القاضي عبد الجبار" المراد بذلك أن اصنع الفلك بما أعطيناك من البصيرة والمعرفة وسُمي ذلك بأعيننا على جهة التوسّع كما يقول القائل لغيره . افعل ذلك بمرأى منّي ومسمع ."[1]

وقوله على لسان سيّدنا إبراهيم: ﴿**قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُم يَشْهَدُونَ**﴾ (**الأنبياء61**) "أي على مرأى منهم بحيث تتمكن صورته في أعينهم تمكن الراكب من المركوب، وبذلك يكون التعبير بالعين ولكن المراد البصر والرؤية، لأنّ العين آلة الإبصار".[2] فأطلق الآلة وهي العين و أراد بها ما ينتج عنها وهي الرؤية.

[1] . عبد الفتاح لاشين، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار و أثره في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، مصر، 1978، ص321.

[2] . محمد بدري عبد الجليل، المجاز وأثره في الدرس اللّغوي، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، 1975، ص73.

ثانيا: المجاز اللغوي الاستعاري.

إذا تأملنا أنواع المجاز وجدنا أنّها من الوسائل التي تساعد على بلاغة التعبير، وعلى جماله، وحسن وقعه في نفوس المتذوقين، وبعد تطرقنا إلى المجاز اللغوي المرسل كان ولابد التطرّق إلى النوع الثاني من المجاز اللغوي ألا وهو" **المجاز اللغوي الاستعاري**" أو ما يعرف" **بالاستعارة**". التي بلغت حد الإعجاز في القرآن الكريم، فهي لون من ألوان التصوير التي اتّخذها، وأداة من الأدوات المفضلة إليه في التعبير عن معانيه.

1- الاستعارة لغة واصطلاحا

أ–الاستعارة لغة :"رفع الشيء، وتحويله من مكان إلى آخر، ومن ذلك قولهم :استعار فلان سهماً من كنانته، أي رفعه وحوَّله منها إلى يده، فهي مأخوذة من العارية، وهي نقل الشيء من شخص إلى آخر"[1].

ب– اصطلاحا:

من المعاني اللغوية جاء تعريف الاستعارة لدى علماء البلاغة :"أنّها اللفظ المستعمل في غير ما وُضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي".[2]

وهي من أكثر استعمالات اللغة فاعلية فتدخل في جانب التصوير والتأثير، وفي تطوير اللغة وبث الحياة فيها، "فهي تتصدّر بشكل كبير بنية الكلام الإنساني، إذ تعد عاملا رئيسيا في

[1] . ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، مج4، ص619.

[2] . بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1998، ص169.

الحفز والحث وأداة للتعبير، ومتنفسا للعواطف والمشاعر الانفعالية ووسيلة لملء الفراغات في المصطلحات".[1]

والاستعارة في رأي بعض القدماء أنّها تشبيه حذف أحد ركنيه، ممّا جعل النظر إليها داخل النص الأدبي والتعامل معها بطريقة لا تعطيها حقّها في فهم النص والكشف عن جماليات التعبير. وسيتضح أثر هذه الاستعارات ومكانتها حين الوقوف مع أهم أقسامها:

2- أنواع الاستعارة

أ– الاستعارة التصريحية: ويقال لها الاستعارة المصرّحة أو المصرّح بها. وهي التي صرح فيها بلفظ المشبه به(المستعار منه) مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**فَجَعَلْناها حَصِيدًا**﴾ (**يونس24**) الحصيد: هو الزرع المقطوع من نباته. وجاء في التفسير "أن الإخبار عن الأرض بحصيد على طريقة المجاز العقلي وإنّما المحصود نباتها"[2]. أي جعلنا نباتها هالكا، فشبه الهالك بالحصيد، وأقيم اسم المشبه به مقامه بطريق الاستعارة المصرحة.

وقوله تعالى: ﴿**لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ** ﴾(**ابراهيم01**). ذكرت لفظتا "الظلمات والنور في هذا المقام على جهة الاستعارة للكفر والإيمان، والضلالة والهدى، والمعنى" أن الله سبحانه يخاطب رسوله عليه الصّلاة والسّلام مخبرا إيّاه أنّه أنزل عليه القرآن ليخرج به من آمن، واتّبع ما جاء فيه، واستمسك به من الكفر الذي هو كالظلمة بل أشد إلى الإيمان الذي هو كالنور بل أشد إضاءة وإشراقا"[3]. والاستعارة هنا تصريحية، فقد استعير الظلمات للكفر والضلال بجامع عدم الاهتداء في كل منهما، كما استعير النور للإيمان والهدى بجامع الهداية والرشاد فيهما معا،

[1]. يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، عمان الأهلية للنشر والتوزيع، 1997، ص11.

[2]. الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج11، ص144.

[3]. المصدر نفسه، ج13، ص 180.

ففي لفظة "الظلمات" تصوير دقيق لمدى تراكم هذا الظلام ، وشدّة حلكته، كما في لفظة "النور" تعبير دقيق، وتصوير عجيب للواقع الذي يعيشه هؤلاء المتنعمون المهتدون والمنتفعون بهدي القرآن ومواعظه.

ومن هنا تتجلّى بلاغة الاستعارة وأثرها في حديث القرآن عن القرآن، "فقد جاءت لبيان عظم القرآن والإشارة إلى ما تضمَّنه بين دفتيه من عظائم الأمور وجليلها، كما أنّ فيها بيانا لأثر القرآن، والغاية التي نزل من أجلها، وسعى إلى تحقيقها، وانقسام الناس حوله إلى هداة وضلّال، هداة نعموا بنور القرآن، وإشراقاته، وضلّال آثروا الشقاء والتخبّط في دياجير الفسق والضلال".[1]

وما يزيد هذه الاستعارة قوّة وجمالا الطباق في "الظلمات" و"النور"، ففي هذا الطباق إشارة إلى واقع من كفر بالقرآن وأعرض عنه، كما أن فيه ذكر للحالة التي يؤول إليها من آمن بالقرآن وأقبل عليه.

وقوله: **﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾(ابراهيم24)** "فالإشراك الذي كفر به إشراكهم إيّاه في العبادة بأن عبدوه مع الله، لأنّ من المشركين من يعبدون الشياطين والجن، فهؤلاء يعبدون جنس الشيطان مباشرة، ومنهم من يعبدون الأصنام، فهم يعبدون الشياطين بواسطة عبادة آلهته".[2] استعارة تصريحية حيث شبه الطاعة بالإشراك وأنزلها منزلته، لأنهم كانوا يطيعونه في أعمال الشر كما يطاع اللّه في أعمال الخير، أو لأنهم لما أشركوا الأصنام ونحوها باتباعهم له في ذلك فكأنما أشركوه لأنه هو الذي كان يزين لهم عبادة الأوثان، ثم حذف المشبه وأبقى على المشبه به على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

[1]. عبد العزيز بن صالح العمار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن، ص72.

[2]. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص221.

وكذا قوله: ﴿**وجَعَلُوا للهِ أَندَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ**﴾(**ابراهيم32**) والنِد هو المماثل في مجد ورفعة، "فكأنّه قيل: للضلال عن سبيله، تشنيعا عليهم بغاية فعلهم وهم ما أضلّوا إلّا وقد ضلّوا، فعلِم أنّهم ضلّوا وأضلّوا".[1] أي جعلوا لله أقرانا مماثلين يعبدونهم كعبادته، ويدينون لسلطانهم كما يدينون لسلطانه، ويعترفون لهم بما هو من خصائص ألوهيته سبحانه. والنّص يشير إلى أن كبراء القوم عمدوا عمدا إلى تضليل قومهم عن سبيل الله، باتّخاذ هذه الأنداد من دون الله ،و لما كان الإضلال أو الضلال نتيجة للجعل المذكور، شبه بالغرض والعلة الباعثة فاستعمل له حرفة على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ثم يلتفت السياق إلى واقعهم الحاضر، وشدّة مكرهم بالرّسول والمؤمنين، وتدبيرهم الشر في كل نواحي الحياة، فيلقي في الروع أنّهم مأخوذون إلى ذلك المصير، مهما يكن مكرهم من العنف والتدبير يقول:﴿**وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ**﴾(**ابراهيم48**) أي "إن الله محيط بهم وبمكرهم، وإن كان مكرهم من القوة والتأثير ليؤدي إلى زوال الجبال، أثقل وأصلب شيء، وأبعد شيء عن تصور التحرك والزوال، فإنّ مكرهم هذا ليس مجهولا وليس خافيا، وليس بعيدا عن متناول القدرة .بل إنّه لحاضر عند الله يفعل به كيفما يشاء".[2] فقد شبه مكرهم بقوله" لتزول منه الجبال" لتفاقمه وشدته، وافتتانهم فيه وبلوغهم الغاية منه.

ومن التصوير القائم على الاستعارة " الضرب" لأن الكشف عن جماليات التصوير يتطلب بداية فهما للمعاني والظلال التي تنبعث من الألفاظ، فالضرب له عدة معان منها ما هو سريع إلى الذهن، ومنها ما يحتاج إلى إعمال الفكر في الوصول إليه، أمّا في قوله :﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**﴾ (**الكهف11**) مرتبط بدلالة ضرب أوتاد الخيمة ونصب بنائها، والمعنى: "سددنا آذانهم بالنوم الغالب عن سماع الأصوات، أي ضربنا على آذانهم الحجاب تشبيها

[1] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص230.

[2] ـ سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ص2112.

للإنامة الثقيلة المانعة من وصول الأصوات الى الآذان بضرب الحجاب عليها"[1]، ففي الكلام تجوز بطريق الاستعارة التصريحية التبعية، وهذا النوم من جملة الرحمة التي طلبوها.

وقوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمُ ﴾(الكهف14) تشبه ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ ﴾ لأن الربط" هو الشد بالحبل والمراد قوينا قلوبهم بالصبر على هجر الأوطان والفرار بالدين إلى الكهوف والغيران وافتراش صعيدها وجسرناهم على قول الحق والجهر به"[2]. وهي استعارة تصريحية تبعية.

ومن الصور الاستعارية قوله تعالى:﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ (الإسراء13). وطائر كل إنسان ما يطير له من عمله،" أي ما يقسم له من العمل، وهو كناية عما يعمله، وإلزامه له في عنقه تصوير للزومه إيّاه وعدم مفارقته، على طريقة القرآن في تجسيم المعاني وإبرازها في صورة حسية. فعمله لا يتخلف عنه وهو لا يملك التملص منه".[3]

وجاء في التفسير: الطائر هنا أطلق على الحظ من العمل مثل ما يطلق اسم السهم على حظ الإنسان من شيء ما، وإما من زجر الطير لمعرفة بخت أو شؤم الزاجر من حالة الطير التي تعترضه في طريقه، وشاع ذلك في الكلام فأطلق الطائر على حظ الإنسان من خير أو شر. والمعنى أن كل إنسان يعامل بعمله من خير أو شر لا ينقص له منه شيء[4]، استعير استعارة تصريحية لما يشبهها من قدر الله تعالى وعمل العبد، لأنه سبب للخير والشر. ومنه طائر الله تعالى لا طائرك، أي قدر الله جلّ شأنه الغالب الذي ينسب إليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن.

[1]. صديق حسن خان القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج8، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، 1992، ص17.

[2]. صديق حسن خان القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج8، ص19.

[3]. سيد قطب، في ظلال القرآن، مج4، ص2217.

[4]. ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص47.

وقوله: ﴿**وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ**﴾(**طه21**)أصل الجناح للطائر، ثم استعير لجنب الإنسان، لأن كل جنب في موضع الجناح للطائر، فسميت الجهتان جناحين، بطريق الاستعارة التصريحية.

وكذا قوله: ﴿**مَّن اَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وِزْرًا**﴾(**طه98**). والوزر في الأصل يطلق على معنين: الحمل الثقيل والإثم،" وجعل محمولا تمثيلا لملاقاة المشقة من جراء الإثم: أي من العقاب عنه".[1] وإطلاقه على العقوبة نظرا إلى المعنى الأول، على سبيل الاستعارة المصرحة، حيث شبهت العقوبة بالحمل الثقيل. ثم استعير لها بقرينة ذكر يوم القيامة. ونظر إلى المعنى الثاني على سبيل المجاز المرسل، من حيث أن العقوبة جزاء الإثم، فهي لازمة له أو مسببة ،والأول هو الأنسب بقوله تعالى فيما بعد ﴿**وَسَاءَ لَهُمْ** ﴾لأنه ترشيح له.

وعند تشبيهه الرحم بالقرار يقول تعالى: ﴿**فِي قَرارٍ مَكِينٍ**﴾(**المؤمنون13**). و القرار في الأصل:" مصدر قرّ إذا ثبت في مكانه، وقد سمي به هنا المكان نفسه، والمكين الثابت في المكان بحيث لا يقلع من مكانه: فمقتضى الظاهر أن يوصف بالمكين الشيء الحالّ في المكان الثابت فيه."[2] استعارة تصريحية فقد حذف المشبه وأبقى على المشبه به، والمشبه هو الرحم وقد شبّهه بالقرار أي موضع الاستقرار ثم وصفه بمكين بمعنى متمكن لتمكنه في نفسه.

ويمكن إيضاح قوله تعالى: ﴿**خَلْقًا آخَرَ**﴾ (**المؤمنون14**) إذ كثرت فيه الأقوال واضطربت، وخير ما يقال فيه أنه عام والمراد مباينته للخلق الأول مباينة بعيدة جدا حيث جعله حيوانا وكان جمادا، وناطقا وكان أبكم، وسميعا وكان أصم، وبصيرا وكان أعمى أكمه، وأودع باطنه وظاهره وكل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب لا توصف وغرائب لا تدرك.

[1] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص303.

[2] . المصدر نفسه، ج18، ص23.

وفي قوله تعالى: ﴿وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾(المؤمنون20) حيث شبه الإدام من المائعات بالصبغ، ثم حذف المشبه وأبقى على المشبه به، بجامع التلون بلونه إذا غمس به.

ومن الصور الاستعارية الرائعة قوله تعالى:﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ المَوتَى﴾(الروم51) أي "إن كان كبر عليك إعراضهم، وساءك استرسالهم على الكفر فإنّهم كالموتى، وإنّك لا تسمع الموتى. وهذا معذرة للنّبي عليه الصّلاة والسّلام ونداء على أنّه بذل الجهد في التبليغ".[1]هنا شبّه الكفار بالموتى وبالصّم في عدم إحساسهم وسماعهم للمواعظ والبراهين، بطريق الاستعارة التصريحية.

وفي قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾(الفرقان33) أي لو أنزلنا عليك القرآن جملة واحدة ثم سألوك لم يكن عندك ما تجيب به، ولكن نمسك عليك فإذا سألوك أجبت. وعلم الله عزّ وجلّ أنّ الصّلاح في إنزاله متفرقا، لأنهم ينبهون به مرة بعد مرة، ولو نزل جملة واحدة لزال معنى التنبيه، وكان هذا من علامات النبوّة.[2]. والآية استعارة تصريحية حيث شبه السؤال بالمثل بجامع البطلان لأن أكثر الأمثال أمور متخيلة.

وكذا قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾(الفرقان45) أي جعلنا الشّمس بنسخها الظل عند مجيئها دالّة على أن الظل شيء ومعنى، لأنّ الأشياء تعرف بأضدادها ولولا الشمس ما عرف الظل، ودللنا الشّمس على الظل حتّى ذهبت به، أي أتبعناها إيّاه. و﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾(الفرقان46) يريد بذلك الظل الممدود. والمعنى "أنه إذا غابت الشمس قبض الظل قبضا خفيا، كلّما قبض جزء منه جعل مكانه جزء من الظلمة، ولا يزول دفعة واحدة".[3] استعارة تصريحية تبعية استعير فيها لفظة المشبه به وهو البعد والتراخي للمشبه وهو تفاضل الأمور.

[1] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج21، ص126.

[2] . ينظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 2016، مج7، ص22.

[3] . أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج7، ص27.

ولننظر إلى روعة هذه الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ**﴾(**الفرقان53**) صريحها استدلال على شيء عظيم من آثار القدرة الإلاهية وهو التقاء الأنهار والأبحر، "فالله تعالى كما جعل بين البحرين برزخا يحفظ العذب من أن يكدره الأجاج، كذلك حجز بين المسلمين والمشركين فلا يستطيع المشركون دسّ كفرهم بين المسلمين"[1]. هو تمثيل لحال دعوة الإسلام في مكة يومئذ، واختلاط المؤمنين مع المشركين بحال تجاوز البحرين، أحدهما عذب فرات والآخر ملح أجاج. وتمثيل للإيمان بالعذب الفرات وللشرك بالملح الأجاج عن طريق الاستعارة التصريحية.

وهذه في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾(**لقمان19**). أي أقبحها وأوحشها، فجعلهم حميرا وجعل صوتهم نهاقا مبالغة في الذم والتهجين، وإفراط في النهي عن رفع الصوت، والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة الموجعة وكذلك نهاقه، ومن استفحاشهم لذكره مجرد أنّهم يكنّون عنه ويرغبون عن التصريح يقولون: الطويل الأذنين، كما يكنّى عن الأشياء القذرة[2]. حيث أخلي الكلام من لفظ التشبيه، وأخرج مخرج الاستعارة التصريحية.

وهذه أيضا في قوله تعالى: ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ**﴾(**الزمر28**) أي "حال كونه قرآنا عربيا لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه، ولا تعارض ولا تناقض"[3]. لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان. وقيل المراد بالعوج: الشك واللبس. فالعوج: استعارة تصريحية.

وقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ**﴾(**الزمر39**) أي اعملوا على طريقتكم من المكر والكيد والخداع، وإنّي عامل على طريقتي من الدعوة إلى الله وإظهار دينه.

---

[1] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج19، ص54.

[2] . ينظر: المصدر نفسه، ص291.

[3] . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1981، مج3، ص28.

نقلت المكانة من المكان المحسوس إلى الحالة التي عليها الشخص، واستعيرت لها استعارة محسوس لمعقول، فهي استعارة تصريحية شبهت فيها الحال بالمكان القارّ فيه، ووجه الشبه ثباتهم في تلك الحال بثبات المتمكن في مكانه.

كذلك قوله تعالى: **﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾**(**فصلت17**). العمى هنا مستعار للضلال في الرأي، "أي اختاروا الضلال بكسبهم"[1]. استعارة تصريحية فقد شبه الكفر بالعمى لأن الكافر ضال عن القصد، متعسف الطريق كالأعمى، وشبه الإيمان بالهدى لأن المؤمن مهتد إلى محجة القصد وسواء السبيل ثم حذف المشبه في كليهما وأثبت المشبه به.

وقوله تعالى: **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾**(**الشورى20**). "الحرث تمثيل للإقبال على ما يعدّه الكاسب نفعا له يرجو منه فائدة وافرة بإقبال الفلاّح على شقّ الأرض وزرعها ليحصل له سنابل كثيرة وثمار من شجر الحرث".[2] استعارة تصريحية حيث شبّه ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة والنماء بالحرث، والحرث في الأصل إلقاء البذر في الأرض، ويطلق على الزرع الحاصل منه ثم حذف المشبه وهو "العمل" وأبقى على المشبه به وهو "الحرث" للدلالة على نتائج الأعمال وثمراتها ،وشبهه بالزرع من حيث إنه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل: الدنيا مزرعة الآخرة.

ويرى ابن أبي الإصبع في الاستعارة أنّها: "تسمية المرجوح الخفي باسم الراجح الجلي للمبالغة في التشبيه"[3] كقوله تعالى: **﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ﴾**(**الزخرف04**). "وأم الكتاب: أصل الكتاب، والمراد بـ" أم الكتاب" علم الله، لأنّ الأم بمعنى الأصل والكتاب هنا بمعنى المكتوب، أي

[1] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج24، ص262.

[2] . المصدر نفسه، مج25، ص74.

[3] . ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمد شرف، القاهرة، 1995، ص97.

المحقق الموثّق".[1] وهي استعارة تصريحية، فقد استعير لفظ الأم للأصل وهو المشبه المحذوف لأن الأولاد تنشأ من الأم كما تنشأ الفروع من الأصول، وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئيا، ولم تفد هذه الاستعارة سوى الظهور لأن الأم أظهر للحس من الأصل.

وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ**﴾(**الطور12**). "والخوض: الاندفاع في الكلام الباطل والكذب، والمراد خوضهم في تكذيبهم بالقرآن".[2] وأصل الخوض المشي في الماء، وغلب في الخوض في الباطل. فقد شبه الكذب، والاندفاع في الباطل بلجة يخوضها اللاعب. يقال: خاض في الحديث أفاض فيه وخاض الجواد في الميدان مرح، ويقال أنه يخوض المنايا أي يلقي نفسه في المهالك، وهو يخوض الليل أي يتخبط فيه غير مكترث بالأهوال، وفي اللغة أسماء غلبت عليها معان خاصة كالإحضار فإنه عام في كل شيء، ثم غلب على الاستعمال في الإحضار للعذاب، والاستعارة هنا تصريحية.

ومن جميل الاستعارات قوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى**﴾ (**النجم33**). "أي تولّى عن النظر في الإسلام بعد أن قاربه"[3]. استعارة تصريحية لأنه استعار الإدبار والإعراض لعدم الدخول في الإيمان، ويمكن أن يجري هذا ضابطا لذكر التولي في القرآن فحيث ورد مطلقا غير مقيد يكون معناه عدم الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿**وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى**﴾(**النجم 34**). "أي أنّه أعطى من قبله وميله للإسلام قليلا وأكدى إضافة إلى بخله وشحّه، أي انقطع بعد أن اقترب كما يكدى حافر البئر إذا

[1] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج25، ص162.
[2] . المصدر نفسه، ج27، ص42.
[3] . المصدر نفسه، ج27، ص128.

اعترضته كدية."[1] استعارة تصريحية حيث شبه من يعطي قليلا ثم يمسك عن العطاء بمن يكدى، أي يمسك عن الحفر بعد أن حيل دونه بصلابة كالصخرة.

ولبيان ما في إحدى السّموات من إتقان الصّنع يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ**﴾(**الملك05**). حيث شبه الكواكب والنجوم بمصابيح، وحذف المشبه وأبقى المشبه به، على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية وذلك أن الناس يزيّنون مساجدهم ودورهم بأثقاب المصابيح، ولكنها مصابيح لا توازيها، أي مصابيح إضاءة.

ومن الاستعارات قوله تعالى: ﴿**تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ**﴾ (**الملك08**). والغيظ: أشد العذاب، والآية "مثّلت حالة فورانها، وتصاعد ألسنة لهيبها، والتهام من يلقون فيها بحال مغتاظ شديد الغيظ لا يترك شيئا مما غاظه إلّا سلّط عليه ما يستطيع من الإضرار"[2].

حيث شبه اشتعال النار بهم في قوة تأثيرها فيهم، وإيصال الضرر إليهم، باغتياظ المغتاظ على غيره، المبالغ في إيصال الضرر إليه، على سبيل الاستعارة التصريحية. ويجوز أن تكون استعارة تمثيلية مكنية بأن تشبه جهنم في شدة غليانها وقوة تأثيرها في أهلها بإنسان شديد الغيظ على غيره.

وقوله تعالى: ﴿**وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا**﴾(**نوح17**). "أطلق على معنى أنشأكم فعل "أنبتكم" للمشابهة بين إنشاء الإنسان وإنشاء النبات من حيث إن كليهما تكوين، وقيل التقدير: أنبت أصلكم، أي آدم عليه السلام"[3]. فاستعير الإنبات للإنشاء لكونه أدلّ على الحدوث

[1] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص128.

[2] . المصدر نفسه، مج29، ص24.

[3] . المصدر نفسه ، ص204.

والتكون من الأرض لكونه محسوسا. وقد تكرر إحساسه، وهم وإن لم ينكروا الحدوث جعلوا إنكار البعث كمن أنكره، ففي الكلام استعارة تصريحية تبعية.

وقوله أيضا: ﴿**وَإِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا**﴾(**الجن03**) "والجد عند أهل اللغة العظمة والجلال، يقال جد في عيني أي عظم، فالمعنى ارتفع ربّنا عظمة، وقيل ملكه وسلطانه"[1]. هي استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لأن الملوك والأغنياء هم المعظمون.

وقوله: ﴿**إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا**﴾(**المزمل06**). "السبح: أصله العوم، أي السّلوك بالجسم في ماء كثير، وهو مستعار هنا للتصرّف السّهل المتّسع الذي يشبه حركة السابح في الماء، فإنّه لا يعترضه ما يعوق جولانه على وجه الماء، ولا إعياء السير في الأرض"[2]. وقيل: أي تقلبا وتصرفا في حوائجك وأشغالك وإقبالا وإدبارا وذهابا ومجيئا، فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة بالنّهار فعليك بها في الليل، فاستعير للذهاب مطلقا.

ويقول تعالى منكرا على الكافرين ومن أشبههم في حبّ الدّنيا والإقبال عليها، وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم: ﴿**يَوْماً ثَقِيلًا..**﴾(**الإنسان27**) فيه ذم وتحميق لهم "لأنّهم لو أحبّوا الدنيا مع الاستعداد للآخرة لما كانوا مذمومين، لذلك مثّلوا بحال من يترك شيئا وراءه، فهو لا يسعى إليه وإنّما يسعى إلى ما بين يديه"[3]. استعارة تصريحية حيث استعير الثقل لشدة ذلك اليوم وهوله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله.

ومنه قوله تعالى: ﴿**أَيَّانَ مُرْسَاهَا**﴾ (**النازعات42**). الإرساء: جعل السّفينة عند الشاطئ لقصد النزول منها. "واستعير الإرساء للوقوع والحصول تشبيها للأمر المغيّب حصوله بسفينة ماخرة

[1]. صديق حسن خان القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج14، ص352.
[2]. الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج29، ص264.
[3]. المصدر نفسه، ج29، ص408.

البحر لا يُعرف وصولها إلّا إذا رست"[1]. ففي الكلام استعارة تصريحية حيث استعار الإرساء وهو لا يستعمل إلا فيما له ثقل.

ومن التعبير الفني قوله تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ**﴾ (**يس37**) استعير في الآية الكريمة: "السلخ" وهو "كشط الجلد عن الشاة ونحوها لإزالة ضوء النهار عن الكون قليلاً قليلاً، بجامع ما يترتب على كل منهما من ظهور شيء كان خافياً، فبكشط الجلد يظهر لحم الشاة، وبغروب الشمس تظهر الظلمة التي هي الأصل والنور طارئ عليها يسترها بضوئه"[2]. وهي استعارة تصريحية رائعة وجميلة استطاعت أن ترسم بنظمها الفريد وبإيحائها وظلها وجرسها منظرا بديعاً للضوء، وهو ينحسر عن الكون رويدا رويدا، وللظلام وهو يدبّ إليه في بطء.

وقوله تعالى: ﴿**وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ**﴾ (**التكوير18**). التنفس حقيقته خروج النفس من الحيوان، استعير لظهور الضياء مع بقايا الظلام على تشبيه خروج الضياء بخروج النفس على طريقة الاستعارة المصرحة، أو لأنه إذا بدا الصّبح أقبل معه نسيم فجُعل ذلك كالتنفس له على طريقة المكنية بتشبيه الصبح بذي نفس مع تشبيه النسيم بالأنفاس[3]، أو يقال "إنه شبّه الليل بالمكروب الحزين الذي حبس بحيث لا يتحرك فإذا تنفس وجد راحته، وهنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من الحزن كلية فعبّر عن ذلك بالتنفس"[4].

وقوله أيضا: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ (**البلد10**). "واستعيرت الهداية هنا للإلهام الذي جعله الله في الإنسان يدرك به الضار والنافع وهو أصل التمدن الإنساني وأصل العلوم والهداية

[1]. الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص95.
[2]. المصدر نفسه، ج23، ص18.
[3]. ينظر: المصدر نفسه، ج30، ص154.
[4]. ينظر: صديق حسن خان القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج15، ص104.

بدين الإسلام إلى ما فيه الفوز. واستعير النجدان للخير والشر، وجعلا نجدين لصعوبة اتباع أحدهما وهو الخير فغلب على الطريقين، أو لأن كل واحد صعب باعتبار فطريق الخير صعوبته في سلوكه، وطريق الشر صعوبته في عواقبه، ولذلك عبر عنه بعد هذا بالعقبة"[1]. استعارة تصريحية حيث حذف المشبه وأبقى على المشبه به، وقد وصف سبيل الخير بالرفعة بخلاف سبيل الشر، فإن فيه هبوطا من ذروة الفطرة إلى حضيض الشقاوة.

وفي قوله:﴿**وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى**﴾(**الضحى07**) الضلال: "عدم الاهتداء إلى الطريق الموصل إلى مكان مقصود سواء سلك السائر طريقا آخر يبلغ إلى غير المقصود، أم وقف حائرا لا يعرف أيّ طريق يسلك، لأنّ الله تعالى لمّا أنشأ رسوله عليه الصّلاة والسّلام على ما أراد من إعداده لتلقي الرسالة في الإبان، ألهمه أنّ ما عليه قومه من الشّرك خطأ، وألقى في نفسه طلب الوصول إلى الحق ليتهيأ بذلك لقبول الرّسالة عن الله تعالى"[2]. استعارة تصريحية حيث شبّه الشريعة بالهدى وعدم وجودها بالضلال وحذف المشبه وأبقى على المشبه به، وهو الضلال من ضلّ في طريقه إذا سلك طريقا غير موصلة لمقصده والمقصد هنا العلوم النافعة التي تسمو بالعقل والروح معا.

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿**فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا**﴾(**العاديات02**). مستعار لإثارة الحرب لأنّ الحرب تشبَّه بالنّار. فقد شبه الحرب بالنار المشتعلة، وحذف المشبه وأبقى على المشبه به.

وحسبنا هذا القدر الكافي من الاستعارات التصريحية، مع أنّها كثيرة ومتنوّعة ، إلاّ أنّنا استطعنا أن ندلّل ولو بالقليل منها، وستكون لنا إطلالة على قسم آخر من أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين من حيث ذكرهما أو عدمه ألا وهي: "الاستعارة المكنية".

[1] . ينظر: المصدر السابق، ص355.

[2] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص400.

ب- الاستعارة المكنية: هي التي لا يصرح فيها بلفظ المشبّه به، بل يرمز له بلازم من لوازمه، ولهذا سميت مكنية أو استعارة بالكناية،" لأنّ المشبّه به يحذف ويكنّى عنه بلازم من لوازمه وإثبات لازم المشبه به للمشبه هو ما يسمّى "بالاستعارة التخييلية"، وهي قرينة المكنية".[1]

ومن شواهد الاستعارة المكنية في القرآن الكريم قوله في سورة الأعراف:**﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُّوسَى الغَضَبُ﴾**(**الأعراف154**). فموسى عليه السّلام في قمّة الانفعال من فعلة قومه الذين أطاعوا السّامري، وأعرضوا عن الهدي، واستبدلوا به الضلال، فعبدوا العجل، "نعم إنّ الغضب قوّة تتحرك، تدفع موسى وتغريه وتستبد بمشاعره، فهو في قمّة انفعاله، فجأة لا نطق ولا إغراء وإذا بموسى يهدأ ويستكين ويعود إلى سكينته".[2]

إنّه تصوير رائع ونموذج حي، يصوّر لنا الجماد في صورة شاخصة تتحرك وتتفاعل وتستجيب. ففي الكلام استعارة مكنية، حيث شبّه الغضب بإنسان يحس ويشعر ويتكلم ويصمت، فحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو "السّكوت" على سبيل الاستعارة المكنية.

وقوله: **﴿أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾**(**يونس24**). جعل الأرض آخذة زخرفها متزينة، وذلك على جهة التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون، فاكتست وتزيّنت بأنواع الحلي، "فاستعير الأخذ وهو التناول باليد، لاشتمال نبات الأرض على بهجة ونضارة، واستعير لتلك البهجة والنضارة لفظة "الزخرف"، وهو الذهب لما كان من الأشياء البهجة المنظر

[1] . ينظر: بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1998، ص187.

[2] . عمر محمد عمر باحاذق، أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والاعجاز البياني، دار المأمون للتراث، دمشق-بيروت، ط1، 1994، ص254.

السّارة للنفوس".[1] استعارة مكنية حيث شبّه الأرض حين تتزيّن بالنبات والأزهار بالعروس التي تتزين بالحلي والثياب، واستعير لتلك البهجة لفظ" الزخرف".

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: **﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ﴾** (**يونس71**). اقضوا أمر من القضاء، فيجوز أن يكون من القضاء بمعنى الإتمام والفصل، أي انفذوا ما ترونه من الإضرار بي، ويجوز أن يكون من القضاء بمعنى الحكم، أي أنقذوا حكمكم.[2] أي أدوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون ولا تمهلوني، على أن القضاء من قضى دينه إذا أداه، وفيه استعارة مكنية حيث شبه الأمر المحذوف بالدين ثم حذف المشبه به وأخذ شيئا من خصائصه وهو القضاء.

وقوله تعالى: **﴿وَلَئِنَ اَذَقْنَا الْاِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾**(**هود09**). "أي أنعمنا على الإنسان بأنواع النّعم من الصحة والأمن والرزق وغيرها من النعم"[3]. والإذاقة في الأصل تناول الشيء بالفم لإدراك الطعام ثم استعير للذات، تشبيها لها بما يذاق ثم يزول بسرعة.

وقوله: **﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارُ﴾**(**هود98**). الورود في الأصل يقال للمرور على الماء للاستسقاء منه، "لأن الورد إنّما يورد لتسكين العطش وتبريد للأكباد، وفي النّار إلهاب للعطش وتقطيع للأكباد، فاستعار الورود للتقدّم بالنّاس إلى العذاب، وهي استعارة تهكمية وهي نقيض الشيء للشيء على سبيل التهكم والاستهزاء، لأن الورود يكون لأجل الانتفاع بالسّقي، وأمّا التقدم بقومه إلى النّار، فهو ضد ذلك".[4] استعارة مكنية حيث شبّه النار بما يورد، وحذف المشبه به ورمز له بشيء يدلّ عليه.

---

[1] . أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج5، ص145.

[2] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج11، ص240.

[3] . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج2، ص08.

[4] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص156.

وقوله أيضا: ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾(هود100). "القائم: الزرع المستقل على سوقه، والحصيد: الزرع المحصود، وكلاهما مشبه به للباقي من القرى، والمراد بالقائم ما كان من القرى التي قصّها الله في القرآن".[1] استعارة مكنية حيث شبّه ما بقي من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم على ساقه، وشبّه ما هلك من أهله ولم يبق له أثر بالزرع المحصود.

وقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُومَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾(الحجر94). خطاب كريم ولفتة ربانية لإمام المجاهدين في سبيل الله، خاتم المرسلين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجهر بالدعوة ولا تأخذه في الله لومة لائم." فالجهاد في سبيل الله يستلزم الحزم, ولا محاباة في الدين ولا مجاملة، من هنا ينبغي على الداعية أن يصبر على كل المشاق وما يلاقيه من عنت في سبيل الدعوة, فالأعداء كثر والمجاهدة مطلوبة لإحداث الأثر المطلوب في النفوس الطيبة التي تريد الخير و تقبل عليه"[2]. أي لا تصغي يا رسول الله إلى سخريتهم واستهزائهم، ولا تلتفت إليهم ولا تبالي بهؤلاء المشركين الذين يريدون صدّك عن آيات الله بل امض قدما في سبيل الجهر بالدعوة بكل عزيمة وإسرار. والاستعارة في الآية حين شبّه الجهر بالدعوة بالصّدع والشرخ في الزجاجة بجامع التأثير في كلا الطرفين، فحذف المشبّه به ورمز له بشيء من لوازمه على طريق الاستعارة المكنية.

ويقول في سورة النّحل: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ (النحل112). أي ألبسها و أذاقها الجوع بعد أن كان يُجبى إليهم ثمرات كل شيء، ويأتيها رزقها رغدا من كل مكان، وذلك لما استعصوا على رسول الله عليه الصّلاة والسّلام وأبوا إلاّ خلافه، فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء لهم، وبدّل أمنهم خوفا حين هاجروا إلى المدينة، من سطوة سراياه وجيوشه، وجعلوا كل ما لهم في دمار، حتّى فتحها الله عليهم، وذلك بسبب صنيعهم وبغيهم وتكذيبهم الرّسول الذي

[1] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص158.

[2] . عمر محمد عمر باحاذق، أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والاعجاز البياني، ص255.

بعثه الله فيهم منهم[1]. والمراد "وصف تلك الحال بالشمول لهم والاشتمال عليهم كاشتمال الملابس على الجلود، لأن ما يظهر منهم من سوء الأحوال وشحوب الألوان، كاللباس الشامل لهم والظاهر عليهم".[2]

هنا استعارة لأنّ حقيقة الذوق إنّما يكون في الطعام والشراب لا في الملابس، وإنّما خرج هذا الكلام مخرج الخبر عن العقاب النازل بهم والبلاء الشامل لهم، والحقيقة أن هناك استعارتان مكنيتان. أما الاستعارة الأولى فهي استعارة الذوق للباس، وأما الاستعارة الثانية :فهي استعارة اللباس للجوع والخوف كأنما قد أحاط بهم واشتمل عليهم كما يشتمل اللباس على لابسه.

ومن الشواهد أيضا قوله تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾(**الإسراء24**). حيث شبه الذل بطائر منحط من علو تشبيها مضمرا، وأثبت له الجناح تخييلا، فالطائر إذا أراد الطيران والعلو نشر جناحيه ورفعهما ليرتفع، وإذا ترك ذلك خفضهما، ولعلّنا نشعر بما وراء الاستعارة من حث للمؤمن على الخضوع لوالديه، وأن يكون في خضوعه وبرّه كالطائر الذي يرفرف بجناحيه حنوا وحنانا[3]. فالاستعارة مكنية إذ شبه الذل بطائر له جناح، فحذف الطائر ورمز له بشيء من لوازمه وهو "الجناح".

وقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿**إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ**﴾ (**الكهف21**)، فالتنازع هو: الجدال القوي،" أي تنازع أهل المدينة بينهم شأن أهل الكهف مثل: أكانوا نياما أم أمواتا، أيبقون أحياء أم يموتون، أيبقون في ذلك الكهف أم يرجعون إلى سكنى المدينة، وفي مدّة

[1]. ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص1079.

[2]. الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تح: علي محمود مقلد، دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت، ص147.

[3]. بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص192.

مكثهم".[1]، وجاء في تفسير ابن كثير:" يتنازعون في أمر القيامة، فمن مثبت لها ومن منكر، فجعل اللّه ظهورهم على أصحاب الكهف حجّة لهم وعليهم".[2] وهي استعارة مكنية.

ضف إلى ذلك الاستعارة المكنية في قوله تعالى: ﴿**رَجْمًا بِالْغَيْبِ**﴾ (**الكهف22**). "فالرجم حقيقته الرمي بحجر ونحوه، واستعير هنا لرمي الكلام من غير روية ولا تثبت، وكأنّهم لما تكلّموا عن أمر غائب كانوا يرجمون به".[3] فقد شبه الغيب والخفاء بشيء يرمى بالحجارة واستعير الرجم له.

وهناك شكل آخر من أشكال التصوير المعتمد على الاستعارة قوله تعالى: ﴿**فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ**﴾ (**الكهف76**). وهذه الآية من أكبر الأدلّة التي يستدل بها القائلون: "بأنّ المجاز في القرآن زاعمين أنّ إرادة الجدار الانقضاض لا يمكن أن تكون حقيقة، وإنّما هي مجاز"[4]، وقد دلّت آيات من كتاب اللّه على أنّه لا مانع من كون إرادة الجدار حقيقة، لأنّ اللّه تعالى يعلم للجمادات إرادات وأفعال لا يدركها الخلق. وهي استعارة مكنية، وكأنّ هذا الجدار وحش يريد أن ينقضّ على فريسته. بينما يرى صاحب التحرير والتنوير" أنّها استعارة تصريحية تبعية حيث شبّه قرب انقضاضه بإرادة من يعقل فعل شيء، فهو يوشك أن يفعله حيث أراده، لأنّ الإرادة طلب النفس حصول شيء وميل القلب إليه"[5].

---

[1] . الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ص289.

[2] . أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج5، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1997، ص147.

[3] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص201.

[4] . ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ص301.

[5] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص08.

والاستعارة من أكثر استعمالات اللّغة فاعلية تدخل في جانب التصوير والتأثير، وفي تطوير اللّغة وبث الحياة فيها، "فهي تتصدر بشكل كبير بنية الكلام الإنساني، إذ تعدّ عاملا رئيسيا في الحفز والحث و أداة للتعبير، ومصدرا للترادف، ومتنفّسا للعواطف والمشاعر الانفعالية"[1].

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**وَتَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ**﴾ (**الكهف95**)، "أي تركنا الناس يوم قيام الساعة يضطرب بعضهم ببعض لكثرتهم كاضطراب موج البحر من شدّة هول يوم القيامة".[2] أراد الله أن يصف كثرتهم، وأنّهم بلغوا ألافا مؤلفة لاتعد ولا تحصى، فشبّههم لكثرتهم وتداخلهم فيما بينهم بموج البحر المتلاطم، فكما تتلاطم الأمواج لكثرتها وتتابعها، كذلك شأن يأجوج ومأجوج فهم يتلاطمون كالأمواج ،لأن أصل الموج تحريك المياه واستعير لحركة يأجوج ومأجوج لاشتراك المستعار والمستعار له في الحركة، وهي استعارة مكنية تبعية .

ومن صور الاستعارة الجميلة ما جاء في سورة مريم من قوله تعالى: ﴿**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾(**مريم03**). أصل الاشتعال للنار، "وهو في هذا الموضع أبلغ وحقيقته كثرة شيب الرأس، إلاّ أن الكثرة لما كانت تتزايد تزايدا سريعا، صارت في الانتشار والإسراع كاشتعال النار، وحركة الاشتعال هنا تخيّل للشيب في الرأس حركة كحركة اشتعال النار في الهشيم".[3] وهي حركة معبّرة حيث شبّه الشيب بشواظ النار في بياضه وإثارته وانتشاره في الشعر، أي شبه الشعر الأسود بفحم والشعر الأبيض بنار على طريق الاستعارة المكنية، وأسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب مميزا .

[1]. ينظر، يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، عمان الأهلية للنشر والتوزيع، 1997، ص11.

[2] . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص207.

[3] . ينظر، صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ط1، 1995، ص63.

وقوله في سورة طه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾(طه70). الجذع: هو عود النخلة، والصلب يكون فوق الجذع لا بداخله ليدل على أنه صلب متمكن يشبه حصول المظروف في الظرف، وعدل عن حرف الاستعلاء إلى حرف الظرفية تشبيها لشدّة تمكّن المصلوب من الجذع بتمكّن الشيء الواقع في وعائه[1]. ففي الكلام استعارة مكنية تبعية وتقريرها أنه شبّه استعلاء المصلوب على الجذع بظرفية المقبور في قبره ثم استعمل في المشبه {في} الموضوعة للمشبه به أعني الظرفية فجرت الاستعارة في الاستعلاء والظرفية وبتبعيتها في "على" و"في" و"اذن"، ففي على بابها من الظرفية وهذا أصح الأقوال فيها وقيل أن "في" بمعنى "على" فلا يكون في الكلام استعارة.

ومن لطيف الاستعارات وأبدعها قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (الأنبياء35): "استعير الذوق لمطلق الإحساس الباطني، لأن الذوق إحساس باللسان، وذوق الموت ذوق آلام مقدماته، والمراد بالنفس النفوس الحالّة في الأجساد".[2] شبّه الموت بالطعام وهو في الحقيقة(الموت) لا يذاق، ولَكِن لوقوعه وكونه أمرا لابد منه صار بمثابة الطعام، فلا مفر لنفس من ذوقه.

وقوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغَهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (الأنبياء18)."الله تعالى هو الذي يبطل الباطل بالحق، وهنا استعير القذف لإيراد ما يزيل و يبطل الشيء من دليل، واستعير الدمغ أيضا لمحق الباطل وإزالته".[3] فقد شبه الحق والباطل وهما معنويان بشيئين ماديين محسوسين يقذفان ويدفعان ثم حذفا واستعار ما هو من لوازمهما وهما "القذف" و"الدمغ" لتجسيد الإطاحة بالباطل واعتلاء الحق عليه ، وهي من استعارة المحسوس للمعقول.

[1] . ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص265.
[2] . المصدر نفسه، ج17، ص64.
[3] . المصدر نفسه، ج17، ص35.

وقوله أيضا: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ (الأنبياء37) "العجل: السرعة. وخلق الانسان منه استعارة لتمكن هذا الوصف، شبّهت شدة ملازمة الوصف بكونه مادة لتكوين موصوفه، لأن ضعف صفة الصبر في الإنسان من مقتضى التفكير في المحبة والكراهية. فإذا فكّر العقل في شيء محبوب استعجل حصوله بداعي المحبّة، وإذا فكّر في شيء مكروه استعجل إزالته بداعي الكراهية".[1] استعارة مكنية فقد شبه العجل الذي طبع عليه الشخص بأصل مادته وهي الطين ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو قوله "خُلِق"، وقيل لا استعارة فيه وإنما هو من باب "القلب"، والأصل خلق العجل من الإنسان لشدة صدوره عنه وملازمته له.

ومنه قوله: ﴿ثُمَ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾(الفرقان59) "أمّا استواؤه على العرش فحمله على ظاهره من الاستقرار بذاته على العرش قوم، ولفظة العرش مشتركة بين معان كثيرة منها: سرير الملك، السقف، الملك والسلطان والعز، وقد يراد به الخشب الذي يُطوى به البئر بعد أن يُطوى أسفلها بالحجارة. أما الاستواء فبمعنى الاستقرار أو الاستعلاء. والمعنى: هو الرحمان استوى خلقه على العرش".[2]

استعارة مكنية فالمستعار الاستواء والمستعار منه كل جسم مستو والمستعار له الحق عز وجلّ ليتخيل السامع عند سماع هذه اللفظة ملكا استوى على سرير ملكه استيلاء عظمة، فيقيس ما غاب عن حسه من أمر الإلهية على ما هو متخيله من أمر المملكة الدنيوية عند سماع هذا الكلام.

[1] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص68.

[2] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج4، ص310.

وقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ نَضْطَرُّهُمُ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾ (**لقمان23**) "أي نلجئهم إلى عذاب شديد هو عذاب النار، الفظيع الشاق على النّفس"[1]. فقد شبه إلزامهم التعذيب باضطرار المضطّر إلى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه. والمراد الشدة والثقل على المعذب.

وقوله أيضا: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَذِينَ اَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**﴾ (**فاطر32**). "هو تبشير بدوام كتابه وإيتائه أمّة هم المصطفون من عباد الله تعالى، وتبشيره بأنهم يعملون به ولا يتركونه كما ترك أمم من قبله كتبهم ورسلهم، فهذه البشارة أهم من الإخبار بأن القرآن حق مصدق لما بين يديه، لأن هذه البشارة لم تكن معلومة عنده فوقعها أهم".[2] استعارة مكنية تبعية حيث شبّه إعطاء الكتاب إياهم من غير كد أو تعب في وصوله إليهم بتوريث الوارث.

ومن جميل الاستعارات قوله تعالى: ﴿**مَا تَرَكَ عَلى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ**﴾ (**فاطر46**). "والظهر: حقيقته متن الدابة الذي يظهر منها، وهو ما يعلو الصلب من الجسد وهو مقابل البطن فأطلق على ظهر الإنسان أيضا، وإن كان غير ظاهر، وظهر الأرض مستعار لبسطها الذي يستقر عليه مخلوقات الأرض تشبيها للأرض بالدابة المركوبة"[3] استعارة مكنية حيث شبه الأرض بالدابة التي يركب الإنسان عليها، ثم حذف المشبه به وهو "الدابة"، وأبقى شيئا من لوازمها وهو "الظهر"، والمراد ما ترك عليها.

وقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ**﴾ (**يس28**)"الخمود: انطفاء النار، استعير للموت بعد الحياة المليئة بالقوة والطغيان، ليتضمّن الكلام تشبيه حال حياتهم بشبوب النار، وحال موتهم

[1] . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2 ، ص 496.

[2] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج22، ص311.

[3] . المصدر نفسه، ص340.

بخمود النار".[1] شبهوا بالنار على سبيل الاستعارة المكنية، وفي ذلك رمز إلى الحي كشعلة النار، والميت كالرماد.

وقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ**﴾ (**الصافات177**). "أي إن كانوا يستعجلون بالعذاب فإذا نزل بهم فبئس وقت نزوله. وإسناد النزول إلى العذاب وجعله في ساحتهم استعارة تمثيلية مكنية، شبّهت هيئة حصول العذاب لهم بعد ما أنذروا به، فلم يعبأو بهيئة نزول جيش عدو في ساحتهم بعد أن أنذروا ، فلم يأخذوا أُهبتهم حتّى أناخ بهم"[2]. فشبه العذاب بجيش يهجم على قوم وهم في ديارهم بغتة فيحل بها، فحذف المشبه به وهو" الجيش" وأبقى على لازمة من لوازمه وهي" النزول".

وقوله أيضا: ﴿**وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ**﴾ (**ص11**) شبه هنا فرعون في ثبات ملكه ورسوخ سلطنته، ببيت ثابت أقيم عماده، وثبتت أوتاده على طريق الاستعارة المكنية. وقيل:" شبه الملك الثابت من حيث الثبات والرسوخ بذي الأوتاد، وهو البيت المطنب بأوتاده"[3]، واستعير ذو الأوتاد له على سبيل الاستعارة التصريحية.

وقوله تعالى: ﴿**فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ**﴾ (**فصلت50**).عريض: أي كثير مستمر، "مستعار مما له عرض متسع، وأصله مما يوصف به الأجسام، ويفهم في العرف من العريض الاتساع. وطبعا استعارة العرض أبلغ من استعارة الطول، لأنه إذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله، فالدعاء إلى الله من شيم المؤمنين وهم متفاوتون في الإكثار والإقلال منه"[4]. شبه الدعاء بأمر يوصف بالامتداد

[1] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج23، ص6.

[2] . المصدر نفسه، ص197

[3] . ينظر: المصدر نفسه، ص220.

[4] . المصدر نفسه، مج25، ص15.

ثم أثبت له العرض، أو يمكن القول أنه شبّه الدعاء المتكرر الملَحُّ فيه بالثوب أو المكان العريض، فحذف المشبه به وهو" الثوب" أو" المكان العريض" وأبقى على لازمة من لوازمه وهي" العرض".

ومن جميل الاستعارات أيضا قوله تعالى في سورة الدخان: ﴿**ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ**﴾(**الدخان45**)."ففعل الصّب لا يتعدّى إلى العذاب، لأنّ العذاب أمر معنوي لا يُصب، وإضافة العذاب هنا إلى الحميم للبيان"[1]، فالمصبوب هو الحميم لا عذابه، وصب العذاب استعارة حيث شبه العذاب بالشيء المائع، ثم خيّل له بالصب على طريق الاستعارة المكنية التخييلية.

وقوله: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مُقَامٍ اَمِينٍ**﴾ (**الدخان48**). أمين من الأمن الذي هو ضد الخيانة، وصف به المكان، "باعتباره (الأمن) أكبر شروط حسن المكان، لأن الساكن أول ما يتطلبه هو السلامة من المكاره والمخاوف، فإذا كان آمنا في منزله اطمأنّ باله وشعر بالنّعيم الذي يناله"[2]. استعارة مكنية وكأن المكان المخيف يخون صاحبه لما يلقى فيه من المكاره.

وقوله أيضا: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالاَرْضُ**﴾(**الدخان28**) وللآية معان كثيرة: "أحده أن البكاء ههنا بمعنى الحزن، فكأنّه قال: فلم تحزن عليهم السماء والأرض بعد هلاكهم وانقطاع آثارهم، وإنّما عبّر سبحانه وتعالى عن الحزن بالبكاء، لأنّ البكاء يصدر عن الحزن في كثير من الأحوال، وقيل: ما بكى عليهم من السموات والأرض ما يبكي على المؤمن عند وفاته من مواضع صلواته ومصاعد أعماله"[3]. شبّه السماء والأرض بمن يصحّ منه الاكتراث ثم حذف المشبه به وهو من يصحّ منه الاكتراث واستعار له شيئا من لوازمه وهو "البكاء" بطريق الاستعارة المكنية

[1]. صديق حسن خان القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج12، ص410.

[2]. المصدر نفسه، ص317.

[3]. ينظر: الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص281.

التخييلية، وجعله بعضهم مجازا مرسلا عن الاكتراث بهلاك الهالك والعلاقة السببية ذكر المسبب وأراد السبب، لأن الاكتراث المذكور سبب يؤدي إلى البقاء عادة.

وكذا قوله تعالى: ﴿**هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ**﴾(**الجاثية28**). والمعنى: "أنّ الكتاب بالحق ناطق من جهة البيان، كما يكون الناطق من جهة اللسان، وشهادة الكتاب ببيانه أقوى من شهادة الإنسان بلسانه".[1] استعارة مكنية حيث شبه الكتاب بشاهد يدلي بشاهدته ويشهد بالحق، وقد حذف المشبه به واستعار له شيئا من لوازمه وهو "النطق بالشهادة".

ويقول المولى عزّ وجل في سورة الذاريات: ﴿**ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ**﴾ (**الذاريات14**) "الذوق مستعار للإحساس القوي، لأن اللسان أشدّ الأعضاء إحساسا، والمعنى ذوقوا جزاء فتنتكم، وجعل الذوق فتنتهم إظهارا لكونه جزاء عن فتنتهم المؤمنين ليزدادوا ندامة"[2]. هي استعارة مكنية حيث شبّه العذاب بطعام يؤكل ثم حذف المشبّه به واستعير له شيء من لوازمه وهو "الذوق". وقيل إن أصل معنى الفتنة إذابة الجوهر ليظهر غشّه ثم استعمل في التعذيب والإحراق.

وكذا في سورة الانشقاق: ﴿**وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ**﴾ (**الانشقاق04**). أي أخرجت ما في باطنها فلم يبق منه شيء[3]. استعارة مكنية حيث شبّه حال الأرض بحال المرأة الحامل، تلقي ما في بطنها عند الشدة والهول، فحذف المشبه به، واستعار لفظ "الإلقاء".

وفي الآية الموالية: ﴿**وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ**﴾(**الانشقاق05**). بمعنى سمعت وأطاعت وأجابت لما أمرها به من الإلقاء والتخلّي، فجعلت بذلك حقيقة بالاستماع لذلك والانقياد له.[4]

[1] . ينظر: الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص282.

[2] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج26، ص346.

[3] . المصدر نفسه، ج30، ص220.

[4] . صديق حسن خان القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج15، ص145.

شبّه حال السماء في انقيادها لتأثير قدرة اللّه تعالى حيث أراد، بانقياد المستمع المطيع للأمر، ثم حذف المشبه به، واستعير لفظ "الإذن والاستماع " المستعمل في غايته.

وتنقسم الاستعارة باعتبار الإفراد والتركيب إلى استعارة في المفرد، واستعارة في المركّب وهي الاستعارة التمثيلية، وتسمّى الاستعارة على سبيل التمثيل.

ج- الاستعارة التمثيلية: وهي اللفظ المركب المستعمل في غير ما وُضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة، وهي كثيرة الاستعمال في كلام العرب نثره وشعره، وفي الحديث الشريف، وفي القرآن الكريم، ومثالها قوله: **﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾** (**يونس14**). حيث شبّه حال العباد مع ربّهم بحال رعيّة مع سلطانها في إمهالهم للنظر في أعمالهم، "وقيل على سبيل الرّدع لهم والتذكير بحال من سبق من الكفار، والوعيد لهم وضرب الأمثال، فكما فعل بهؤلاء يفعل بكم"[1]. واستعار الاسم الدال على المشبه به للمشبه على سبيل التمثيل والتقريب.

وقوله: **﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَّسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾** (**يونس42**) "أي أنّ الله لما خلق نفوسهم مفطورة على المكابرة والعناد، وبغضاء من أنعم الله عليه وحسده، كانت هاته الخصال الذميمة تحيل بينهم وبين التأثر بالمسموعات والمبصرات"[2]. استعارة تمثيلية، فقد شبههم في عدم الاهتداء بالصم والعمي بل هم أعظم، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، ولأن الأصم العاقل ربما استعان بالفراسة على الاستدلال، والأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن.

وقوله تعالى في سورة هود: **﴿مَّا مِن دَابَّةٍ اِلاَّ هُوَ ءَاخِذُ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾** (**هود55**) "أي هو المالك القاهر لجميع ما يدب على الأرض، لكونه مالكا للكل

[1] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص134.

[2] . ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج11، ص178.

يقتضي أن لا يفوته أحد منهم، وكونه قاهرا لهم يقتضي أن لا يعجزه أحد منهم، والأخذ بالنّاصية هنا تمثيل للتمكّن، تشبيه بهيئة إمساك الإنسان من ناصيته حيث يكون رأسه بيد آخذه، فلا يستطيع انفلاتا، وإن كان تمثيلا."[1]

استعارة تمثيلية حيث شبّه الخلق وهم في قبضة الله وملكه، وتحت قهره وسلطانه بالمالك الذي يقود المقدور عليه بناصيته، كما يقاد الأسير والفرس بناصيته.

ويقول في سورة إبراهيم: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ﴾(ابراهيم48) "أي وإن كان مكرهم من القوة والتأثير حتى ليؤدي إلى زوال الجبال، ولكن الله عصم ووقى منه".[2] وجاء في التحرير والتنوير: "أن مكرهم ليس بمتجاوز مكر أمثالهم، وما هو بالذي تزول منه الجبال، وفي هذا تعريض بأنّ رسول الله عليه الصلاة والسّلام والمسلمين الذين يريد المشركون المكر بهم لا يزعزعهم مكرهم لأنّهم كالجبال الرواسي"[3].

شبه تعالى بقوله "لتزول منه الجبال" مكرهم لتفاقمه وشدته وبلوغهم الغاية منه، وشبه شريعته وآياته وما أنزله على نبيه من تعاليم سامية، وحجج بينة بالجبال في رسوخها وتمكنها من نفوس المؤمنين بها المتشبثين بأهدابها، وهي من أرقى الاستعارات وأجملها وتزداد روعتها بأن صدور المكر المعدّ لإزالة الجبال صادر عن قوم جوف لا جدوى فيهم ولا قوة لهم، وهم في تقلبهم وخفتهم أشبه بالهواء إذ قال قبل ذلك: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾(45) والهواء :الخلاء، أي خالية من الفهم لفرط الدهشة[4].

---

[1] ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص ص100-101.

[2] . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص101.

[3] . المصدر نفسه، ج13، ص250.

[4] . محمد سالم محيسن وشعبان محمد اسماعيل، الهادي إلى تفسير غريب القرآن، دار الاتحاد العربي للطباعة، د.ط، د.ت، ص147.

ومن أبدع الاستعارات قوله في سورة النحل: ﴿**قَدْ مَكَرَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُم مِّنَ الْقَواعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ**﴾(**النحل26**) استعارة تمثيلية، فقد شبّه الله تعالى حال جميع الماكرين المبطلين المدبرين للمكائد والمؤامرات والذين يحاولون إيقاع الضرر والمكر برسل الله تعالى عليهم الصّلاة والسّلام وإبطال الله تعالى إياها وجعلها سببا لهلاكهم، "كحال قوم بنوا بنيانا عظيما ذا دعائم وآووا إليه فاستأصله الله من قواعده فخرّ سقف البناء دفعة على أصحابه، فهلكوا جميعا"[1]. ووجه الشبه أن ما نصبوه وخيلوه سبب التحصن والاستيلاء صار سبب البوار والفناء، فالأساطين بمنزلة المنصوبات، وانقلابها عليهم مهلكة كانقلاب تلك الحيل على أصحابها، ويشبه ذلك قولهم: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

وقوله: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾(**النحل40**) "شبّه الشيء الممكن حصوله بشخص مأمور، وشبّه انفعال الممكن لأمر التكوين بامتثال المأمور لأمر الآمر، وكل ذلك تقريب للناس بما يعقلون، وهو ليس خطابا للمعدوم، ولا للمعدوم سمعا يعقل به الكلام فيمتثل للآمر"[2]. فهو تمثيل لسهولة تأتيّ المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها، وفي الآية من الفخامة والجزالة ما تحار فيه العقول.

وقوله أيضا: ﴿**فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا**﴾(**النحل94**). "زلل القدم تمثيل لاختلال الحال والتعرض للضر، لأنّه يترتّب عليه السقوط أو الكسر، كما أنّ ثبوت القدم تمكن الرجل من الأرض، وهو تمثيل لاستقامة الحال ودوام السير"[3]. فالكلام استعارة للمستقيم الحال الذي يقع في شر عظيم ويسقط فيه، لأن القدم إذا زلت نقلت الإنسان من حال خير إلى حال شر. ويقال لمن أخطأ في شيء زلت به قدمه.

---

[1] . ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج14، ص135.

[2] . المصدر نفسه، ص156.

[3] . المصدر نفسه، ج14، ص269.

ضف إلى ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً اِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾(**الاسراء29**) تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف المبذر زجرا لهما، وحملا على ما بينهما من الاقتصاد والتوسط بين الإفراط والتفريط. "استعارة تمثيلية لمنع الشحيح وإعطاء المسرف، بحيث شبه حال البخيل في امتناعه من الانفاق بحال من يده مغلولة إلى عنقه فهو لا يقدر على التصرف في شيء، وشبه حال المسرف المبذر بحال من يبسط يده كل البسط فلا يبقي على شيء في كفه ولا يدخر شيئا ينفعه في حال الحاجة، ليخلص إلى نتيجة مجدية وهي التوسط بين الأمرين والاقتصاد الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط"[1]. استعارة تمثيلية حيث مثّل البخيل بالذي حبست يده عن الإعطاء، وشدت إلى عنقه بحيث لا يقدر على مدها، وشبّه الإسراف ببسط الكف بحيث لا تحفظ شيئا، وقد طابق في الاستعارة بين بسط اليد وقبضها من حيث المعنى لأن جعل اليد مغلولة هو قبضها وغلّها أبلغ في القبض.

ومن جميل الاستعارات قوله في سورة "طه":﴿**وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِيَ**﴾(**طه39**). "والصنع: مستعار للتربية والتنمية، تشبيها لذلك بصنع شيء مصنوع، ومنه يقال لمن أنعم عليه أحد نعمة عظيمة، هو صنيعة فلان"[2].

تمثيل لشدة الرعاية، وفرط الحفظ والكلاءة بمن يصنع بمرأى من الناظر، لأن الحافظ للشيء- في الغالب- يديم النظر إليه، فمثّل لذلك بمن يصنع على عين الآخر.

وقوله في سورة الفرقان: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**﴾ (**الفرقان23**). أي أن الله تعالى يحاسب العباد يوم القيامة على ما عملوه من خير وشر،" فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال- التي ظنوا أنّها منجاة لهم- شيء، أي أنّهم عملوا

[1] . ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مج15، ص84.

[2] . المصدر نفسه، ج16، ص218.

أعمالا اعتقدوا أنها شيء، فلما عرضت على الملك الحكيم العدل الذي لا يجور ولا يظلم أحدا، إذ أنّها لا شيء بالكلية"[1]. وشبّهت في ذلك بالشيء التافه الحقير المقرف، الذي لا يقدر منه صاحبه شيء. بطريق الاستعارة التمثيلية.

ومن ألطف الاستعارات وأبدعها ما جاء في سورة الشعراء: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ**﴾ (**الشعراء224**) استعارة تمثيلية لطيفة، حيث مثّل ذهابهم عن سنن الهدى، وإفراطهم في المديح والهجاء بالتائه في الصحراء، فهو لا يدري أين يسير.

وقوله :﴿**وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ**﴾ (**سبأ52**)"أي كيف لهم تعاطي الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى الدار الآخرة، فلو كانوا آمنوا في الدنيا لنفعهم ذلك، ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة، لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان، كما لا سبيل إلى حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد"[2]. الآية مركب تمثيلي يفيد تشبيه حالهم إذ فرطوا في أسباب النجاة وقت كان النّبي عليه الصّلاة والسّلام يدعوهم ويحذرهم، ثم جاؤوا يطلبون النجاة بعد فوات وقتها بحالهم كحال من يريد تناوشها، وهو في مكان بعيد، وشبّه السّعي بما يحصل بسرعة التناوش، وشبّه فوات المطلوب بالمكان البعيد كالحوض[3].

وقوله: ﴿**إِنَّا جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِمْ أَغْلاَلًا**﴾ (**يس07**). والمعنى: "إنّا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء كمن جعل في عنقه غل، وجمعت يداه مع عنقه تحت ذقنه، فارتفع رأسه فصار مقمحا، والمقمح هو الرافع رأسه، واكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر اليدين، لأنّ الغل إنّما يعرف فيما جمع اليدين مع العنق".[4] استعارة تمثيلية حيث شبّه حال الكفار في امتناعهم عن

[1]. ينظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص1355.

[2]. المصدر نفسه، ص1547.

[3]. الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج22، ص243.

[4]. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص1563.

الهدى والإيمان، وإعراضهم عن التدبر في القرآن، والتأمل في حججه الواضحة، بحال قوم جعلت في أعناقهم أغلال غليظة ترتفع إلى أذقانهم كالمقمحين وبمن سُدّت الطرق في وجهه فلم يهتد لمقصوده.

وقوله أيضا: ﴿**وَجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا**﴾(**يس08**). "أي منعناهم عن الإيمان بموانع، فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر إلى الإيمان، ومثلت حالتهم بحالة من جُعلوا بين سدين، أي جدارين: سدا أمامهم، وسدا خلفهم، فلو راموا تحولا عن مكانهم وسعيهم إلى مرادهم لما استطاعوه".[1]

وكأنهم حرموا نعمة التفكير في القرون الخالية، والأمم الماضية، والتأمل في العواقب المستقبلة، فهم في ظلمة داكنة، لا تختلج العين من جانبها بقبس، ولا تتوسم بصيصا من أمل.

ومن شواهد الاستعارة التمثيلية قوله تعالى: ﴿**وَقالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ**﴾(**فصلت04**) إلى قوله: ﴿**عامِلُونَ**﴾ ففي الآية ثلاث استعارات تمثيلية، "حيث مُثل نبو قلوبهم عن إدراك الحق وقبوله، بحال ما هو في أكنة، وعدم تأثر أسماعهم بدعوته بصم الآذان، وعدم التقارب بين ما هم عليه، وما هو عليه بالحجاب الممدود بينه وبينهم فلا تلاقي ولا ترائي"[2]. والجمع بين الحالات الثلاث في التمثيل للمبالغة في أنهم لا يقبلون ما يدعوهم إليه.

وقوله: ﴿**فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ايتِيَا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾(**فصلت10**) فمعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وامتثالهما: "أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما، وكانتا في ذلك كالمأمور المطيع إذا ورد عليه فعل الآمر المطاع، وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل، ويجوز أن يكون تخييلا ويبنى الأمر فيه على أن اللّه تعالى كلّم السماء والأرض وقال لهما: ائتيا

[1] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج22، ص351.
[2] . المصدر نفسه، ج24، ص234.

شئتما ذلك أو أبيتماه، فقالتا: أتينا على الطوع لا على الكره. والغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات لا غير، من غير أن يحقق شيء من الخطاب والجواب ونحوه".[1] مثّل تأثير قدرته تعالى في السموات والأرض، بأمر السلطان لأحد رعيّته أو عبيده بأمر من الأمور وامتثال الأمر سريعا، فالسموات والأرض منقادة لحكمه لا تخرج عن طوعه وإرادته.

وقوله أيضا: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتِ**﴾(**فصلت38**)."حيث شبه حال جدوبة الأرض وخلوها عن النبات، ثم إحياء اللّه تعالى إياها بالمطر، وانقلابها من الجدوبة إلى الخصب، وإنبات كل زوج بهيج، بحال شخص كئيب كاسف البال، رث الهيئة، لا يؤبه، ثم إذا أصابه شيء من متاع الدنيا وزينتها تكلف بأنواع الزينة والزخارف، فيختال في مشيه زهوا، فيهتز بالأعطاف خيلاء وكبرا، فحذف المشبه واستعمل الخشوع والاهتزاز دلالة على مكانه"[2].

ولننظر إلى هذه الاستعارة في قوله تعالى: ﴿**يُنادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ**﴾(**فصلت43**). "تمثيل لحالهم في عدم قبول المواعظ وإعراضهم عن القرآن و ما فيه، بحال من ينادى من مكان بعيد"[3]، فلا يسمع ولا يفهم ما يُنادى به، والجامع عدم الفهم في كل.

وقوله: ﴿**أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ**﴾(**الزخرف04**)."الضرب حقيقته قرع جسم بآخر، وهو هنا مستعار لمعنى القطع والصرف أخذا من قولهم: (ضربَ الغرائبَ عن الحوض)، أي أطردها وصرفها لأنها ليست لأهل الماء".[4] هو تذكير لهم بتجدد التذكير، وبيان لهم أن استمرار إعراضهم لا يكون سببا في قطع الإرشاد عنهم، لأنّ الله رحيم بهم مريد لصلاحهم، لا يسرّه إسرافهم في

[1] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج24، ص ص247-248.
[2] . ينظر: المصدر نفسه، ص302.
[3] . المصدر نفسه، ج24، ص316.
[4] . المصدر نفسه، ج25، ص163.

الإنكار عن زيادة التقدّم إليهم بالمواعظ والهدي، استعارة تمثيلية حيث شبه حال الذكر وتنحيته، بحال غرائب الإبل وذودها عن الحوض إذا دخلت مع غيرها عند الورود.

ومن أروع الاستعارة ما جاء ذكره في قوله تعالى: ﴿**اَفَمَنْ يَّمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾(**الملك23**). وردت هذه الاستعارة اللطيفة بطريق التمثيل للمؤمن والكافر، فالمؤمن يمشي سويا إلى صراط مستقيم، والكافر يمشي مكبّا على وجهه إلى طريق الجحيم. واشتملت الآية حسب ما جاء في التفسير على ثلاث استعارات تمثيلية[1]، فقوله" يمشي مكبا على وجهه" تشبيه لحال المشرك في تقسّم أمره بين الآلهة طلبا للذي ينفعه، بحال السائر قاصدا أرضا معيّنة، فيتبع طريق ملتوية وتلتبس عليه، فيبقى حائرا أي طريق يبلغه مقصده.

وضمن هذه الاستعارة هناك استعارة أخرى، وهي تشبيه حال المتحيّر المتطلّب للآثار في الأرض بحال المكب على وجهه في شدّة اقترابه من الأرض.

والثالثة في قوله: "**من يمشي سويا**" "تشبيه لحال الذي آمن بربّ واحد، الواثق بنصر ربه وتأييده، وبأنّه مصادف للحق، بحال الماشي في طريق جادّة واضحة لا ينظر إلاّ إلى اتجاه وجهه، فهم مستوٍ في سيره".[2] هو مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا لشأن مذهبهما، فالمشرك أعمى لا يهتدي إلى الطريق، منكب على وجهه، والموحد صحيح البصر، يمشي في طريق واضحة مستقيمة.

ولنتأمل قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿**وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ**﴾ (**القيامة28**). والظاهر أنّ المعنى: "التفاف ساقي المحتضر بعد موته، إذ تُلفّ الأكفاف على ساقيه ويقرن بينهما في ثوب

[1]. الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج29، ص45.

[2]. ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

الكفن، فكل ساق منهما ملتفة صحبة الساق الأخرى، وهذا وصف الحالة التي تهيّأ بها لمصيره إلى القبر"[1]. هي استعارة تمثيلية لشدة مفارقة المألوف من الوطن والأهل والولد والصديق، وشدة القدوم إلى ربه جلّ شأنه. وقد التفّت الشدتان ببعضهما، كما تلتف الساق على الساق، ويقال: قامت الحرب على ساق استعارة لشدّتها.

وقوله في سورة الشّمس: ﴿**وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا**﴾ (**الشمس15**). "أي لأدرك عليه تعالى في فعله بهم، وقيل يُحتمل أن يعود على صالح: أي لا يخاف عُقبى هذه الفعلة بهم، إذ كان قد أنذرهم وحذّرهم، وقيل الضمير في "يخاف" عائد على أشقاها، أي انبعث لعقرها وهو لا يخاف عُقبى فعله لكفره وطغيانه".[2] هي استعارة تمثيلية أي عاقبتها وتبعتها كما تخاف الملوك عاقبة أفعالها، والمقصود من الاستعارة إهانتهم وإذلالهم، ويجوز أن يعود الضمير على رسول الله أي أنه لا يخاف عاقبة إنذاره لهم.

وقوله في سورة الشرح: ﴿**وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ* الذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ**﴾ (**الشرح02-03**). والمعنى "أن الله أزال عنه كل ما كان يتحرج منه من عادات أهل الجاهلية التي لا تلائم ما فطر الله عليه نفسه من السمو، ولا يجد بدّا من مسايرتهم عليه فوضع عنه ذلك حين أوحى إليه بالرسالة"[3]. والمراد عصمته وتطهيره صلّى الله عليه وسلّم من الوزر حيث لا وزر، حيث شبّه حاله بحال من آذاه الحمل وكلّله العرق حتى إذا انحطّ عنه الحمل تنفّس الصعداء، وانزاحت عنه الكروب والأهوال بجامع أن كلا منهما مجهود، ثم استعير التركيب الدال على حال المشبّه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية.

[1]. الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج29، ص359.
[2]. ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج8، ص 476.
[3]. الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص410.

وتنقسم الاستعارة باعتبار اللّفظ المستعار إلى أصلية وتبعية، والتبعية: هي الاستعارة الواقعة في الأفعال، والأسماء المشتقة منها، والحروف، وسميّت تبعية لأن الاستعارة لا تقع فيها أصالة، بل تقع في المصادر بالنسبة للأفعال والمشتقات، ومثالها قوله تعالى: ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِيَ**﴾ (**طه41**)."الاصطناع: صنع الشيء باعتناء، والكلام تمثيل لهيئة الاصطفاء لتبليغ الشريعة بهيئة من يصطنع شيئا لفائدة نفسه، فيصرف فيه غاية إتقان صنعه"[1].شبّه ما خوّله به من القرب والاصطفاء، بحال من يراه الملك أهلا للكرامة وقرب المنزلة، لما فيه من الخصال الحميدة فيصطنعه، ويختاره لخلّته ويصطفيه لأموره الجليلة، واستعار لفظ" اصطنع" لذلك.

وقوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ**﴾(**الزمر07**) "فوصف الأنعام بالإنزال مجازا إمّا لأن قضاياه توصف بالنزول من السّماء، حيث كُتب في اللوح كل كائن يكون، وإمّا لعيشها بالنبات، والنبات ناشئ عن المطر، والمطر نازل من السّماء، فكأنّه تعالى أنزلها، وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها، وعلى هذا يكون إنزال أصولها حقيقة".[2] هو مجاز عن القضاء والقسمة، فإنه تعالى إذا قضى وقسم أثبت ذلك في اللوح المحفوظ، ونزلت به الملائكة الموكلة بإظهاره، ووصفه بالنزول مع أنه معنى شائع متعارف كالحقيقة، والعلاقة بين الإنزال والقضاء الظهور بعد الخفاء، ففي الكلام استعارة تبعية، ويجوز أن يكون مجازا مرسلا.

ويقول في سورة الصّافات: ﴿**إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾(**الصافات84**) "أي إخلاصه الدين لله، وسلامة قلبه براءته من الشرك والشك، والنقائص التي تعتري القلوب من الغل والحسد والخبث والمكر والكبر ونحوها. وقيل سليم من الشرك ولا معنى للتخصيص".[3] حيث شبّه إقباله على ربّه مخلصا بقلبه، بمن قدم على الملك بتحفة ثمينة جميلة، ففاز بالرضى والقبول.

[1] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص223.

[2] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج7، ص400.

[3] . المصدر نفسه، ص350.

بالإضافة إلى قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿**الرِّيحَ الْعَقِيمَ**﴾(**الذاريات41**). الريح العقيم: "الخلية من المنافع التي تُرجى لها الرياح، أي لا نفع لها، أي ريح كالناقة العقيم لا تثمر نسلا ولا دَرّاً".[1] سميت عقيما لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم، فشبه إهلاكهم وقطع دابرهم بعقم النساء وعدم حملهن، لما فيه من إذهاب النسل، ثم أطلق المشبه به على المشبه، واشتق منه "العقيم".

ولنلاحظ قوله تعالى في سورة الطور: ﴿**رَيْبَ الْمَنُونِ**﴾ (**الطور28**). "أي حوادث الدهر، فإنّه لا يدوم على حال".[2] شبهت حوادث الدهر بالريب الذي هو الشك، بجامع التحيّر وعدم البقاء على حالة واحدة في كلّ منهما، واستعير لفظ "الريب" لصروف الدّهر ونوائبه.

[1] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص11.

[2] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط ، ج8، ص148.

الفصل الثالث:

أسلوب التشبيه في النص القرآني المكي

أولا: التشبيه لغة واصطلاحا.

ثانيا: أنواع التشبيهات في السور المكية.

يعد التشبيه أحد الأركان الأساسية في أصول البيان العربي ومصادر التعبير الفني، ففيه تتكامل الصّور وتتدافق المشاهد، والتشبيه محاولة بلاغية جادّة لصقل الشكل وتطوير اللّفظ، ومهمّته تقريب المعنى إلى الذهن بتجسيده حيّا، ومن ثمّ فهو ينقل اللّفظ من صورة إلى أخرى على النّحو الذي يريده المصوّر، فإن أراد صورة متناهية في الجمال والأناقة، شبّه الشيء بما هو أرجح منه حسنا، وإن أراد صورة متداعية في القبح والتفاهة شبّه الشيء بما هو أردأ منه صفة.

وكونه أحد عناصر البيان المؤثرة في النّفس، كان له دور كبير في القرآن الكريم، فقد عُني البلاغيون به كثيرا، لما له من أثر جمالي ونفسي في الكلام، فكان لرصد التشبيه عامة، والتشبيه القرآني خاصّة، أثر كبير في الكشف عن مداليل القرآن الكريم، فكان للتشبيه ذكر في كتب القدماء من اللّغويين والبلاغيين لما له من أهمية بيانية.

أولا: التشبيه لغة واصطلاحا.

أ- التشبيه لغة:

التمثيل، وشبّه الشيء بالشيء مثّله، والشبه: ماله شِبه وشَبه وشبيه، وتشابها الشيئان واشتبها، واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست، وإيّاك والمشتبهات، الأمور المشكلات.[1]

وقد تعلّق ابن الأثير بهذا النص اللّغوي فعاب على البلغاء هذه التفرقة بين التشبيه والتمثيل يقول:" وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا بابا مفردا ولهذا بابا مفردا، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال: شبهت هذا الشيء بهذا الشيء كما يُقال: مثّلته به، وما أعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه".[2] وما عابه ابن الأثير ليس بعيب، فاتحاد التشبيه والتمثيل في أصل الوضع لا يخفى على العلماء، ولكن المعروف أنه يوجد فرق دائما بين العرف اللغوي والاصطلاحي.

ويرى عبد القاهر:" أن التشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا، وكل ما لا يصح أن يسمى تمثيلا فلفظ المثل لا يستعمل فيه أيضا".[3]

وفي كتاب العين: الشّبه: ضرب من النّحاس يُلقى عليه دواء فيصفر، وسُمي شبها لأنّه شُبه بالذهب، وفي فلان شَبَه من فلان، وهو شبهه وشِبهُهُ، أي شبيهه، والمشبِهات من الأمور المشكلات، واشتبه الأمر: أي اختلط[4].

---

[1] . الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان، ط1، 1998، باب الشين، ص493.

[2] . ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص115.

[3] . عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص 73.

[4] . الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، ج2، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2003 ، باب الشين، ص304.

ب- اصطلاحا:

تتعدّد تعريفات التشبيه وإن اختلفت لفظا فإنّها متّفقة معنى، فابن رشيق مثلا يعرفه بقوله**:**" التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته".[1]

ويعرفه حازم القرطاجني:" وأمّا التشبيهات فمنها ما يتعلّق الشَبَهُ فيه بالصور والخلق، ومنها ما يتعلّق الشَبَهُ فيه بالانفعال والصفات وكلا التشبيهين لايخلو من أن يكون تشبيهُ الشيء فيه بما هو من نوعه..."[2] ويردف قائلا: "وتشبيه الشيء بالشيء، يكون بأن يتّفق معه في صفة تكون في أحدهما على حدها في الآخر أو بنسبة منها أو في أكثر من صفة، فأمّا أن يتّفق معه في جميع الصفات فلا يمكن وإلاّ فكان يلزم لو اتّفق معه في جميع ذلك أن يكون حقيقة هذا حقيقة ذلك من جميع الجهات وذلك غير ممكن".[3]

ولا خلاف أن بلغاء الأدباء –وإن لم يحدّوا التشبيه- فإنّهم قد كشفوا عن مزاياه وخصائصه، ومبلغ الصلة بين طرفيه، وموضع الحسن والقبح فيه، فمهّدوا السّبيل للخلف في بنائه على قواعد محكمة وأسس متينة. ولعلّ أبا هلال العسكري أول بليغ تصدّى لتعريف التشبيه اصطلاحا بقوله: "الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب التشبيه منابه أو لم ينب".[4]

---

[1] . ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح**:** محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة،ط5، 1981، ص286.

[2] . حازم القرطاجني ،منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966، ص220.

[3] - حازم القرطاجني ،منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص221.

[4] . العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح**:** علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، ط2، ص245.

وللتشبيه الحظّ الكبير من التعريفات في التراث النقدي والبلاغي ولكنّها لا تحيد في معناها عمّا جاءت به التعريفات السابقة فهي جميعا تصب في قالب واحد هو أنّ التشبيه هو الجمع بين الشيئين أو الأشياء بمعنى ما بواسطة أداة التشبيه، وهو في عرف البلاغة "الدلالة على مشاركة شيء لشيء في معنى من المعاني أو أكثر على سبيل التطابق أو التقارب لغرض ما ولا يكون وجه الشبه فيه منتزعا من متعدّد".[1]

فالتشبيه لون من ألوان التعبير الممتاز، وصورة من الصور البيانية التي لا تختص بجنس ولا لغة، لأنّه من الهبات الإنسانية والخصائص الفطرية، والتراث المشاع بين الأنواع البشرية جميعا. ذلك لأنّ أساسه هذه الصفات المشتركة أو المتشابهة أو المتضادة التي يراها الإنسان في الأشياء، والتي تتطلب حسن استعماله للألفاظ بعضها مكان بعض تجوزا. ولقائل أن يقول:" إنّ التشبيه أقدم صور البيان، إذ هو مبني على ما تلمحه النفس من اشتراك بعض الأشياء في وصف خاص يربط بينها".[2]

والصيغ التشبيهية في القرآن الكريم هي إحدى وسائل التعبير البلاغي، لا سيما وأنّ القرآن الكريم يتميّز بأسلوب فريد وتعبير مناسب، حيث جاء التصوير فيه أكثر وضوحا، وأعظم تأثيرا، وأبلغ إحساسا يقول عبد القاهر الجرجاني:" إذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلّما كان أشد كانت النّفوس أعجب, وكانت النفوس لها أطرب, وكان مكانها من أن تُحدث الأريحية أقرب".[3]

[1]. عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، ج2، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1996،ص162.

[2]. علي الجندي، فن التشبيه، ج1، ص45.

[3]. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المعارف، 1954، ص146.

إنّه عنصر أساسي في التركيب الجملي, والمعنى العام المراد لا يتم إلاّ به, فالنص الأدبي الممتاز لا يقصد إلى التشبيه بوصفه تشبيها فحسب, بل بوصفه حاجة فنية تبنى عليها ضرورة الصياغة والتركيب.

ثانيا: أنواع التشبيهات في السور المكية.

سلك البلغاء في تقسيم التشبيه طرقا تختلف باختلاف ثقافتهم ونظرتهم العلمية والفنية فبعضها يتعلق بذكر أداة التشبيه ووجه الشبه أو عدم ذكرهما وهي:

- **التشبيه المرسل**: وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه. "ويتصل حضور الأداة أو غيابها بمفهوم المسافة بين طرفي التشبيه، فحضور الأداة يُبقي على البعد أو الفضاء الفاصل بين الطرفين".[1]

- **التشبيه المؤكد**: وهو ما حذفت منه أداة التشبيه. "وبغياب الأداة ينتقل التركيب من إخبار بالمشابهة إلى إخبار المشبه به عن المشبه، فهو هو، وهذا مدخل التوكيد فيه، لذلك سُمي بالمؤكد".[2]

- **التشبيه المفصل**: وهو ما ذكر فيه وجه الشبه. "وبذكره يفصّل المتكلم وجه الجمع بين طرفي التشبيه فيسهل على السامع أو القارئ العثور على السّمة التي يشترك فيها الطرفان، إذ يُشعر الباث سامعه بأنّه يقرن بين الطرفين في نقطة واحدة وهما شيئان مختلفان متمايزان في سائر السمات. فمجال التقاطع إذن محدود معيّن".[3]

- **التشبيه المجمل**: وهو ما غاب فيه وجه الشبه. "وبغيابه أجمل المتكلم في الجمع بين الطرفين فسمي مجملا.وقيل:" سمي بذلك لوقوعه جُمليا، أخذا من الإجمال الذي هو عدم ذكر الشيء صريحا ولو فُهم معنى"[4]. وهو إمّا ظاهر لا يخفى فهمه حتّى على العامّة لمعرفة

[1] . ينظر، الأزهر الزناد، دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، ص23.

[2] . المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] . الأزهر الزناد، دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، ص23.

[4] . علي الجندي، فن التشبيه، ج1، ص 164.

المقصود منه ببديهة السّماع، كتشبيه الجمال بالقمر، فوجه الشبه ظاهر لا يحتاج إلى تأمل، لأن الجمال أظهر أوصاف القمر. وإمّا خفي لا يدركه إلّا الخواص من النّاس للحاجة الماسّة فيه إلى فضل النظر، وكثرة التأمّل.

وسنعرض فيما يلي بعض التشبيهات:

1- التشبيه المرسل:

في قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ**﴾ (**الأعراف171**) النتق: الفصل والقلع. يعود الكلام إلى العبرة بقصص بني إسرائيل مع موسى عليه السّلام لأنّ قصة رفع الطور عليهم من أمهات قصصهم "وهذه الآية أظهرها الله لهم تخويفا لهم، لتكون مذكرة لهم، فيعقب ذلك أخذ العهد عليهم بعزيمة العمل بالتوراة فكان رفع الطور معجزة لموسى عليه السّلام تصديقا له فيما سيبلغهم عن الله من أخذ أحكام التوراة بعزيمة ومداومة".[1]

ولمّا يلتقي التشبيهان المرسل والمجمل يصبح التشبيه مرسل مجمل كما هو الحال في قوله تعالى:﴿**كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا**﴾(**يونس27**).هو "إخبار عن سواد وجوههم في الدار الآخرة".[2] وجاء في تفسير سيد قطب "كأنّما أخذ من الليل المظلم فقطع رقعا غشيت بها هذه الوجوه، وهكذا يغشى الجو كلّه ظلام من ظلام الليل المظلم ورهبة من رهبته"[3]، وقيل "شبّه سواد وجوههم بقطع من الليل حال اشتداد ظلمته".[4] أي أنّهم لا يرون إلاّ ظلمة من شدّة الرعب والجزع.

---

[1] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج9، ص165.

[2] . المصدر نفسه، ص264.

[3] . سيد قطب، في ظلال القرآن، ص1779.

[4] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص152.

وشحذ ذهن المتلقي وتحريك طاقاته الفكرية من أغراض التشبيه، حتى يتأمل ويصل إلى إدراك المراد عن طريق التفكر، كتشبيه حال فريق الكفار في عدم إبصار الحق وسماعه بحال الأعمى والأصم. وتشبيه حال فريق المؤمنين بحال من كان سليم البصر، سليم السّمع فهو في هدى ويقين من مدركاته يقول الحق تبارك وتعالى في سورة هود: **﴿مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كَالَاعْمَى وَالَاصَمِّ وَالبَصِيرِ وَاالسَّمِيعِ هَلْ يَستَوِيَانِ مَثَلًا اَفَلَا تَذَّكَّرُونَ﴾**(**هود24**).هي صورة حسية تتجسّم فيها حالة الفريقين" فالفريق الأول كالأعمى لا يرى وكالأصمّ لا يسمع- والذي يعطل حواسه وجوارحه عن الغاية الكبرى منها، وهي أن تكون أدوات موصلة للقلب والعقل، ليدرك ويتدبر فكأنّما هو محروم من تلك الجوارح والحواس، والفريق الثاني كالسميع والبصير في الرؤية والسماع"[1]. أي مثل الفريق الكافر بالأعمى والأصم في عدم البصر والسّمع، والفريق المؤمن بالسّميع والبصير، وهو تشبيه مرسل مجمل لوجود أداة التشبيه "الكاف" وحذف وجه الشبه.

وقيل إنّه شبّه هؤلاء الكفرة الموصوفين بالصم والعمى بحال من خلق أصمّ أعمى، لعدم انتفاعه بحاسيّته فيما يتعلق بسعادة الدارين."وحال هؤلاء المؤمنين لانتفاعهم بهما، وامتناعهم عمّا وقع فيه أولئك بحال من له حاسّة السّمع والبصر، لانتفاعه بالنظر لأنوار الهداية، واستماعه لما يلذّ وينتفع به السّمع من البشارة والإنذار"[2].

لأن الأعمى قد يهتدي بما سمع من الدلالة، والأصم قد يهتدي بما يرى من الإشارة، فمن كان أعمى أصم لا يقبل الهداية بوجه من الوجوه، وهذا أبلغ وأقوى في التشنيع.

ونذكر من أمثلته أيضا قوله سبحانه وتعالى في سورة يوسف: **﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ﴾** (**يوسف06**).هو "تذكير له بنعم سابقة، فإن كان المراد

[1] . سيد قطب، في ظلال القرآن، ص1868.

[2] . السيد جعفر السيد باقر الحسيني، أساليب البيان في القرآن، مؤسسة بوستان كتاب، ط1، ص 308.

من إتمام النعمة النبوءة فالتشبيه تام، وإن كان المراد من إتمام النعمة الملك فالتشبيه في إتمام النعمة على الإطلاق."[1] وإتمام النعمة عليه هو إعطاؤه أفضل النّعم وهي نعمة النبوءة، أو هو ضم الملك إلى النبوءة والرسالة، فيكون المراد إتمام نعمة الاجتباء الأخروي بنعمة المجد الدنيوي.

وعندما يخبرنا الحق تبارك وتعالى عن كماله و قدرته التامّة التي لا تخالف ولا تُمانع يقول في سورة النحل: ﴿**وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ البَصَرِ**﴾(**النحل 77**).أي في طرفة عين،" فإذا أراد شيئا فإنّما يقول له كن فيكون. وإنّما يستهول الأمر ويستصعبه من يحسبون بحساب البشر، وينظرون بعين البشر، ويقيسون بمقاييس البشر، ومن هنا يخطئون التصوّر والتقدير".[2]

والظاهر أن وجه الشبه إمّا أن يكون في تحقق الوقوع بدون مشقة عند إرادة الله سبحانه وتعالى حصوله، أو يكون في السرعة، أي سرعة الحصول عند إرادة الله، والاحتمال الثاني أقرب فالمشبه أقوى في وجه الشبه من المشبه به.

ومن التشبيه المرسل المجمل ما جاء في قوله تعالى: ﴿**قَالَ الذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَآءِ الذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا**﴾(**القصص63**) فاعترافهم بأنهم أغووهم يثير سؤال المتعجب: كيف يعترفون بمثل هذا الجرم. "أرادوا بيان الباعث لهم على إغواء إخوانهم وهو أنّهم بثّوا في عامة أتباعهم الغواية المستقرة في نفوسهم، وظنّوا أنّ ذلك الاعتراف يخفف عنهم من العذاب. و"كما غوينا" صفة لمصدر، أي إغواء يوقع في نفوسهم غيّا مثل الغيّ الذي في قلوبنا".[3]

[1] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص ص217- 218.
[2] . المصدر نفسه، ج14، ص230.
[3] . المصدر نفسه، ج20، ص158.

فوجه الشبه في أنهم تلقوا الغواية من غيرهم. وبذلك أفاد التشبيه أن المجيبين أغواهم مغوون قبلهم، وهم يحسبون هذا الجواب يدفع التبعة عنهم، ويتوهم أن السير على قدم الغاوين يبرر الغواية.

وقوله أيضا في سورة العنكبوت: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّقُولُ ءَامَنَّا بِاللهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ**﴾ (**العنكبوت09**) ذكر الله حال المنافقين، أناسا آمنوا بألسنتهم فإذا آذاهم الكفار جعلوا ذلك الأذى وهو "فتنة النّاس" صارفا لهم عن الايمان ، كما أنّ عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر.[1] فهؤلاء استزلهم الشيطان فعادوا إلى الكفر بقلوبهم لضعف إيمانهم، وكان ما لحقهم من الأذى سببا لارتدادهم.

وجاء في التحرير أن هؤلاء إن كانوا اعتقدوا البعث والجزاء فمعنى هذا الجعل:" أنّهم سوّوا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة كما هو ظاهر التشبيه، فتوقّوا فتنة النّاس وأهملوا جانب عذاب الله فلم يكترثوا به إعمالا لما هو عاجل ونبذا للآجل، وكان الأحقّ بهم أن يجعلوا عذاب الله أعظم من أذى النّاس. وإن كانوا نبذوا اعتقاد البعث تبعا لنبذهم الإيمان فمعنى الجعل: أنّهم جعلوه كعذاب الله عند المؤمنين الذين يؤمنون بالجزاء".[2] جعل الجزع من عذاب المشركين واذاهم، كالجزع من عذاب الله، فارتدّ عن إيمانه.

ومن أمثلته أيضا قوله في سورة لقمان: ﴿**كَأَنْ لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذْنَيْهِ وَقْرًا**﴾ (**لقمان06**). تضمنت الآية في بدايتها "ذم المشتري من وجوه التولية عن الحكمة، ثم الاستكبار، وفي هذه عدم سماع الآيات التي تتلى عليه ، والالتفات إليها ، والتأثر بها وكأنّه غافل عنها، ثم الإيغال في الإعراض بكون أذنيه فيهما صمما يصدّه عن السّماع. وكرر التشبيه لتقويته مع

[1] . ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج7، ص138. والزمخشري، الكشاف، ص815.

[2] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج20، ص216.

اختلاف الكيفية في أن عدم السّمع مرّة مع تمكن آلة السمع ومرّة مع انعدام قوة آلته فشبه ثانيا بمن في أذنيه وقر، وهو أخصّ من معنى" كأن لم يسمعها". والوقر: أصله الثقل، وشاع في الصّمم مجازا مشهورا ساوى الحقيقة"[1]. فذكر أداة التشبيه" كأن" وحذف وجه الشبه، فهو تشبيه مرسل مجمل.

وقوله في سورة سبأ: ﴿**وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ**﴾ (**سبأ13**). والجفان: جمع جفنة، وهي القصعة العظيمة التي يجفن فيها الماء، والجوابي: جمع جابية: وهي الحوض العظيم الواسع العميق الذي يجمع فيه الماء لسقي الأشجار والزروع.[2] وشبهت الجفان في عظمتها وسعتها بالجوابي.

وقوله في سورة يس: ﴿**وَالقَمَرُ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾ (**يس38**). فأشبه صورة ما يواجه الأرض من ضوء القمر في آخر ليالي الشهر وفي أول ليلة منه، بمعنى ابتدأ ضوؤه وأخذ في الازدياد ثم أخذ في التناقص حتّى صار كالعرجون القديم، أي شبيها به. وعبّر عنه بهذا التشبيه إذ ليس لضوء القمر في أواخر لياليه اسم يُعرف به بخلاف أول أجزاء ضوئه المسمّى هلالا، ولأنّ هذا التشبيه يماثل حالة استهلاله كما يماثل حالة انتهائه.[3]

وقيل: تشبيه القمر في نهاية رحلته بالعرجون القديم، هو تشبيه غني جدا، "لأنّ العرجون القديم لا يشارك القمر في الشكل فحسب، وإنّما هناك معان أخرى منها أن العرجون القديم شيء تائه لا يلتفت إليه، وكذلك القمر في هذه المرحلة تراه ضالّا في السّماء لا تتعلق به الأبصار، ومنها أن كلا منهما كان موضع العناية ومتعلق الأنظار، فالعرجون كان حامل الثمر والنفع، والقمر كان

[1] . ينظر، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج21، ص144.
[2] . ينظر، المصدر نفسه، ج22، ص162.
[3] . ينظر، المصدر نفسه، ج23، ص22.

مرسل النور والهداية".[1] فوجه الشبه مركب من ثلاثة أشياء: الدقة، والانحناء، والصفرة، ولما لم يذكر سمي مجملا.

ولننظر إلى قوله تعالى في سورة الصّافات: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ (الصافات49). البيض المكنون: هو بيض النعام، والنعام يكنّ بيضه في حفر في الرّمل ويفرش لها من دقيق ريشه، فيكون البيض شديد لمعان اللون وهو أبيض مشوب بياضه بصفرة، وذلك اللون أحسن ألوان النساء، وقديما شبّهوا الحسان ببيض النّعام.[2] شبّه النّساء العفيفات بالبيض المصون الذي لم تمسسه الأيدي.

وكذا قوله: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾(الصافات65) الطلع للنخلة وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر، لأنّ الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير.

وقيل أُريد برؤوس الشياطين "ثمر الأستن، والأستن شجرة في بادية اليمن، ويسمى ثمره رؤوس الشياطين، وإنّما سمّوه كذلك لبشاعة مرآه، ثم صار معروفا، فشبه به في الآية".[3]

والقول الآخر. وهو الذي يسبق إلى القلب ." أنّ الله جلّ ذكره شنع صورة الشياطين في قلوب العباد وكان ذلك أبلغ من المعاينة، ثم مثل هذه الشجرة بما تنفر منه كلّ نفس".[4] بما أنّ ثمار هاته الشجرة قبيحة المنظر كرؤوس الشياطين، فلا يُسأل عن طعمها لأنّه حتما يكون أسوأ.

[1] . ينظر، محمد أبو موسى، التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1993، ص26.
[2] . ينظر، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص114.
[3] ينظر، المصدر نفسه، ج23، ص124، وأبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج7، ص348.
[4] . علي الجندي، فن التشبيه "بلاغة أدب . نقد"، ج1، مكتبة نهضة مصر، ط1، 1952، ص41.

وقيل في كتاب الحيوان: أن المتكلمون لا يعرفون هذا التفسير(ثمر شجرة ببلاد اليمن لها منظر كريه)، وقالوا: ما عنى إلّا رؤوس الشياطين المعروفين بهذا الاسم من فسقة الجن ومردتهم.

فقال أهل الطعن والخلاف: كيف يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره فنتوهمه، ولا وُصفت لنا صورته في كتاب ناطق أو خبر صادق، ومخرج الكلام يدل على التخويف بتلك الصورة، والتفزيع منها، والناس لا يفزعون إلّا من شيء هائل شنيع، قد عاينوه أو صوّره لهم واصف صادق اللسان، بليغ في الوصف، ونحن لم نعاينها ولا صوّرها لنا صادق. وعلى أن أكثر الناس من هذه الأمم التي لم تعايش أهل الكتابين(اليهود والنصارى) من حملة القرآن من المسلمين، ولم تسمع الاختلاف لا يتوهمون ذلك، ولا يقفون عليه، ولا يفزعون منه، فكيف يكون ذلك وعيدا عاما.[1]

ففي إجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان، حتى صاروا يضعون ذلك في مكانين أحدهما أن يقولوا:" لهو أقبح من الشيطان" والوجه الآخر: أن يسمّى الجميل شيطانا على جهة التطير له.[2] ففي إجماع المسلمين والعرب على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على أنّه في الحقيقة أقبح من كلّ قبيح.

ولنتأمل قول الحق عزّ وجلّ في سورة فصلت: **﴿فَإِذَا الذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾** (**فصلت33**). فالتشبيه في زوال العداوة ومخالطة شوائب المحبة، فوجه الشبه هو المصافاة والمقاربة، وهو معنًى متفاوت الأحوال، أي مقول على جنسه بالتشكيك على اختلاف تأثر النّفس بالإحسان وتفاوت قوة العداوة قبل الإحسان، ولا يبلغ مبلغ المشبه به، إذ من النادر أن يصير

[1] . ينظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ج6، تح: عبد السلام محمد هارون، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1967، ص212.

[2] . المصدر نفسه، ص213.

العدو وليا حميما.[1]دخلت" كأن" للتشبيه لأن الذي عنده عداوة لا يعود وليا حميما، وإنّما يحسن ظاهره فيشبه بذلك الولي الحميم. ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه فهو مرسل مجمل.

فالإحسان ناجح في اقتلاع عداوة المحسَن إليه للمحسِن على تفاوت مراتب العداوة، ولكن ينبغي أن يكون هذا الإحسان للعدو قويا بقدر تمكن عداوته ليكون أنجع في اقتلاعها.

وقوله في سورة الشورى: ﴿**وَمِنَ . ايَاتِهِ الجَوَارِ فِي البَحْرِ كَالَاعْلَامِ**﴾ (**الشورى30**). فذكر السفن الجارية في البحر لما فيها من عظيم دلائل القدرة من جهة أنّ الماء جسم لطيف شفاف يغوص فيه الثقيل والسفن تشخص بالأجسام الثقيلة الكثيفة، ومع ذلك جعل تعالى للماء قوة يحملها بها ويمنع من الغوص.[2] أي من آياته الدّالة على قدرته وسلطانه، تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره، وهي الجواري في البحر كالأعلام، أي كالجبال.

ولعلّ الصور التشبيهية في القرآن هي إحدى وسائل التعبير البلاغي، لا سيما وأنّ القرآن الكريم يتميز بأسلوب فريد وتعبير مناسب، حيث جاء التصوير فيه أكثر وضوحا، وأعظم تأثيرا، وأبلغ إحساسا يتأثر به من يسمعه، فالتشبيه في القرآن وإن كان عنصرا بيانيا يُكسب النص روعة وجمالا وتقريب فهم، إلا أنّه يبقى عنصرا ضروريا لأداء المعنى القرآني بشكل متكامل ،ولنتأمل ما توحي إليه الصورة التشبيهية في قوله تعالى: ﴿**كَالمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ* كَغَلْيِ الحَمِيمِ**﴾ (**الدخان42-43**).شبّه الله تعالى هذا الطعام بالمهل، "وهو دردي الزيت وعكر القطران ومذاب النحاس، ثم أخبر عن غليانه في بطون الكفار، ولا يجوز أن يحمل الغلي على المهل لأنه مشبه به،

[1] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص293.

[2] . ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج7، ص497.

وإنّما يُغلى ما يشبهه(المهل) كغلي الحميم".[1] فثمر شجرة الزقوم كالمعدن المذاب يغلي في بطون المشركين، كغلي الماء الذي بلغ الغاية في الحرارة.

وقوله: ﴿**يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَّمْ يَسْمَعْهَا**﴾ (**الجاثية07**). "أي يبقى مصرّا على كفره، مستكبرا عن الإيمان معجبا بما عنده".[2] حيث شبّه تعالى حالهم في عدم انتفاعهم بالآيات بحالهم في عدم سماعها. وهذا التشبيه كناية عن وضوح دلالة آيات القرآن، بحيث أن من يسمعها يصدق بما دلت عليه، فلولا إصرارهم واستكبارهم لانتفعوا بها.

يكشف لنا التشبيه في قوله تعالى: ﴿**وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الخُرُوجُ**﴾ (**ق11**).أي أن مثل هذا الإخراج العظيم، "وهو بعث الموتى من قبورهم على ما كانوا عليه في الدّنيا. فلا فرق بين خروج النبات بعدما تهشم وصار ترابا كما كان من بين أصفره وأحمره وأبيضه وأخضره وأزرقه إلى غير ذلك، وبين إخراج الموتى كما كانوا في الدّنيا".[3]

والمراد هنا كما أحيينا الأرض بعد موتها كذلك نحيي الناس بعد موتهم، فشبّه إحياء الموتى بإخراج النبات من الأرض الميتة. هذه الصورة حققت الأبعاد المؤثرة في نفس المتلقي بدءا من مكنوناتها المتمثلة في نزول الماء من السّماء، ثم إنبات النبات المختلف، وانتهاء بصورة الحياة في أرجاء الأرض الميتة.

وتتوالى التشبيهات في هذا النوع من التشبيه نذكر قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**فَإِنَّ لِلذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ**﴾ (**الذاريات59**). وجاء في التفسير: "أن لهؤلاء الكفار

[1] . ينظر، محمد الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، ج27، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1981، بيروت-لبنان، ص253.

[2] . ينظر، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص331.

[3] . ينظر، برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج18، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1984، ص413.

الذين كذّبوا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم نصيبا من العذاب مثل نصيب أسلافهم الذين أهلكوا كقوم نوح وعاد وثمود. وهذا العذاب طويل الشر كأنه من طوله صاحب ذنب، وهو على ذنوبهم، وذلك دليل واضح على أنّ ما يوعدون صادق".[1] أي حظا ونصيبا مثل نصيب أسلافهم المكذبين في الشدّة والغلظة، حذف منه وجه الشبه فصار مجملا.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾(الطور22). "اللؤلؤ: الدر، والمكنون: المخزون لنفاسته على أربابه فلا يتحلى به إلّا في المحافل والمواكب فلذلك يبقى على لمعانه وبياضه".[2]شبههم في الحسن والبياض والصفاء باللؤلؤ المصون في الصدف، وحذف وجه الشبه فصار مجملا.

ولننظر إلى هذا التشبيه في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٌ﴾(القمر20)."أي كأنّهم أصول نخل قد انقلعت من مغارسها وسقطت على الأرض. شبّهوا بالنخيل المقطوعة التي تقلع من منابتها لموتها إذ تزول فروعها، فلا تبقى إلّا الجذوع الأصلية ،وقيل شبّهوا بالنّخل لطولهم".[3] "فكانت الريح تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدقّ رقابهم وتفصل رؤوسهم من أجسامهم فتبقى بلا رؤوس كعجز النخلة الملقاة على الأرض".[4] وهذا تفظيع لحالهم ومثال لتخويف من يراهم.

وقوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ﴾ (الواقعة22).أي إظهار كرامتهم بحيث جعلت أصناف النعيم الذي حظوا به جزاء عمل قدّموه، "ولهم مع ذلك النعيم نساء من الحور العين، الواسعات العيون في غاية الجمال والبهاء، أي نساء شديدات سواد العيون وبياضها كأنّهنّ

[1] . ينظر: برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج18، ص483.

[2] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص56.

[3] . جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين بهامش المصحف الشريف بالرسم العثماني، قدم له وراجعه: مروان سوار، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، د.ط، ص706.

[4] . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1981، مج3، ص286.

اللؤلؤ المصون في الصفاء والنقاء"[1].ولعلّ تشبيههن باللؤلؤ المكنون لأنه أصفى وأبعد عن تغيير حسنه، حذف منه وجه الشبه فصار مجملا.

ومن صور **التشبيه المجمل** أيضا: ﴿**كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**﴾(**الحاقة06**).أي كأنّهم أصول نخل متآكلة الأجواف. ويحتمل أنّهم شبّهوا بالنّخل التي صرعت من أصلها، "وهو إخبار عن عظم أجسامهم، ويحتمل أن يكون المراد به الأصول دون الجذوع، أي إنّ الريح قد قطعتهم حتّى صاروا كأصول النخل خاوية، بمعنى أن الريح كانت تدخل أجوافهم فتصرعهم كالنّخلة الخاوية الجوف"[2]، ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه فصار مجملا.

ويرسم لنا التشبيه صورة من صور الخوف المزلزلة في الكون و المنطبع في النفوس حول صفة السّماء يوم القيامة إذ يقول تعالى: ﴿**يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالمُهْلِ* وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالعِهْنِ**﴾(**المعارج08-09**)."أي تكون السّماء سائلة غير متماسكة كالرصاص المذاب، أو كذائب الفضة، وتكون الجبال متناثرة متطايرة كالصوف المنفوش في الخفّة إذا طيّرته الريح".[3]

قال القرطبي: العهن: "الصوف الأحمر أو ذو الألوان، شبّه الجبال به في تلوّنها ألوانا، وأوّل ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا، ثمّ عهنا منفوشا، ثمّ هباء منثورا"[4]. هذه حال السّماء والأرض في ذلك اليوم المفزع. إنّها صورة تفصح عن العذاب النّفسي الذي يتلقاه الإنسان في ذلك اليوم،

---

[1] . ينظر، محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، مج3، ص714.

[2] . أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج18، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1949، ص262.

[3] . ينظر، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين بهامش المصحف الشريف بالرسم العثماني، ص765.

[4] . أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص285.

وممّا يزيد من دلالة أبعاد هذه الصورة، ذلك اللون الذي ستصبح عليه السّماء بعد أن اعتاد الإنسان على زرقتها.

ويقول في السورة نفسها: ﴿**كَأَنَّهُمْ إِلَى نَصْبٍ يُوفِضُونَ**﴾(**المعارج43**).أي كأنّهم يسعون ويستبقون إلى أصنامهم التي نصبوها ليعبدوها.[1] شبّه حالة إسراعهم إلى موقف الحساب، بحالة إسراعهم وتسابقهم في الدّنيا إلى آلهتهم وطواغيتهم، وفي هذا التشبيه تعريض بسخافة عقولهم، إذ عبدوا مالا يستحق العبادة وتركوا عبادة الواحد الأحد.

ومن روائع صور التشبيه قوله تعالى: ﴿**إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ**﴾ (**المرسلات32**). "فالشرر: القطعة المشتعلة من دقيق الحطب يدفعها لهب النار في الهواء من شدّة التهاب النّار. والقصر: البناء العالي. فالله تعالى شبّه الشرارة حين تنفصل عن النار بالقصر في العظم".[2] أي أنّ جهنّم تقذف بشرر عظيم من النار، كل شرارة منه كالبناء المشيّد في العِظم والارتفاع.

ومغزى تشبيه الشرر بالقصر "هو التأكيد، والمبالغة في التخويف من النار التي ترمي به تعظيما لشأنها، وترهيبا للكافرين من سطوتها".[3] فالغرض من التشبيه المبالغة في الوصف.

وقوله في سورة النازعات: ﴿**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾ (**النازعات45**). أي كأنّ هؤلاء الكفار يوم يشاهدون القيامة وما فيها من أهوال، "لم يلبثوا في الدّنيا إلّا ساعة من نهار بمقدار عشية أو ضحاها".[4] وفي تفسير ابن كثير: "إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدّنيا، حتّى كأنّها عندهم عشية يوم، أو ضحى يوم".[5] أي كأنّهم

[1] . ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج3، ص447.

[2] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص 437.

[3] . السيد جعفر السيد باقر الحسيني، أساليب البيان في القرآن، ص363.

[4] . ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، مج3، ص517.

[5] . ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص318.

يوم يرون قيام السّاعة لم يلبثوا في الحياة الدّنيا إلاّ ما بين الظهر إلى غروب الشّمس، أو ما بين طلوع الشّمس إلى نصف النّهار،وهذا التشبيه مقصود منه تقريب معنى المشبه من المتعارف.

ومن الصور التشبيهية أيضا **التشبيه المرسل المفصّل** في قوله تعالى: ﴿**بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ**﴾ (**الكهف29**). أي وإن استغاثوا من شدّة العطش فطلبوا الماء،" أُغيثوا بماء شديد الحرارة كالنّحاس المذاب أو كعكر الزيت المحمى يشوي وجوههم إذا قَرُب منهم من شدّة حرّه".[1] وقيل: "ماء غليظ مثل دردي الزيت، وقيل: القيح والدم الأسود. وقيل: أنّه الرّماد الذي ينفط إذا خرج من التنور. وقيل: ضرب من القطران، وإنّما اختصّ الوجوه لكونها عند شربهم يقرب حرّها من وجوههم".[2] تصوير لأولئك الظالمين، وما أعدّه الله لهم، فالنّار تشوي وتظمئ، ولا يجدون بدّا من الاستغاثة وطلب العون، فتكون إغاثتهم من هذا الحريق بماء كالزيت العكر شديد الحرارة، والتشبيه في سواد اللون وشدّة الحرارة ، وسمي مرسلا مفصلا لذكر الأداة ووجه الشبه.

وفي حديثه عن ضخامة جهنم وقوة لهبها يقول تعالى: ﴿**كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ**﴾ (**المرسلات33**). أي كأنّ شرر جهنّم المتطاير منها الإبل الصفر في لونها وسرعة حركتها. وقيل: شبّه تعالى الشرر في العظم بالقصر، وفي اللون والكثرة وسرعة الحركة بالجمالات الصفر، وهذا التشبيه من روائع صور التشبيه، لأنّ الشرارة إذا كانت مثل القصر الضخم، فكيف تكون حال تلك النار الملتهبة؟.[3]هو تشبيه مركب حيث شبّه الشرر حين يأخذ في الارتفاع والانبساط بالإبل التي يميل لونها إلى الصُّفرة ، وسرعة الحركة، والكثرة والانشقاق، والتتابع.

[1] . ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 190.

[2] . ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ص115.

[3] . ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، مج3، ص503.

2- التشبيه البليغ:

وهو ما غاب منه وجه الشبه والأداة، وفيه يجتمع المحمل والمؤكد.[1] وفيه يجري الجمع بين الطرفين دون توسط أداة ولا وجه شبه، وإذا المشبه به خبر أو في حكم الخبر عن المشبه." وغياب هذين الركنين يفتح الباب أمام الذهن ليتطلع إلى جميع وجوه اللقاء الممكنة بين الطرفين فإذا هما واحد أو كالواحد في التصوّر".[2]

من أمثلته قوله تعالى: ﴿**مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ**﴾(**ابراهيم45**). هو مشهد يصور لنا حال المشركين يوم الحشر، مشهدهم وهم مسرعين لا يلتفتون إلى شيء،" رافعين رؤوسهم لا عن إرادة ولكنها مشدودة لا يملكون لها حراكا، يمتد بصرهم إلى ما يشاهدون من الرعب فلا يرجع إليهم من هول ما شاهدوه، وقلوبهم من الفزع خاوية خالية لا تضم شيئا يعونه أو يحفظونه أو يتذكرونه فهي هواء".[3]والهواء في كلام العرب الخلاء بمعنى أن قلوبهم كالهواء في الخلو من الإدراك لشدة الهول. هو تشبيه بليغ حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه.

ويرسم لنا القرآن الكريم إبراهيم عليه السّلام نموذجا للهداية والطاعة والشكر فيقول في سورة النحل:﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلهِ**﴾ (**النحل120**). أي كان إبراهيم عليه السلام بمفرده كالأمة لجمعه أوصاف الكمالات التي عرفت في الخلق. "واللفظ يحتمل أنه كان في الفضل

[1] . ينظر، الأزهر الزناد، دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء- بيروت، ط1: 1992، ص ص 22-23.

[2] . ينظر، المرجع نفسه، ص24.

[3] . ينظر، سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2111.

والفتوة والكمال بمنزلة أمّة، أو أنّه كان أمّة وحده في الدين، لأنه لم يكن في وقت بعثته موحد لله غيره، فهو الذي أحيا به الله التوحيد، وبثّه في الأمم والأقطار"[1]، فكان إماما يُقتدى به في الخير.

يرى البيانيون أن هذا التشبيه "البليغ" يعتمد على المبالغة والإغراق في ادّعاء أنّ المشبه هو المشبه به نفسه، لذلك لا تذكر فيه أداة التشبيه ولا وجه الشّبه.

ومن أشكال التصوير العميق ما جاء مُخبرا عن ذي القرنين عندما هداه الله إلى إضافة النحاس المصهور "القطر" إلى الحديد فأصبح صلدا مستعصيا في قوله تعالى:﴿**جَعَلَهُ نارًا**﴾ (**الكهف92**). أي جعل ذلك الحديد المتراكم كالنار بشدّة الإحماء، فبعدما أتوه بقطع الحديد وضع بعضها على بعض حتّى صارت بحيث تسد ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثمّ وضع المنافخ عليها حتّى إذا صارت كالنّار صبّ النّحاس المذاب على الحديد المحمي، فالتصق بعضه ببعض، وصار جبلا صلدا[2].أي كالنار في الحرارة وشدة الاحمرار والتوهج، حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه، فأصبح بليغا.

وقوله في سورة الأنبياء: ﴿**حَصِيدًا خَامِدِينَ**﴾ (**الأنبياء15**). الحصيد: الزرع المحصود، "أي جعلناهم مثل الزرع المحصود كما يقال جعلناهم رمادا أي مثل الرماد".[3] شُبهوا بزرع حصد بعد أن كان قائما على سوقه خضرا، فهو يتضمن تشبيههم قبل هلاكهم بزرع في حسن المنظر والطلعة، وكذلك "شُبّهوا حين هلاكهم بالنّار الخامدة فتضمن تشبيههم قبل ذلك بالنّار المشبوبة في القوة والبأس".[4] أي تشبيه الكافرين بالزرع المحصود بعد أن كان قائما على سوقه، وكذلك تشبيههم حين هلاكهم بالنار الخامدة، فهما تشبيهان بليغان.

[1] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج14، ص316.

[2] . ينظر: محمد عي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص 206.

[3] . الزمخشري، الكشاف، ص674.

[4] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج17، ص ص 28-29.

ومنه أيضا قوله: ﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَآءً**﴾(**المؤمنون41**) شبههم بالغثاء في دمارهم، "والغثاء: ما يحمله السيل من الأعواد اليابسة والورق. والكلام على التشبيه البليغ للهيئة، فهو تشبيه حالة بحالة، أي جعلناهم كالغثاء في البلى والتكدّس في موضع واحد فهلكوا هلكة واحدة".[1] أي شبّه حالهم بحال ما يحمله السيل من الأعواد اليابسة والورق.

ومن أمثلته أيضا ما جاء في سورة الفرقان: ﴿**فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورَا**﴾ (**الفرقان23**) مثلت الآية حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم" من صلة رحم، وإغاثة ملهوف، وقرى ضيف، ومنّ على أسير، وغير ذلك من مكارمهم بحال قوم خالفوا سلطانهم، فقصد إلى ما تحت أيديهم فمزقها بحيث لم يترك لها أثرا ، وفي أمثالهم" أقلّ من الهباء" ، ومنثورا صفة للهباء ، وشبّهه بالهباء لقلّته، وأنّه لا ينتفع به، ثم وصفه بمنثور لأنّ الهباء تراه منظما مع الضوء فإذا حرّكته الريح رأيته قد تناثر وذهب".[2] هو تشبيه حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغا.

وجاء في تفسير الكشاف: الهباء: "ما يخرج من الكوّة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار، وشبهه بالهباء في قلّته وحقارته عنده، وأنه لا يُنتفع به".[3] فحال هؤلاء وأعمالهم كالهباء في قلّته وحقارته، وعدم نفعه.

ويقول تبارك وتعالى أيضا في السورة نفسها: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا**﴾(**الفرقان47**). جمعت الآية استدلالا وامتنانا،" فهي دليل على عظم قدرة الخالق، وهي أيضا تذكير بنعمة، ففي اختلاف الليل والنهار آيات جمّة لما يدلّ عليه حصول الظلمة من دقة نظام دوران الأرض حول الشمس ومن دقة نظام خلق الشمس، ولما يتوقف عليه

[1] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج18، ص59.
[2] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ص452.
[3] . الزمخشري، الكشاف، ص743.

وجود النهار من تغير دوران الأرض ومن فوائد نور الشمس وغيرها".[1] جعل الله تعالى الليل ساترا بظلامه كما يستر اللّباس، والنوم راحة للأبدان، والنّهار للانتشار في الأرض وطلب الأرزاق.

فاللّباس مشبه به على طريقة التشبيه البليغ، أي ساترا لكم يستر بعضكم عن بعض، وفي هذا الستر منن كثيرة لقضاء الحوائج التي يجب إخفاؤها. وجعل النوم سباتا يحتمل معاني متعددة، وأنسبها كما يرى صاحب التحرير والتنوير هو معنى الراحة، مخالفا بذلك الزمخشري "الذي فسّر

السبات بالموت"[2] على طريقة التشبيه البليغ ناظرا في ذلك إلى مقابلته بقوله: ﴿**وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا**﴾. في حين يرى الأندلسي أن السبات: "ضرب من الإغماء يعتري اليقظان مرضا فشبّه النوم به"[3].والنشور: الإحياء، شبّه اليقظة به ليتطابق الإحياء مع الإماتة اللذين يتضمنهما النوم والسبات، وقيل النشور:" بعث الأموات، الحياة بعد الموت، ويحتمل معنيين أن يكون مرادا به البروز والانتشار فيكون ضد اللباس في الآية فيكون الإخبار به عن النهار حقيقيا ، والمنّة في أنّ النّهار ينتشر فيه الناس لقضاء حوائجهم، ويحتمل أن يكون مرادا به بعث الأجساد بعد موتها، فيكون الإخبار على طريقة التشبيه البليغ".[4]

فلولا الليل لما حصل السكون والراحة، ولولا النهار لما حصل الكسب وطلب الرزق، فتشبيه الليل باللباس لأنّه يستر الناس بظلمته، فيقيهم حرّ الشمس ومفاجأة الأعداء، وجعل النوم للراحة بعد التعب، وجعل النهار سببا للانتشار والسّعي في طلب الرزق.

[1] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص45.
[2] . الزمخشري، الكشاف، ص748.
[3] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ص463.
[4] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص46.

ويقول الحق تبارك وتعالى في سورة النمل: ﴿**وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾ (**النمل90**) أي أنّ الجبال تحسبها في رأي العين ثابتة مقيمة في أماكنها وهي سائرة، وتشبيه مرورها بمر السّحاب قيل: "في كونها تمر مرّا حثيثا، كما مرّ السّحاب وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحرّكت لا تكاد تتبيّن حركتها، وقيل لهول ذلك اليوم فليس له ثبوت ذهن في الفكر حتّى يتحقق كونها ليست بجامدة".[1]

وقيل مرّ السّحاب: "مصدر مبيّن لنوع مرور الجبال، أي مرورا تنتقل به من جهة إلى جهة مع أنّ الناظر يخالها ثابتة في مكانها كما يخال ناظر السّحاب الذي يعمّ الأفق أنّه مستقر، وهو ينتقل من صوب إلى صوب، ويمطر من مكان لآخر، فلا يشعر به الناظر إلّا وقد غاب عنه".[2] فالناظر إلى الجبال يظنّها واقفة مستقرة، وهي تسير سيرا حثيثا كسير السّحاب الذي تسيّره الرياح، وهذا من صنع الله الذي أحسن كلّ شيء خلقه وأتقنه.

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى في سورة القصص: ﴿**وَلَقَدَ . اتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ مِن بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا القُرُونَ الْأولى بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ**﴾ (**القصص43**). والبصيرة: نور القلب الذي يستبصر به، كما أنّ البصر نور العين الذي تبصر به، ويريد بذلك "آتيناه التوراة أنوارا للقلوب لأنّها كانت عمياء لا تستبصر، ولا تعرف حقا من باطل، وإرشادا لأنهم كانوا يتخبطون في الضلال"[3]. أي أعطيناه التوراة فيها بصائر لبني إسرائيل، يبصرون بها ما ينفعهم وما يضرّهم، أي كأنّها أنوار لقلوبهم، حذف أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغا.

[1] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج7، ص94.
[2] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج20، ص50.
[3] . الزمخشري، الكشاف، ص803.

وقوله في سورة العنكبوت: ﴿**وَمَا هَذِهِ الحَيَواةُ الدُّنْيآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ**﴾(**العنكبوت64**) فالعقلاء آثروا باطل الدّنيا على الحق، والدهماء لم يشعروا بغير أمور الدّنيا ، وجميعهم أنكروا البعث فأعقب الله ما أوضحه لهم من الدلائل بأن نبههم على أن الحياة الدنيا كالجبال، وأنّ الحياة الثانية هي الحياة الحق، والمراد بالحياة ما تشتمل عليه من الأحوال وذلك يسري إلى الحياة نفسها.[1]

والإشارة بهذه ازدراء للدّنيا وتصغير لأمرها، وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة؟ أي "ماهي في سرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها إلاّ كما يلعب الصبيان ساعة ثمّ يتفرقون".[2] من المؤكد أنّ الحياة الدّنيا إلاّ لهو ولعب، بما فيها من الزينة والشّهوات الزائلة، وأنّ الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية الدائمة التي لا موت فيها، فلو كان النّاس يلمون ذلك لما آثروا دار الفناء على دار البقاء. حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغا.

ومن صور التشبيه البليغ نتأمل قوله تعالى: ﴿**الذِي جَعَلَ لَكُمُ الاَرْضَ مِهَادًا**﴾ (**الزخرف09**). أي "فراشا قرارا ثابتة، يسيرون عليها ويقومون وينامون وينصرفون، مع أنّها مخلوقة على تيار الماء، لكنّه أرساها بالجبال لكي لا تميد هكذا أو هكذا".[3] والظاهر أنّه شبّه الأرض بالمهد والفراش في السّعة وإمكان الزراعة فيها والبناء والتعمير وغيرها، فحذفت الأداة ووجه الشبه فأصبح بليغا.

وتتوالى التشبيهات المماثلة لهذا النوع يقول تعالى في سورة النبأ: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا* وَالجِبَالَ أَوْتَادًا**﴾ (**النبأ06–07**). أي ألم نجعل هذه الأرض التي تسكنونها ممهّدة للاستقرار عليها، والتقلب في أنحائها؟ جعلناها لكم كالفراش والبساط لتستقروا على ظهرها،

[1] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج21، ص30.

[2] . ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج7، ص154. والزمخشري، الكشاف، ص823.

[3] . أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج7، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1997، ص220.

وتستفيدوا من سهولها الواسعة بأنواع المزروعات؟ ثم أخبر عن الجبال بأنّها أوتاد أيضا على طريقة التشبيه البليغ، أي جعل تعالى الجبال كالأوتاد للأرض تشبها لئلا تميد بهم كما يثبت البيت بالأوتاد.[1]وذلك دليل على إبداع الخالق والتيسير على الناس، وهو استدلال يتضمن امتنانا الغرض منه التذكير بفضل الله، والإشعار بحكمته.

ومثله أيضا قوله: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا**﴾ (**النبأ10**). أي جعلنا الليل كاللباس يغشاكم ويستركم بظلامه، كما يستركم اللباس، وتغطيكم ظلمته كما يغطي الثوب لابسه.[2]شبّه الليل باللباس في الستر والخفاء، فحذفت الأداة ووجه الشبه فأصبح بليغا.

ولنتأمل التشبيه في قوله في السورة نفسها: ﴿**وَفُتِّحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتَ أَبْوَابًا**﴾ (**النبأ19**). أي "تشققت السّماء من كل جانب، حتّى كان فيها صدوع وفتوح كالأبواب في الجدران من هول ذلك اليوم".[3] وقيل: فتح السّماء: "انشقاقها بنزول الملائكة من بعض السّماوات التي هي مقرّهم نزولا يحضرون به لتنفيذ أمر الجزاء".[4]

وقوله: أبوابا تشبيه بليغ، أي كالأبواب وحينئذ لا يبقى حاجز بين سكان السّموات وبين الناس. "والإخبار عن السّماء بأنّها أبواب جرى على طريق المبالغة في الوصف، للدلالة على كثرة المفاتح فيها حتّى كأنّه هي أبواب".[5] وهذا التشبيه يجعل المتلقي يرسم بخياله صورة لتفتح أبواب السّماء، فيتحرك إحساسه في أعماق النفس لرسم صورة بديعة محمّلة بدلالات متعددة لا حصر لها.

---

[1] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص14. والصابوني، صفوة التفاسير، مج3، ص507.

[2] . الصابوني، صفوة التفاسير، مج3، ص508.

[3] . المصدر نفسه، ص 509.

[4] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص32.

[5] . المصدر نفسه، ج30، ص 33.

وبعضها يقوم على طبيعة العلاقة القائمة بين الطرفين من حيث اتجاهها أو ظهورها وخفائها وهي:

3- التشبيه المقلوب:

هو جعل المشبه مشبها به, والمشبه به مشبها, "ولا يختلف هذا الأخير عن التشبيه العادي إلاّ في اتّجاه العلاقة التي يقيمها المتكلم بين الطرفين".[1]

ويعرفه بدوي طبانة بقوله: "هو الذي يجعل فيه المشبه الذي هو الناقص بالأصالة مشبّها به، ويجعل فيه المشبه به الذي هو الكامل بالأصالة مشبها، أو بعبارة أخرى يجعل ما الوجه فيه أتمّ مشبها، ليتوهم السّامع أن المشبه به أتمّ في الوجه من المشبه اعتمادا على القاعدة من كون الوجه في المشبه به أتم، ويكون الأمر بالعكس".[2]

وقد سمّى البيانيون هذا النوع من التشبيه: التشبيه المقلوب، أو المعكوس أو تشبيه القلب والعكس. وسماه ابن الأثير الطرد والعكس، وعدّه من مواضع علم البيان الحسنة الموقع، اللطيفة المأخذ. وسماه ابن جني غلبة الفروع على الأصول.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَّخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ (**النحل17**). ذكر الله تعالى التباين بين من يخلُق وهو الباري عزّ وجلّ، وبين من لا يخلق وهي "الأصنام"، فجدير أن يفرد بالعبادة من له الإنشاء دون غيره، وجيء بمن في الثاني لاشتمال المعبود غير الله على من يعقل وما لا يعقل، أو لاعتقاد الكفار أنّ لها تأثيرا وأفعالا فعوملت معاملة أولي

[1] . الأزهر الزناد، دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة،، ص31.

[2] . بدوي طبانة، البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر، ط2، 1958، القاهرة، ص 250.

العلم، أو للمشاكلة بينه وبين من يخلق أو لتخصيصه بمن يعلم، فإذا وقعت البينونة بين الخالق وبين غير الخالق من أولي العلم فكيف بمن لا يعلم البتة؟.[1]

وجاء في الكشاف: "أنّه إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله، فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق، فكان حق الإلزام أن يُقال لهم: أفمن لا يخلق كمن يخلق؟ قلت: حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له، وسووا بينه وبينه، فقد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوقات وشبيهاتها، فأنكر عليهم ذلك بقوله: ﴿**أَفَمَنْ يَّخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ**﴾.[2] لأنّهم جعلوا الله الذي يخلق كل هذه الأشياء كالآلهة التي لا تخلق شيئا.

أما ما جاء في التحرير والتنوير: "هو استفهام إنكاري عن المساواة، أي لا يستوي من يخلق بمن لا يخلق، فالكاف للمماثلة وهي مورد الإنكار حيث جعلوا الأصنام آلهة شريكة لله تعالى، ومن مضمون الصلتين يُعرف أيّ الموصولين أولى بالإلاهية فيظهر مورد الإنكار".[3]

ومثله قوله عزّ وجلّ في سورة ص: ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الَارْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾(ص**27**).هو تشبيه للتسوية، والمعنى: "إنكار أن يكونوا سواء في جعل الله، أي إذا لم يجاز كل فريق بما يستحقه على عمله فالمشاهد في هذه الحياة الدنيا خلاف ذلك، فتعيّن أن يكون الجزاء في عالم آخر وهو الذي يسلك له الناس بعد البعث، وقد أُخذ في الاستدلال جانب المساواة بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين المفسدين في الأرض، لأنه يوجد كثير من الفريقين متساوين في حالة الحياة الدنيا في النعمة أو في التوسط أو في البؤس والخصاصة، فحالة المساواة كافية لتكون مناط الاستدلال على إبطال ظن

[1]. ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص468.

[2]. ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص570.

[3]. ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج14، ص183.

الذين كفروا بقطع النظر عن حالة أخرى أولى بالدلالة، وهي المقابلة بين فريق المفسدين أولي النعمة، وفريق الصالحين أولي البؤس، وعن حالة دون ذلك وهي فريق المفسدين أصحاب البؤس والخصاصة وفريق الصالحين أولي النعمة".[1]

وهذا الارتقاء في الاستدلال المقصود منه زيادة التشنيع على منكري البعث والجزاء، بأن ظنهم ذلك يقتضي أن جعل الله المتقين مساوين للفجار في أحوال وجود الفريقين.

وقوله في سورة الجاثية:﴿**أَفَرَآيْتَ مَنِ اِتَّخَذَ إِلَاهَهُ هَوَاهُ**﴾ (**الجاثية 22**). أي أن حجاجهم المسلمين مركّز على اتّباع الهوى والمغالطة فلا نهوض لحجّتهم لا في الأمر نفسه ولا فيما أرادوه، على فرض وقوع البعث من أن يكونوا آمنين من أهوال البعث، وأنّهم لا يُرجى لهم اهتداء لأنّ الله خلقهم غير قابلين للهدى، فلا يستطيع غيره هداهم.[2]

وإلاهه: يجوز أن يكون أطلق على ما يلازم طاعته حتّى كأنه معبود فيكون هذا الإطلاق بطريقة التشبيه البليغ، "أي اتّخذ هواه كالإلاه له لا يخالف له أمرا. ويجوز أن يبقى "إلاهه" على الحقيقة ويكون "هواه" بمعنى "مَهْوِيَهُ" أي عبد إلاها لأنه يحب أن يعبده".[3] والمعنى أن الذين اتّخذوا الأصنام آلهة لا يقلعون عن عبادتها لأنّهم أحبوها، وتعلّقت قلوبهم بعبادتها.

وقوله أيضا في سورة القلم: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**﴾(**القلم35**). ومعنى الكلام أن التسوية بين المطيع والعاصي غير جائزة وفي الآية مسائل:

[1] . ينظر، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص ص249-250.

[2] . ينظر، المصدر نفسه ،ج25، ص ص357-358.

[3] . ينظر، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

- **المسألة الأولى**: أن المراد إنكار استوائهما في الإسلام والجرم، أو في آثار هذين الأمرين، أو المراد إنكار أن يكون اثر إسلام المسلم مساويا لأثر جرم المجرم عند الله، وهذا مسلم لا نزاع فيه.

- **المسألة الثانية**: يجوز أن يكون المراد من المجرمين هم الكفار الذين حكى الله عنهم هذه الواقعة.

- **المسألة الثالثة**: أنه تعالى استنكر ذلك بحكم الفضل والإحسان، لا لأن ذلك بسبب أن أحدا يستحق عليه شيئا.[1]

وحسب البقاعي "أن التسوية بين المحسن والمسيء أمر لا يليق بحكيم فعله، فوجب إنكاره لتحقق أن ما أخبر به سبحانه لا يكون إلا كذلك لا سيما وقد كان الكفار يقولون: إنهم كالمسلمين أو أحسن حالا منهم، وذلك أنّه إن كان لا بعث كما كانوا يظنون، فقد استووا فيما بعده مع ما فضلوهم به في الدنيا من اتّباع الأهواء والظفر باللذائذ وإن كان ثم بعث، فقد كانوا يقولون لشبهة دعتهم إليها شهوتهم: أما نكون على تقديره أحسن حالا منكم كما نحن في هذه الدار، لأنّه ما بسط لنا في هذه الدار إلا ونحن عنده أفضل منكم، فقال تعالى منكرا ومكذبا لذلك غاية الإنكار والتكذيب عائبا الحكم بالجهل غاية العيب نافيا للمساواة." أفنجعل المسلمين" الذين هم عريقون في الانقياد لأوامر الله والصلة لما أمر به أن يوصل طلبا لمرضاته فلا اختيار لهم معه في نفس ولا غيره "كالمجرمين" الراسخين في قطع ما أمر الله به أن يوصل، وهم لا يقرون مثل ذلك، بل من عاندهم نوع معاندة قاطعوه ولو وصل الأمر إلى القتل".[2] والظاهر أنّ المقصود من الآية نفي المساواة والمماثلة بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء.

[1] . ينظر، الرازي، مفاتيح الغيب، ج30، ص92.

[2] . ينظر، برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج20، ص318.

4- التشبيه الضمني:

هو تركيب يُعقد فيه الشبه بين الطرفين عن طريق التلميح دون التصريح، "وهو أن يأتي بكلام مستقل مقرون بكلام آخر، وقد اشتمل هذا الكلام الآخر على معنى يُفهم منه ضِمنا تشبيه يناسب الكلام المستقل الذي اقترن به".[1]

ومن أمثلته قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿**إِنَّ الَذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ**﴾ (**الأعراف39**) هو مشهد عجيب، مشهد الجمل تجاه ثقب الإبرة، "فحين يفتح ذلك الثقب الصغير لمرور الجمل فحينئذ تفتح أبواب السّماء لهؤلاء المكذبين فتقبل دعوتهم أو توبتهم، وإلى أن يلج الجمل في سم الخياط، فهم في النار التي تداركوا فيها جميعا وتلاحقوا، وتلاوموا فيها وتلاعنوا، وطلب بعضهم لبعض سوء الجزاء".[2] فالكفّار الذين لم يُصدّقوا بآيات الله الدالّة على وحدانيته، ولم يعملوا بشرعه، لا يمكنهم دخول الجنّة إلاّ إذا دخل الجمل في ثقب الإبرة، ومثل ذلك الجزاء يُجزى الذين كثُر إجرامهم، واشتدّ طغيانهم.

وجاء في التحرير والتنوير: "أن الأبواب أُضيفت إلى السماء لتمثيل حرمانهم من وسائل الخيرات الإلاهية الروحية، ويشمل ذلك عدم استجابة الدعاء، وعدم قبول الأعمال والعبادات، وهو إخبار عن حالهم في الآخرة وتحقيق لخلودهم في النار".[3] أي أنهم لن يدخلوا الجنّة بحال من الأحوال، إلّا إذا أمكن دخول الجمل في ثقب الإبرة، وهو تمثيل للاستحالة.

[1] . ينظر، عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص202.

[2] . سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1972، ط32، 2003، مج2، ص 1291.

[3] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج8، ص128.

ومن الصور التشبيهية في القرآن الكريم نذكر:

5- التشبيه التمثيلي:

وهو "ما كان وجه الشبه فيه مركبا، أي منتزعا من أمرين أو عدّة أمور امتزج أحدهما بالآخر حتّى يستخرج من مجموعهما صورة جديدة غير التي كانت عليه في حال الإفراد".[1] وهو كثير في القرآن الكريم ، فمن ذلك قوله تعالى في سورة الأعراف: **﴿وَهُوَ الذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ المَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَالِكَ نُخْرِجُ المَوتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(الأعراف56)**. "أي أنّنا كما أحيينا الأرض بعد موتها بإنزال الماء عليها، وإخراج النبات والثمرات منها، نخرج الموتى من الأرض ونبعثهم أحياء في اليوم الآخر، ووجه الشبه بين إخراج الأموات وإخراج النبات في أن المنزلة فيهما سواء، فالقادر على أحدهما قادر على الآخر في مقتضى العقل".[2] وقيل هو تشبيه مرسل لذكر الأداة، أي مثل إخراج النبات من الأرض نخرج الموتى من قبورهم.

يؤدي التشبيه هنا رسالته في إيضاح المعنى وتوطيده في النفس، فالصلة وثيقة بين بعث الحياة في الموتى وبعث الحياة في الأرض الميتة، فتنبت من كل الثمرات، وإن في ذلك لما يبعث في النفس الاطمئنان إلى فكرة البعث والايمان بها.

وقوله تعالى في قصّة رجل من بني إسرائيل أوتي علما ببعض الكتب المقدّسة ثمّ كفر بها ونبذها وراء ظهره، وركن إلى الدنيا واطمأن إليها:**﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَ فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ**

[1] . عبد القادر حسين، القرآن والصورة البيانية، عالم الكتب، ط2، 1985، بيروت، ص65.

[2] . ينظر: محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، دار الرشيد، ط3، 1995، دمشق. بيروت، مج4، ص438.

هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيهِ يَلْهَثْ اَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَاتِنَا﴾ (**الأعراف176**) فهذا الذي آمن ثم كفر وانسلخ عن الإيمان واتّبع هواه، فقد عاش مثال الذلّة والهوان، وقد وجد القرآن في الكلب مثالا يبيّن خسّته وحقارته، "وممّا يزيد في الصلة بين الاثنين أنّ هذا المنسلخ يظل غير مطمئن القلب، مزعزع العقيدة، مضطرب الفؤاد، سواء دعوته إلى الإيمان، أم أهملت أمره، كالكلب يظلّ لاهثا طردته وزجرته، أم تركته وأهملته".[1]

فالصورة منتزعة من متعدد، ولهذا سمي تشبيه تمثيلي، حيث شبّه سبحانه من آتاه كتابه، وعلّمه العلم الذي منعه غيره، فترك العمل به، واتّبع هواه، وآثر سخط الله على رضاه، ودنياه على آخرته، والمخلوق على الخالق بالكلب الذي هو أخسّ الحيوانات، وأوضعها قدرا.

وفي هذا التشبيه "لمن آثر الدنيا على الله والدار الآخرة مع وفرة علمه بالكلب في حال لهثه سر بديع، فحال هذا الذي انسلخ عن آيات الله، إنّما كان لشدّة لهفه على الدنيا، لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة، ولهفه نظير لهث الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه، لأنّ اللهف واللهث شقيقان في اللفظ والمعنى".[2]

من المؤكد أن الكافر التارك لآيات الله العادل عنها، وقد سيطرت عليه مظاهر الحياة كالكلب في لهثه، إن أجهدته لهث وإن تركته لهث فهو دائم اللهث في كلتا الحالتين، فكذلك حال الحريص على الدنيا إن وعظته أو لم تعظه لا يقبل الوعظ.

ويقول في تشبيه آخر: **﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمُ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾** (**الأعراف179**) والمقصود بها اليهود لعظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلّى الله عليه

[1] . أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، ص158

[2] . عبد الفتاح لاشين، ابن القيم وحسّه البلاغي في تفسير القرآن، دار الرائد العربي، بيروت . لبنان، ط1، 1982، ص175.

وسلم، مع علمهم أنّه النّبي الموعود، كأنّهم خلقوا للنّار،" وقد وجد القرآن لهؤلاء القوم الذين لا يستخدمون عقولهم فيما خلقت له، ولم تصغ آذانهم إصغاء من سمع شبيها لهم وهو إنزالهم منزلة البهائم"[1]. فالقلب هو مركز العقل والتعقل، غير أنّ هؤلاء جعل الله لهم قلوبا لا يفقهون بها، وأعينا لا يبصرون بها آيات الله وأدلّته، وآذانا لا يسمعون بها آيات الله جزاء أعمالهم، فهم كالبهائم التي لا تفقه ما يُقال لها، ولا تفهم ما تُبصره، بل هم أضلّ منها, لأنّ البهائم تُبصر منافعها ومضارّها وتتّبع راعيها، وهم بخلاف ذلك لأنّهم غفلوا عن الإيمان بالله وطاعته.

ويصوّر التشبيه فناء هذا العالم الذي نراه مزدهرا أمامنا عامرا بألوان الجمال، فيُخيّل إلينا استمراره وخلوده فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَواةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ اَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الاَرْضِ مِمَّا يَاكُلُ النَّاسُ وَالاَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الاَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا اَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا**﴾ (**يونس24**).

شبّه حال الدنيا وهي تسحر النّاس وتبهرهم بما فيها من نعيم ومتاع، وتخدعهم بما فيها من زخرف وضياء فيغرقون في ملذاتها بعد أن وهموا أنّهم متحكمون فيها، قادرون عليها، ثم بغتة يدركون قصر زمانها وسرعة انقضائها وزوال ملذاتها، وأنّه قد حيل بينهم وبينها، بصورة الأرض عندما ينزل الغيث عليها فتعشب ويحسن نباتها، ويروق منظرها للناظر فيغتر به،[2] وفجأة يخيب ظنّه ويفشل مراده عندما يجف هذا النبات ويذهب حطاما بعدما التف وتكاثف، فهكذا حال الدنيا وحال من يركن إليها.

والتشبيه في الآية "أحسن موقعا، وأبلغ معنى من جميع ما وصف به حال الدّنيا وميل النّفوس إليها مع قلّة صحبتها، والاستمتاع بلذتها، فكذلك حال النبات والماء في النضارة والحسن،

[1] . أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مارس2005، ص158.

[2] . ينظر: عبد القادر حسين، القرآن والصورة البيانية، ص69.

ثم العودة إلى الجفاف واليبس".[1] فالدنيا تغرّ كما يغرّ الزرع ببهجته واخضراره، وهي في الوقت نفسه سريعة الزوال كالزرع الذي يصير حطاما، وتنطفئ زينته. وفي هذا تحذير من الركون إلى الدنيا والاطمئنان إليها.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَواةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ اَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الاَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا**﴾ (**الكهف44**). والذرو: الرمي في الهواء. "شبهت حالة هذا العالم بما فيه بحالة الروضة تبقى زمانا بهجة خضِرة ثمّ يصير نباتها بعد حين إلى اضمحلال. ووجه الشبه: المصير من حال حسن إلى حال سيء"[2]. وهذا تشبيه معقول بمحسوس لأنّ الحالة المشبهة معقولة، إذ لم ير الناس بوادر تقلص بهجة الحياة. "وأيضا شبهت هيئة إقبال نعيم الدنيا في الحياة مع الشباب والجِدّة وزخرف العيش لأهله، ثمّ تقلّص ذلك وزوال نفعه ثمّ انقراضه أشتاتا بهيئة إقبال الغيث منبت الزرع ونشأته عنه ونضارته ووفرته، ثمّ أخذه في الانتقاص وانعدام التمتّع به ثمّ تطايره أشتاتا في الهواء، تشبيها لمركب محسوس بمركب محسوس".[3] فالحياة الدنيا زائلة لا محالة.

يشبّه حال الدّنيا الفاتنة الفانية التي اغترّوا بها في بهجتها وسرعة زوالها بالماء الذي أنزله الله من السّماء فخرج به النّبات بإذنه، وصار مخضرّا يعجب كلّ من يراه، ولكنّه لا يلبث أن يذبل ويصفر، ويجف ويصبح يابسا متكسّرا تنسفه الرياح فلا ينتفع به.

والتشبيه أيضا قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالذِينَ ءَامَنُوا كَذلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُومِنِينَ**﴾ (**يونس103**) "أي كما حقّ علينا إهلاك الكافرين هذا الإهلاك العظيم، حقّ علينا

[1] . عبد الله بن الحسين بن نافيا البغدادي، الجمان في تشبيهات القرآن، تح: محمود حسن أبو ناجي الشيباني، ط1، 1987، بيروت، ص69.

[2] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص 331.

[3] . ينظر: المصدر نفسه، ج15، ص ص 331- 332.

تنجية المؤمنين العريقين في الإيمان إنجاءً عظيما"[1]. فمثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم، ونهلك المشركين، فقد شبّه نجاة من بقي من المؤمنين بنجاة من مضى، ووجه الشبه استحقاق كل منهم النجاة.

وللتشبيه أغراض أخرى منها إثارة محور الطمع والرغب في النفس، أو محور الخوف والحذر، إذا كان في المشبّه مطامع تطمع فيها النفوس أو مخاوف تحذرها ، كتصوير أعمال الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر برماد اشتدت به الريح فنسفته، وجعلته هباء منبثا **في قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ (ابراهيم21)**.ضرب الله تعالى لأعمال الكفار مثلا في هذه الآية الكريمة برماد اشتدت به الرياح في يوم عاصف: أي شديد الريح " فإن تلك الريح الشديدة العاصفة تطير ذلك الرماد، ولم تبق له أثرا فكذلك أعمال الكفار، كصلات الأرحام ، وقرى الضيف ، والتنفيس عن المكروب ، وبر الوالدين ، ونحو ذلك يبطلها الكفر ويذهبها كما تطير تلك الريح ذلك الرماد".[2] فصفة أعمال الكفّار في الدّنيا كالبر وصلة الأرحام، كصفة رماد اشتدّت به الرّيح فلم تترك له أثرا، فكذلك أعمالهم لا يجدون منها ما ينفعهم عند الله.

ومن لطائف هذا التمثيل أن اختير له التشبيه بهيئة الرماد المتجمع، لأنّ الرماد أثر لأفضل أعمال الذين كفروا وأشيعها بينهم وهو قرى الضيف حتى صارت كثرة الرماد كناية في ألسنتهم عن الكرم.

وحاصل التمثيل:" تشبيه أعمالهم في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى والايمان به وكونها لوجهه، برماد طيرته الريح العاصف وفرقته"[3]. بيّن الله

[1] . البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج9، ص ص 213- 214.

[2] . محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف: بكر بن عبد الله بوزيد، دار علم الفوائد، ج3، ص129.

[3] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص405.

سبحانه وتعالى أن أعمال الذين كفروا في ذهابها وإحباطها كرماد ذهبت به الريح يوم عصفها، فالمشبه إذن مركب وهم" الذين كفروا وأعمالهم"، والمشبه به "الرماد"، ووجه الشبه أن الريح العاصف تطير الرماد وتفرق أجزاءه، كما أن الكفر يحبط الأعمال.

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ* وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ**﴾ (**ابراهيم24-26**).قيل "أن الكلمة الطيبة هي كلمة الإسلام ، وهي شهادة أن لا إلاه إلاّ الله وأنّ محمدا رسول الله، والكلمة الخبيثة هي كلمة الشرك".[1]

وهو مثل ضربه الله تعالى لكلمتي الإيمان والشرك، فمثّل لكلمة الإيمان بالشجرة الطيبة، ولكلمة الشرك بالشجرة الخبيثة، "فالشجرة الطيبة أصلها راسخ في الأرض وأغصانها ممتدة نحو السّماء، تعطي ثمرها كل وقت بتيسير الخالق، كذلك كلمة كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعمله يصعد إلى السّماء، ويناله بركته وثوابه في كلّ وقت. وكذلك الحال بالنسبة للشجرة الخبيثة، حيث مثّل كلمة الكفر الخبيثة كشجرة الحنظل الخبيثة، استؤصلت من جذورها واقتلعت من الأرض لعدم ثبات أصلها، كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة".[2]

وجاء في تفسير الكشاف: "أن الكلمة الطيّبة هي كلمة التوحيد، و قيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة، والدعوة... وعن ابن عباس: شهادة أن لا إلاه إلاّ الله، وأمّا الشجرة فكل شجرة مثمرة طيّبة الثمار كالنّخلة، وشجرة التين والعنب وغيرها وعن ابن عمر أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال ذات يوم: إن اللّه ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبروني ما

[1] . الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج13، ص 225.

[2] . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1981، ص97.

هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي أنها النخلة فهبت رسول اللّه أن أقولها وأنا أصغر القوم وروي: فمنعني منها مكان عمر واستحييت، فقال لي عمر: يا بني لو كنت قلتها لكانت أحب إليّ من حمر النعم. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "ألا إنّها النّخلة".[1] ضرب الله مثلا لكلمة التوحيد بشجرة عظيمة، وهي النّخلة، أصلها متمكّن في الأرض، وأعلاها مرتفع نحو السّماء، تُعطي ثمارها كلّ وقت بإذن ربّها، وكذلك شجرة الإيمان أصلها ثابت في قلب المؤمن، وفرعها من الأعمال الصّالحة والأخلاق المرضية.

أمّا الكلمة الخبيثة فهي كلمة الشرك، وقيل: "كل كلمة قبيحة، والشّجرة الخبيثة كل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل. وعن قتادة: أنّه قيل لبعض العلماء: ما تقول في كلمة خبيثة؟ فقال: ما أعلم لها في الأرض مستقرا ولا في السماء مصعدا إلاّ أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة."[2] فالعرب تضرب المثل بمرارة الحنظل وخبث طعمه.

ففي هذه الآيات يبيّن الله تعالى صفات النبات الطيّب، أصله ثابت أي جذوره ضاربة في الأرض، وسليمة من الآفات، كما أنّ فرعه في السّماء سليم. "كما أنّ هذه النباتات الطيّبة تثمر في وقتها ثمرا طيّبا، بعكس النبات الخبيث تكون جذوره مجتثة فوق الأرض، فيكون ثمره خبيثا. وفي هذا تلميح أيضا إلى دور البذور في إنتاج الثمر".[3] فالإيمان كالنّخلة، والكفر كشجرة خبيثة المأكل والمطعم، وهي شجرة الحنظل، ليس لها أصل ثابت، ولا فرع صاعد، وكذلك الكافر لا ثبات له ولا خير فيه، ولا يُرفع له عمل صالح إلى الله.

---

[1] . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط3، 2009، ص551.

[2] . الزمخشري ، تفسير الكشاف، ص 551.

[3] . أحمد مصطفى متولي، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2005، ص419.

ولننظر إلى قوله: ﴿**وَلاَ تَكُونُوا كَالتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا**﴾ (**النحل92**)."شبه تعالى من يحلف ثم لا يفي بعهده بالمرأة التي تغزل غزلا ثم تنقضه، واستعار ذلك في نقض العهد وغيره".[1]

هي صورة واقعية الغرض منها تشويه نقض العهد لمن يفعله والتعجب من جهله وبلاهته، بالإضافة إلى أن تشبيه ناقض العهد بالمرأة هي صورة للمذمّة بما في هذه الصورة من نفي للرجولة، وهي مفخرة العرب. ومن ذلك يتبين لنا أن التشبيه" ينقل اللفظ من صورة إلى صورة أخرى على النّحو الذي يريده المصوّر، فإذا أراد صورة متناهية في الجمال والأناقة شبّه الشيء بما هو أرجح منه حسنا، وإن أراد صورة متداعية في القبح والتفاهة شبّه الشيء بما هو أردأ منه صفة"[2] ضرب الله تعالى مثالا لمن يرجع في عهده بمرأة غزلت غزْلا وأحْكَمته، ثمّ نقضته، فما أقبحها، وما أذمّها من صورة.

وقوله تعالى: ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمُ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفًا**﴾ (**الكهف06**). "فقد شبهه تعالى وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وأصروا على المكابرة والعناد و ما تداخله من جراء ذلك من وجد وأسف على توليهم برجل فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم"[3] وأتى بهذه الصورة الفريدة صيانة لتشبيهه من الابتذال، فإن التلهف على فراق الأحبة، واستشعار الوجد أمر شائع تناوله الشعراء في أشعارهم، وتحدثوا به في قصائدهم. وكأنّ رسول الله عليه الصّلاة والسّلام مهلك نفسه غمّا وحزنا على أثر تولّي قومه وإعراضهم عنه، إن لم يُصدّقوا بهذا القرآن ويعملوا به.

[1]. عبد الله بن الحسين بن نافيا البغدادي، الجمان في تشبيهات القرآن، ص103.

[2]. محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهوري العراقية، دار الرشيد، 1981، ص67.

[3]. ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ص96.

وقوله أيضا: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلًا رَّجُلَينِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَينِ**﴾(**الكهف32**).فوجه الشبه منتزع من متعدد. حيث ضرب الله مثلا للفريقين "للمشركين وللمؤمنين بمثل رجلين كان أحدهما معجِبا مؤنِقا وحال الآخر بخلاف ذلك، فكانت عاقبة صاحب الحال المونقة خسارة، وكانت عاقبة الآخر نجاحا، ليظهر للفريقين ما يجره الغرور والإعجاب والجبروت إلى صاحبه من الأرزاء، وما يلقاه المؤمن المتواضع العارف بسنن الله في العالم من التذكير والتدبر في العواقب فيكون معرّضا للصلاح والنجاح"[1]. ولم يذكر المفسرون أين كانت الجنتان، ولعلهما كانتا بالطائف فإن فيه جنات أهل مكة.

وعن ابن عباس: هما أخوان من بني إسرائيل مات أبوهما وترك لهما مالا فاشترى أحدهما أرضا وجعل فيها جنتين، وتصدق الآخر بماله، فكان من أمرهما في الدنيا ما قصّه الله تعالى في هذه السورة.[2]

ومن النّصوص القرآنية ما اشتمل على التشبيهين معا التمثيلي والبليغ كقوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا**﴾ (**مريم63**). حقيقة الإرث: "انتقال مال القريب إلى قريبه بعد موته، لأنه أولى الناس، واستعير هنا للعطية المدّخرة تشبيها بمال الموروث الذي يصير إلى وارثه آخر الأمر".[3] يورث الله سبحانه وتعالى الجنّة ويعطيها لعباده الصّالحين، المتّقين له، الممتثلين لأوامره، والمجتنبين لنواهيه.

[1]. الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص315.
[2]. المصدر نفسه، ج15، ص316.
[3]. المصدر نفسه، ج16، ص138.

وقيل استعارة أي: تبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث،" والأتقياء يلقون ربهم وقد انقضت أعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة، فقد أورثهم من تقواهم ، كما يورث الوارث المال من المتوفى، وقيل: أورثوا من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا".[1]

شبّه سبحانه وتعالى عطاء الجنة لهم بالعطاء الذي لا يرد، وهو الميراث الذي يرثه الوارث فلا يرجع فيه المورث أي نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه.

وقوله تعالى: **﴿زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾** (**طه129**). "مثّل لنعم الدنيا بالزهر البهيج الفاتن الذي ينعش النفس، لأن الزهر له منظر حسن، ثم يذبل ويضمحل، وكذلك نعيم الدنيا".[2] فما تمتّع به المشركين وأمثالهم من أنواع المتع، زينة زائلة، إنّما متّعهم الله بها ليبتليهم.

شبّه الله تعالى نعم الدنيا بالزهر البهيج، حيث نراه في بادئ الأمر يذهل العقول بحسنه وجماله، ثمّ يبدأ في الذبول والاضمحلال رويدا رويدا، وكذلك حال نعيم الدّنيا، فهي فاتنة لمن يتمسّك ويتشبث بها، غير أنّها زائلة لا محالة.

ضف إلى ذلك التشبيه التمثيلي في قوله تعالى: **﴿فَقَد اسْتَمْسَكَ بالْعُرْوَة الْوُثْقى﴾** (**لقمان21**). "أي تمسك بحبل الله أو بالعهد الأوثق الموصول إلى رضوان الله".[3] المخلص في عبادته لله تعالى، المحسن في أقواله، المتقن لأعماله، يأخذ بأوثق سبب موصِلٍ إلى رِضوان الله وجنّته. شبه حال المتوكل على اللّه عز وجل، المفوض إليه أموره كلها، المحسن في أعماله، بمن تدلّى من جبل شاهق، فتمسك بأوثق عروة من حبل متين، مأمون انقطاعه .

[1] . ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ص191. والزمخشري، الكشاف، ص642.

[2] . محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ص179.

[3] . بهجت عبد الواحد الشيخلي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز، ج8، مكتبة دنديس، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط1، 2001، ص25.

ويختص التشبيه القرآني بدقّته، فهو يصف ويقيّد حتّى تصبح الصورة دقيقة واضحة أخّاذة يقول تعالى واصفا نفور الكفار من هداية الله تعالى في سورة المدثر: ﴿**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ* فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ**﴾ (**المدثر49–50**). أي "كأنّ هؤلاء الكفار حمر وحشية نافرة وشاردة، هربت ونفرت من الأسد من شدّة الفزع، كذلك الحال بالنسبة للمشركين إذا رأوا محمّدا هربوا منه كما يهرب الحمار من الأسد".[1] فالمشركون لا يريدون إعمال عقولهم والتفكر في خلق السّموات والأرض، بل كلّما عرض عليهم دعوته ابتعدوا عنه مسرعين، وكأن في أعماقهم شيء يحثهم على الهرب.

لم يكتف في تصوير إعراضهم وصفهم بالحمير لدقّته، فهو أراد تصوير نفرتهم من الدعوة، وإسراعهم في إبعاد أنفسهم عنها، إسراعا يمضون فيه على غير هدى، فوصف الحمر بأنّها مستنفرة تحمل نفسها على الهرب، وتحثّها عليه.

ويبيّن ابن القيم بلاغة هذا التمثيل، وما ينطوي تحت كلماته من معنى فيقول: "شبّههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمر رأت الأسد أو الرماة، ففرّت منه. وهذا من بديع القياس والتمثيل، فإنّ القوم في جهلهم بما بعث الله به رسوله كالحمر، وهي لا تعقل شيئا، فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشدّ النفور، وهذا غاية الذم لهؤلاء، فإنّهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم كنفور الحمر عمّا يملكها ويعقرها".[2] فما لهؤلاء المشركين عن القرآن وما فيه من المواعظ منصرفين؟ كأنّهم حمر وحشية شديدة النّفار، فرّت من أسد كاسر.

[1] . ينظر: الصابوني، صفوة التفاسير، مج3، ص480.

[2] . عبد الفتاح لاشين، ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، ص178.

صورة هؤلاء القوم في الإعراض عن التذكرة، والفرار أمام الدعوة لا يلوون على شيء، سائرين على غير هدى، هي صورة تبعث في النّفس الهزء بهم والسّخرية. وهذا أبلغ تصوير لإعراض الكافرين عن الدعوة.

فالتشبيه إذن وسيلة من وسائل الإيضاح التي يلجأ إليها المخاطب للوصول إلى تعيين الشيء أو تقريبه من المخاطب، فهو وسيلة تتجلّى من خلال القرائن التي تكون بين طرفي التشبيه، وبهذا تبدو قيمة التشبيه في إعمال الفكر، وعمق التفكير، ولذلك فهو يدل على سعة الخيال ويكسب الصورة وضوحا وقوّة وجمالا.

الفصل الرابع:

أسلوب الكناية في النص القرآني المكي

أولا: الكناية لغة واصطلاحا.

ثانيا: الظواهر الكنائية.

أولا: الكناية لغة واصطلاحا

الكناية بدورها طريقة من طرائق البلاغة، وهي من الصور الأدبية اللطيفة التي لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، ولها من أسباب البلاغة في ميدان التصوير الأدبي ما يجعلها دائمة الإشراق، واضحة المعالم، دقيقة التعبير والتصوير، فهي تأتي بالفكرة مصحوبة بدليلها.

وتقوم الكناية القرآنية بنصيبها كاملا في أداء المعاني وتصويرها خير أداء، وأدق تصوير، وهي حينا راسمة مصورة موحية، وحينا مؤدبة مهذبة، تتجنب ما تنفر الأذن من سماعه، وحينا موجزة تنقل المعنى وافيا في لفظ قليل-وهي في كلّ ذلك- لا تخلو من الإيحاء والتصوير.

أ- الكناية لغة: الكن: السترة والجمع أكنان، والأكنّة: الأغطية، وكننت الشيء: سترته وصنته من الشمس، وأكننته في نفسي: أسررته.[1]

وفي لسان العرب: كنّ الشيء في صدره يكنُّه كنًّا وأكنَّه، وكنّ أمره عنّا كنّا: أخفاه، واستكنّ الشيء: استتر. وأكننت الشيء إذا سترته، وكننته إذا صنته، واكتنت المرأة غطّت وجهها وسترته حياء من الناس.[2]

وجاء في معجم المصطلحات: كنّى عن الأمر بغيره يكني كناية، والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره.[3]

[1]. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط4، 1990، مج6، ص2189.

[2]. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، مج13، ص361.

[3]. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1987، ج3، ص154.

وبناءا على ما تقدم، فإنّ الكناية كيفما كانت تعني الستر والإضمار والإخفاء، وهي أبعد ما تكون عن الوضوح.

ب– اصطلاحا: الكناية في نظر عبد القاهر الجرجاني " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه".[1]

واشترط لحسن تصوير الكناية وجمالها وجود التناسب بين ألفاظها ومعانيها، فالمعنى الكنائي لا يُعرف من لفظ الكلام، وإنّما يُعرف بالنظر اللطيف، والحسن الدقيق، بالرجوع إلى العقل.

وهي كما عرّفها السكاكي" ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك".[2]

وعند القزويني: "الكناية لفظ أُريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ، وفرّق بينها وبين المجاز، بأن جعل مبنى الكناية على الانتقال من اللّازم إلى الملزوم، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللّازم والفرق بينهما أيضا من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمه، فالمجاز ينافي ذلك".[3]

وجعل أقسام الكناية بحسب المطلوب بها ثلاثة أقسام: قسم يُطلب به موصوف، قسم يطلب به صفة، وقسم يطلب به نسبة، ثم قسّم كلّ نوع إلى قريب وبعيد.

---

[1] . عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ص53-54.

[2] . أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1983، ص402.

[3] . جلال الدين محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن محمد(الخطيب القزويني)، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1: 2003، ص ص241-242.

فيلاحظ من دراسة القزويني للكناية أنّه تتبع خطى السكاكي في دراسته لها ولأقسامها، وإنّما يعود إليه الفضل في التفريق بينها وبين المجاز.

ويرى ابن الأثير أن الحد الجامع للكناية هو أنّها" كل لفظة دلّت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز".[1]

وقد قسّم ابن الأثير الكناية إلى أربعة أقسام:

1- **التمثيل**: وهو أن تراد الإشارة إلى معنى فتوضع ألفاظ تدل على معنى آخر، وتكون تلك الألفاظ وذلك المعنى مثالا للمعنى الذي قصدت الإشارة إليه والعبارة عنه.

2- **الإرداف**: وهو أن تُراد الإشارة إلى معنى فيترك اللفظ الدال عليه ويؤتى بما هو دليل عليه ومرادف.

3- **المجاورة**: وذلك أن يريد المتكلم ذكر شيء، فيترك ذكره جانبا إلى ما جاوره فيقتصر عليه بدلالته على المعنى المقصود.

4- الكناية التي ليست تمثيلا ولا إردافا ولا مجاورة.

أمّا الزركشي فالكناية عنده: "هي الدلالة على الشيء من غير تصريح باسمه، ويعطف على قوله قول أهل البيان، أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له من

[1] . ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط2، ص194.

اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه، فيدل على المراد من طريق أولى".[1]

وذكر لها أسباب منها التنبيه على عظم القدرة، فطنة المخاطب، ترك اللفظ إلى ما هو أجمل منه، أو قصد المبالغة في التشنيع... وغيرها.

[1] . بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة دار التراث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1984، ص301.

ثانيا: الظواهر الكنائية.

بحث البيانيون القدامى الكناية دون أن يصنّفوها ويقسّموها إلى أقسام، وكان بحثهم لها مقصورا على الغرض منها والهدف من وجودها" كالكناية عمّا يستهجن ذكره، ويُستقبح نشره، ويُستحيا من تسميته، أو يُتطير منه، بألفاظ مقبولة تؤدي المعنى، وتفصح عن المغزى، وتحسن القبيح مع العدول عمّا ينبو عنه السمع، ولا يأنس به الطبع، إلى ما يقوم مقامه من كلام تأذن له الأذن، ولا يحجبه القلب، وما ذلك إلّا من خصائص البلاغة، ونتائج البراعة، ولطائف الصناعة".[1]

ولكن المتأخرين من علماء البيان قسّموا الكناية إلى تقسيمات عدّة كالكناية عن صفة أو موصوف أو نسبة، وقد تكون تعريضا، أو تلويحا، أو إشارة، أو رمزا، أو إيماء، وقد تكون بعيدة أو قريبة ظاهرة أو خفية.

وتقسم الكناية تبعا لما تدل عليه إلى ثلاثة أقسام وهي:

1- كناية عن صفة:

وهي أن يصرح بالموصوف وبالنسبة، ولا يصرح بالصفة المطلوب نسبتها وإثباتها، ولكن يذكر مكانها صفة تستلزمها[2]، وينقسم هذا النوع من الكناية عند البلاغيين إلى قسمين:

[1] . ينظر: أبو منصور إسماعيل الثعالبي، النهاية في الكناية، تح: فرج الحوار، دار المعارف للطباعة والنشر سوسة-تونس، ص10.

[2] . أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، الكناية والتعريض، تح: عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع1998، ص22.

- **كناية قريبة:** وهي ما ينتقل الذهن فيها من المعنى الأصلي إلى المقصود بلا واسطة بين المنقل عنه والمنتقل إليه.[1] أي لا يحتاج الانتقال فيها إلى فكر، لعدم الواسطة بينها وبين المطلوب، بحيث يسهُل إدراك المقصود منها في أغلب الأمثلة.

- **كناية بعيدة:** وهي التي كثُرت لوازمها الذهنية، أو كانت فيها العلاقة بين المكنّى به والمكنّى عنه، متعددة الوسائط، وتكون في العادة خفيّة، تحتاج إلى تأمّل وتفكير.

ومن أمثلة هذا النوع في القرآن الكريم: ما جاء في سياق عبادة بني إسرائيل للعجل الذهبي في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ**﴾(**الأعراف149**). هي صورة كنائية حركية تشير إلى شدّة الندم والحسرة على عبادتهم العجل. قال الزمخشري" ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل، لأنّ من شأن من اشتدّ ندمه وحسرته أن يعضّ يده غمّا، فتصير يده مسقوطا فيها لأنّ فاه قد وقع فيه"[2] أي ندموا أشدّ الندم. و قيل:" هو كناية عن ندمهم وشدّة خوفهم، وأصل هذه الكناية أن المجرم إذا أدركه الجنود أسرعوا فأسقطوا في يديه القيد الحديدي حتّى لا يفرّ، فإذا فعلوا به ذلك ارتخت أعصابه، ووهنت عزائمه، وأيقن أنّه مسوق للعقاب".[3]

أي أنّ هؤلاء الذين اتّخذوا العجل الذهبي الذي عبدوه أحسّوا بمثل هذا لما رأوا من بعيد موسى عليه السّلام راجعا إليهم ومعه الألواح، كأنّه قد حصل سقوط قيد حديدي في أيديهم، وسيلاقون عقابهم.

وهذه الأخيرة "وإن كانت تعني في دلالتها السقوط النفسي المتمثل في الندم والتحسّر الذي يتجسّد في صورة حسية، إلّا أن فيها إيحاء السقوط لإلاههم المزعوم "العجل" من أعلى إلى

[1] . أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، الكناية والتعريض، ص25.

[2] . الزمخشري، الكشاف، ص388.

[3] . ينظر: عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص 148.

أسفل في نفوسهم وفي واقعهم".[1] هذا الندم جاء عند رجوع موسى إليهم، بعدما رأوا أنّهم قد ضلّوا السّبيل عن دين الله، أخذوا يُقرون بالعبودية والاستغفار. فالكناية تصوير لتلك الحالة النفسية النادمة المتحسّرة، يخرجها في صورة تتملاها العين، ويتأثر بها الحس، وكأنّ الندم يسقط في أيديهم انعكاسا للنفس الممتلئة منه.

ومن لطيف الكناية قوله تعالى: ﴿**قَدَمَ صِدْقٍ**﴾ (**يونس02**). العبارة غاية في البلاغة" لأن بالقدم يكون السبق والتقدّم، كما سميت النعمة يدا لأنّها تُعطى بها، وباعا لأنّ صاحبها يبوع بها، والصدق في هذه الآية بمعنى الصّلاح".[2] هو تبشير بالأجر الحسن للذين آمنوا بالله ورسله، بما قدّموا من صالح الأعمال ، وهي كناية عن المنزلة الرفيعة.

وقوله: ﴿**أَتَيهَا أَمْرُنَا لَيْلًا اَوْ نَهَارًا**﴾(**يونس24**).وهو ضرب زرعها ببعض العاهات كالريح والسّموم، وغير ذلك من الآفات بعد أمنهم وتيقنهم أنّه قد سلم.[3] أي إهلاك هذه الأرض بعدما كانت عليه من الحسن والبهاء، وظنّ أهلها أنّهم قادرون على حصادها، جاء أمر الله وقضائه بهلاك ما عليها من النّبات، إمّا ليلا أو نهارا. والأمر ها هنا كناية عن العذاب والدمار.

وكذلك قوله في السورة نفسها:﴿**إِنَّ الذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ لَا يُومِنُونَ**﴾ (**يونس96**). أي أنّه "حقّ عليهم قضاء الله وقدره بأنهم يُصرّون على الكفر ويموتون عليه لا يقع منهم الإيمان بحال من الأحوال، وإن وقع منهم ما صورته صورة الإيمان كمن يؤمن منهم عند معاينة العذاب فهو في حكم العدم".[4] فالذين لا يؤمنون بحجج الله، ولا يقرّون بوحدانيته، ولا

[1] . ينظر: أحمد فتحي رمضان الحياني، الكناية في القرآن الكريم، ص143.

[2] . ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص456.

[3] . المصدر نفسه، ص461.

[4] . الشوكاني، فتح القدير، ص785.

يعملون بشرعه، جزاؤهم الطرد من رحمة الله والعذاب لهم. كناية عن القضاء والحكم الأزلي بالشقاوة.

ومن أمثلتها أيضا قوله: ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾(**هود37**). "أي أنّ الله أوحى إليه كيفية صنع الفلك، ولذلك فنوح أول من صنع الفلك، والأعين استعارة للمراقبة والملاحظة".[1] فصنع السّفينة كان بأمر من الله ومعونته، في حفظه وكلاءته.

وقيل معنى "بأعيننا": "أي بمرأى منّا و كلاءة وحفظ، فلا تزيغ صنعته عن الصواب فيها، ولا يحول بين العمل وبينه أحد".[2] وقيل "بملائكتنا الذين جعلناهم عيونا على مواضع حفظك ومعونتك".[3] وفي الآية إثبات لصفة العين لله تعالى على ما يليق به سبحانه. والمراد الكناية بالمعنى المجازي عن لازمه، وهو الحفظ من الخلل والخطأ في الصّنع، لذلك يقال للمسافر" صحبتك عين الله" أي رعاية الله وحفظه.

وقوله في السورة نفسها: ﴿**وَلَمَّا جَآءَ اَمْرُنَا**﴾(**هود57**). لمّا جاء أمر الله بعذاب قوم هود، نجّى سبحانه وتعالى هودا ومن آمن معه من القوم، بفضل منه ورحمة، ونجّاهم من العذاب الأليم الذي حلّ بعاد .كناية عن العذاب العظيم الذي وُعدوا به، أي الريح العظيم.

وقوله كذلك: ﴿**جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ**﴾ (**هود75**). وهو"قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر إلّا عن صواب وحكمة".[4] فالأمر ما قضاه سبحانه وتعالى، وحكم به من عذابه الواقع بقوم لوط، وهي كناية عن العذاب الذي قدّره عليهم بهلاكهم.

---

[1] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص66.

[2] . الزمخشري، الكشاف، ص483.

[3] . ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص221.

[4] . الزمخشري، الكشاف، ص491.

ومن الكنايات أيضا قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿**فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ**﴾ (**ابراهيم12**). "أي أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم إخفاء لشدّة الضحك من كلام الرّسل كراهية أن تظهر دواخل أفواههم، وذلك تمثيل لحالة الاستهزاء بالرّسل عليهم السّلام".[1]

فالكناية المصوّرة للمعنى فيها معان وإيحاءات متعدّدة، ومن هذه المعاني ما يورده الزمخشري في تفسيره قائلا:" فعضوها غيظا وضجرا ممّا جاءت به الرّسل، أو ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه، أو وأشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به، أي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطا لهم من التصديق، أو وضعوها على أفواههم يقولون للأنبياء: أطبقوا أفواهكم واسكتوا، أو ردوها في أفواه الأنبياء يشيرون لهم إلى السّكوت، أو وضعوها على أفواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون، وقيل: الأيدي جمع يد وهي: النعمة بمعنى: الأيادي، أي ردوا نعم الأنبياء التي هي أجلّ النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحي إليهم من الشرائع، والآيات التي في أفواههم، لأنّهم إذا كذّبوها ولم يقبلوها فكأنّهم ردوها في أفواههم ورجعوها إلى حيث جاءت منه على طريق المثل"[2].بمعنى عظوا أيديهم غيظا عن قبول الإيمان.

ويمكن أن يكون المراد بهذه الكناية :" أن الكفار إذا بدأ عليهم الرّسل بالكلام سدوا بأيديهم أسماعهم دفعة، وأفواههم دفعة، إظهارا منهم لقلّة الرغبة في سماع كلامهم وجواب مقالهم، ليدلوهم بهذا الفعل على أنّهم لا يصغون لهم إلى مقال، ولا يجيبونهم عن سؤال، إذ قد أبهموا طريق السّماع والجواب، وهما الآذان والأفواه"[3].

[1] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص196.

[2] . ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص546.

[3] . الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تح: علي محمود مقلّد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، ص127.

كل هذه المعاني توحي بها الكناية، وتتجمع فيها لتشير إشارة واضحة إلى إمعان هؤلاء بالتكذيب والكفر، وإصرارهم وتصميمهم على مجابهة رسول الله عليه الصّلاة والسّلام بالإيذاء.

ومن الكناية المصوّرة الموحية قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً اِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾(**الإسراء29**).الله سبحانه وتعالى يوسّع الرزق على بعض النّاس، ويضيّقه على بعضهم، وفق علمه وحكمته سبحانه، فهو المطّلع على خفايا عباده.

كناية عن صفة الاعتدال والتوسط بين البخل والإسراف، فاليد التي تغل إلى العنق لا تستطيع أن تمتد كيد البخيل التي لا تمتد بالعطاء والبذل، واليد التي تنبسط فلا يبقى فيها شيء كالمبذر الذي لا يبقي من ماله شيء.

وقيل:" هي استعارة استعير فيها المحسوس للمعقول، وذلك أن البخل معنى قائم بالإنسان يمنعه من التصرّف في ماله، فاستعير له الغل الذي هو ضم اليد إلى العنق، وذكر اليد لأنّ بها الأخذ والإعطاء، واستعير بسط اليد لإذهاب المال، وذلك أن قبض اليد يحبس ما فيها، وبسطها يذهب ما فيها، وطابق في الاستعارة بين بسط اليد وقبضها من حيث المعنى، لأنّ جعل اليد مغلولة هو قبضها، وغلّها أبلغ في القبض".[1]

فالآية الكريمة تنهى عن صفتين مذمومتين هما: البخل والتبذير، وقد عدل التعبير القرآني عن صفة "البخل" إلى التصوير الكنائي الفني ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً اِلَى عُنُقِكَ**﴾.نرى فيه البخيل" وقد بدا ذراعه متجمدا وكفّه مقبوضة في صورة محسوسة تتملاها العين، و يتحسسها الوجدان فهو مغلول اليد قد شدّت إلى عنقه لا يبدر منه عمل يُنتفع به، فالصورة الكنائية بديلة

[1] . ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ص28.

عن حقيقة لازمة لصفة البخل، فهي صفة تنفر الناس منه لما يرونه عليه عيانا ويحسّونه فيه مشاهدة".[1]

وعدل التعبير القرآني كذلك عن صفة "الإسراف" إلى الصورة الكنائية البديلة، "فإذا المسرف الباذخ يبسط يده غاية البسط ويُلحّ على بسطها في عناء وعنت، فهو يصوّر للناس في هذه الصورة البديلة واقع واللّازم لهذا الواقع، فيفهم المتلقون أنّه بهذا يضر نفسه بعدم الإبقاء على شيء ينفعه ويجدي سواه".[2]

يتجلّى الفرق في التعبير عن الأفكار والمعاني بين الأسلوب الكنائي المصور الموحي بطريق إثارة الحواس والذهن والمخيلة، وبين التعبير الحقيقي المباشر الذي عدل عنه القرآن، وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

والكناية كالاستعارة من حيث قدرتها على تجسيم المعاني وإخراجها صورا محسوسة تزخر بالحياة والحركة، وتبهر العيون منظرا، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى تصويرا لحال صاحب الجنتين عندما رأى جنّته التي كان يعتز بها قد أهلكها الله عقابا له على شركه: ﴿**وَأُحِيطَ بِثُمُرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَآ أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا**﴾(**الكهف41**). وظاهره أنه يقلب كفّيه ظهر البطن،" وهو أن يبدي باطن كفّه ثم يعوج كفّه حتّى يبدو ظهرها، وهي فعلة النادم المتحسّر على شيء قد فاته، المتأسّف على فقدانه، كما يكنّى بقبض الكف والسقوط في اليد، وقيل: يصفق بيده على الأخرى ويقلب كفّيه ظهر البطن، وقيل: يضع باطن إحداهما على ظهر الأخرى".[3]

[1] . ينظر: أحمد فتحي رمضان الحياني، الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها، دار غيداء للنشر والتوزيع عمان، ط1: 2014، ص68.

[2] . المرجع نفسه، ص69.

[3] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ص123.

وقيل: "يقلب ملكه فلا يرى فيه عوض ما أنفق وهلك، لأنّ الملك قد يعبّر عنه باليد، من قولهم في يده مال، أي في ملكه".[1] فالكافر يقلّب كفيه حسرة وندامة على ما أنفق في الحديقة، وهي خاوية قد سقط بعضها على بعض.

والصورة الكنائية ﴿**فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ**﴾ مشتقة في معناها عن الاستعارة المكنية ﴿**وَأُحِيطَ بِثُمُرِهِ**﴾ ومتصلة بها لأنّها تجسيد بالحركة للحالة النفسية المتأثرة بتدمير الجنّتين الذي صوّرته الاستعارة بقوّتها التعبيرية، فقد استعار" الإحاطة" "وأصله من أحاط به العدو، لأنّه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه".[2] ثم حذف المستعار منه "العدو" وأبقى شيئا من لوازمه وهو" الإحاطة" على سبيل الاستعارة، ثمّ يتصاعد مشهد الموت في تأثيره بالكناية ﴿**وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا**﴾ أي مهشّمة محطّمة، فهي صورة كنائية توحي بالتحطم والموت. وصاحبها يقلّب كفيه ظهرا لبطن إشارة لذلك الإحساس النفسي الذي انتابه بعد الاستكبار وهو الندم والحسرة.

فتقليب الكفين أصبح عنوانا ورمزا لهذا المعنى النفسي، وفي الكناية إيحاء لطيف يناسب السياق والحالة النفسية يتمثّل في حركتها التي توحي بفراغ الكفين بعد قبضهما على شيء، أي غياب الشيء بعد حضوره، وكأنّ تقليبهما إعلان عن هذا فضلا عن الندم والتحسّر عليه.[3]

والمعنى الصريح" أصبح نادما حزينا" وهو أمر معنوي تدخلت فيه الكناية وجسّمته وأظهرته للعيان في صورة رجل اعتراه الذهول من هول ما أصاب الجنّة التي كان يعتز بها، فوقف يقلب كفّيه ندما وحزنا على أمله المنهار أمام عينيه، وهذا سبب من أسباب بلاغة الكناية".[4]

[1] . الماوردي، النكت والعيون، ج3، ص308.

[2] . الزمخشري، الكشاف، ص621.

[3] . ينظر: أحمد فتحي رمضان الحياني، الكناية في القرآن الكريم، ص142.

[4] . عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص224.

يظهر ممّا سلف أنّ تقليب الكفين كناية عن صفة الندم والتحسّر على ضياع ما أنفق فيها من مال وجهد، فعبّر باللّازم(المعنى المكنّى به) وهو تقليب الكفين وأراد الملزوم(المعنى المكنّى عنه) وهو الندم والحسرة.

ووردت الكناية في سياق دعاء زكريا عليه السّلام في قوله:﴿**وَلَمَ اَكُن بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾ (**مريم03**)."أي قد أحسنت إليّ فيما سلف، وسعدت بدعائي إيّاك، فالإنعام يقتضي أن تجيبني آخرا كما أجبتني أوّلا".[1] فأطلق نفي الشّقاوة والمراد حصول ضدّها، "وهو السّعادة على طريق الكناية".[2] أي أنّه لم يكن من قبل محروما من إجابة الدّعاء. كناية عن كونه دائم السّعادة بدعاء ربّه.

وتعبيرا على لسان مريم عليها السّلام في قوله:﴿**وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمَ اَكُ بَغِيًّا**﴾ (**مريم19**).البغي: المجاهرة المشتهرة في الزنا.[3]جُعل المس عبارة عن النّكاح الحلال لأنّه كناية عنه. وفي كلامها كناية عن "التنزه عن الوصم بالبغاء بقاعدة الاستصحاب".[4] أي ما كنت زانية فيما مضى، ولا يمكن أن تكون مستقبلا.

وقوله تعالى: ﴿**فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا**﴾(**مريم25**).أي طيبي نفسا ولا تغتمي، وارفضي عنك ما أحزنك وأهمّك. وقرة العين تشمل هناء العيش وتشمل الأنس بالطفل المولود، وفي كونه قرة عين كناية عن ضمان سلامته ونباهة شأنه.[5] أمرها الله تعالى بالأكل من الرّطب،

[1] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ص164.
[2] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص66.
[3] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ص 170.
[4] . المصدر نفسه، ج6، ص 82.
[5] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص89.

والشّرب من الماء، وأن تطيب نفسا بالمولود، فقرّة العين كناية عن السّرور بطريق المضادّة لقولهم: سخنت عينه إذا كثُر بكاؤه.

وجاءت الكناية جلية في معرض تهديد والد إبراهيم له بالقتل بقوله: ﴿**لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**﴾(**مريم46**). "فالرّجم بمعنى الرمي بالحجارة، وهو كناية مشهورة في معنى القتل بذلك الرمي".[1] وللكناية هنا وظيفتها في الكشف عن قسوة هذا الوالد، فالتهديد بالقتل بطريقة الرجم، ورمي الحجارة أشدّ عنفا من التهديد المباشر بالقتل، بل من أكثر أنواع القتل إيلاما، ففيه يجتمع طعم الموت البطيء بطعم العذاب الشديد.

ومن الكناية أيضا قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا**﴾(**مريم50**). لسان صدق: "أي الثناء الحسن، وعبّر باللّسان عمّا يوجد باللّسان، كما عبّر عن اليد عمّا يُطلق باليد وهي العطية، ولسان العرب لغتهم وكلامهم".[2] كنّى عن الذكر الحسن والثناء الجميل باللّسان، لأنّ الثناء يكون باللسان.

ويصف سبحانه وتعالى حال أهل الجنّة فيقول: ﴿**لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا اِلَّا سَلَامًا**﴾ (**مريم62**). فنفي اللّغو عن المؤمنين في الجنّة كناية عن نفي سماعهم ما قد يؤذيهم، أو يسيئهم، وسيكون هذا جزاؤهم في الآخرة، مقابل ما صبروا عليه، وما سمعوه من التكذيب والإهانات والشتم من قبل المشركين في الدنيا.[3] فأهل الجنّة لا يسمعون فيها كلاما باطلا، وتحيّتهم فيها سلام. كناية عن جعل مجازاة المؤمنين في الجنّة بضد ما كانوا يلاقونه في الدّنيا من أذى المشركين ولغوهم، أو انتفاء أقلّ المكدرات في الجنّة.

[1]. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص120.

[2]. الزمخشري، الكشاف، ص639.

[3]. ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص137.

ويصف أرزاق أهل الجنّة قائلا: ﴿**وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾(**مريم62**). البكرة: النّصف الأوّل من النّهار، والعشي**:** النصف الأخير، والجمع بينهما كناية عن استغراق الزمن. أي لهم رزقهم غير محصور ولا مقدر بل كلّما شاءوا، فلذلك لم يذكر الليل.[1] أي رزقهم فيها من الطعام والشّراب دائما، كلّما شاءوا بكرة وعشيّا.

وذكر البكرة والعشي كناية عن تواصل هذا الرزق، واستمراريته على أهل الجنّة، وليس حصر أرزاقهم في هذين الوقتين المذكورين فقط، بل المراد" دوام الرزق كما تقول: أنا عند فلان صباحا ومساء، وبكرة وعشيا، تريد الدوام".[2]

ويقدم النّص القرآني مثالا آخر في قصّة سيّدنا إبراهيم مع قومه في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ**﴾(**الأنبياء65**). "نكسته: قلبته فجعلت أسفله أعلاه، وانتكس**:** انقلب، فهم قد قلبوا على رؤوسهم حقيقة ممّا بهتهم به ابراهيم فما أحاروا جوابا إلا ما هو حجّة عليهم، فتشير هذه الحركة إلى ما انتاب نفوسهم من خجل وانكسار عند لزوم الحجّة، فالحركة الكنائية تصوير لانتكاسهم النّفسي بعد أن أذعنوا، استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم، وجاءوا بالفكرة الصّالحة، ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة، فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة أو انتكسوا عن كونهم مجادلين لإبراهيم، مجادلين عنه حين نفوا عن أصنامهم القدرة على النطق".[3] فسرعان ما عاد إليهم عنادهم، انقلبوا إلى الباطل، واحتجّوا على إبراهيم، منتكسين يجادلون ويكابرون بتلك القوّة والشدة التي أوحت بها الكناية في صورتها الحركية القوية العنيفة.

وتجسّم المعاني فتصفها في صورة حسّية ملموسة تروق وتعجب القارئ بل وتبهره، تتّضح في أساليب كثيرة تصوّر المعنويات، لأنّ القارئ يرى ما كان يعجز عن رؤيته، فيتّضح له ما خفي

[1] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص138.

[2] . الرازي، التفسير الكبير، ج21، ص237.

[3] . ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص682.

عنه بجلاء ووضوح، وهذه مقدرة عظيمة في الكناية و مرتبة عالية من البلاغة والبيان، وخير دليل على ذلك قوله تعالى:﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ**﴾(**الفرقان27**).فعض اليدين هو فعل النادم، والله كنّى عن هذا الظالم ولم يصرّح باسمه" ليكون هذا العذاب غير مخصوص به ولا مقصور عليه، بل يتناول جميع من فعل مثل فعله".[1] أي يعضّ الظالم لنفسه على يديه ندما وتحسّرا.

والملاحظ أنّ هناك علاقة تلازم وارتباط بين معنى هذه الكناية الذي تدل عليه ظاهريا في حركتها المنفعلة" عض اليدين" وبين المعنى المكنّى عنه المراد وهو "ندم الظالم وتحسّره". قال الزمخشري:" عض الأنامل واليدين والسّقوط في اليد كنايات عن الغيظ والحسرة، لأنّها من روادفها، فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف، فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة، ويجد السّامع عنده في نفسه من الرّوعة والاستحسان ما لا يجد عند لفظ المكنّى عنه".[2]

وردت الكناية في سياق أنسب وأدق في تصوير الحالة النفسية التي يعيشها الظالم ،في مشهد من مشاهد يوم القيامة، في موقف مروّع عصيب، يعاين فيه عقابه ويستيقن بما كذب من قبل...فالتعبير عن حالته النّفسية وتجسيدها بكناية " عض اليدين" توحي بذلك الانفعال الشديد لشدّة ما يعانيه من الندم.

وقوله أيضا: ﴿**وَالذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنَ اَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ**﴾ (**الفرقان74**). وقرة العين من القر وهذا هو الأشهر، لأنّ دمع السرور بارد، ودمع الحزن سخن، فلهذا يقال:" أقرّ الله عينك وأسخن الله عين العدو. وقرة العين في الأزواج والذرية أن يراهم مطيعين لله تعالى".[3] إنّهم يسألون الله أن يهب لهم من أزواجهم وذرياتهم ما تقرّ به أعينهم، وفيه أنسهم وسرورهم.

[1] . الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج3، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ص134.
[2] . الزمخشري، الكشاف، ص744.
[3] . الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، ص142.

وجاء في تفسير الماوردي أنّ فيها وجهان:" أحدهما: أن تصادف ما يرضيهما فتقرّ على النظر إليه دون غيره. والثاني: أن القرّ البرد فيكون معناها برّد الله دمعها، لأنّ دمعة السّرور باردة، ودمعة الحزن حارة، وضد قرّة العين سخنة العين".[1] النّص القرآني كناية عن الفرحة والمسرّة.

ومن أمثلتها أيضا قوله تعالى: ﴿**فَظَلَّتَ اَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**﴾(**الشعراء03**). فالخضوع هو "تمثيل لحال المنقادين الخائفين الأذلّة، بحال الخاضعين الذين يتّقون أن تصيبهم مصيبة على رؤوسهم، فهم يطأطئون رؤوسهم وينحنون اتّقاء المصيبة النازلة بهم".[2] وقد أشار أبو عبيدة إلى هذه الكناية عند تعريفه للكناية بمعناها البلاغي الذي يفيد الستر ولا شيء غيره بمفهومه اللّغوي الصّرف فيقول" فالكناية في ضوء هذا المعنى هي ما ينوب عن المضمر، أي إضمار "الكفار" وظهور الضمير "هم" والتقدير" أعناق الكفار""[3]، فلو شاء الله لأنزل على المكذّبين معجزة مخوّفة لهم تلجئهم إلى الإيمان، فتصير أعناقهم خاضعة ذليلة. لأنّ الإيمان النافع هو الإيمان بالغيب اختيارا. ولما كان الضمير ساترا لكلمة الكفار أطلق عليه أبو عبيدة لفظ الكناية. فهي كناية عن الذّل والهوان الذي يلحقهم بعد العزّ والكبرياء.

ينهى النّص القرآني عن التكبّر بوصفه سلوكا خلقيا ذميما في قوله :﴿**وَلَا تُصَاعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الَارْضِ مَرَحًا**﴾(**لقمان17**).يقال صاعر وصعّر، إذا أمال عنقه إلى جانب ليعرض عن جانب آخر، وهو مشتق من الصَعَر لداء يصيب البعير فيلوي منه عنقه، وهو تمثيل للاحتقار لأنّ مصاعرة الخد هيئة المحتقر المستخف في غالب الأحوال.[4] ينهى سبحانه وتعالى عن

[1] . الماوردي، النكت والعيون، ج4، ص 161.

[2] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص96.

[3] . أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، مجاز القرآن، ج2، علق عليه: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص23.

[4] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج21، ص167.

إمالة الوجه عن النّاس أثناء الكلام، احتقارا لهم، واستكبارا عليهم، وعدم المشي بين النّاس بتبختر.

وقيل: "لا تحتقر النّاس، فالنهي عن الإعراض عنهم احتقارا لهم لا عن خصوص مصاعرة الخد فيشمل الاحتقار بالقول والشّتم وغير ذلك، وهو تمثيل كنائي عن النهي عن التكبّر والتفاخر".[1]

وقيل: "أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولّهم شقّ وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون".[2]

عمد القرآن بهذا التصوير الكنائي إلى هذا المرض ليصف به المتكبر المتعالي المعرض بوجهه عن الناس، فبدل أن يثير هذا المريض الرّهبة والخوف في نفوس الآخرين، يثير السّخرية والازدراء. كناية عن صفة التكبّر.

ويصف حال المجرمين وما يلاقونه من تقريع وإهانة جرّاء إنكارهم للبعث، وتكذيبهم للرسول عليه السّلام في مشهد من مشاهد القيامة قائلا : ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾(**السجدة12**). بيان حال هؤلاء الذين أنكروا البعث، وهم يخفضون رؤوسهم لله من الخزي والعار.

جسّد النّص القرآني الحالة النّفسية العصيبة الدالة على الذلّ والانكسار والندم، والخجل ممّا أجرموا، طالبين العودة إلى الأرض بعد فوات الأوان لإصلاح ما فات، وهذا الموقف النفسي للمجرمين يعظّمه المشهد ويعمّقه بحذف جواب "لو"، وذلك ليترك لخيال المتلقي تصوّره. قال الزمخشري:" لو الامتناعية قد حذف جوابها، وهو: لرأيت أمرا فظيعا. أو لرأيت أسوأ حال ترى،

[1]. ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج21، ص167.

[2]. الزمخشري، الكشاف، ص837.

فحذفه أبلغ من ذكره في وصف حال المجرمين في هذا الموقف العظيم عند ربّهم، لأنّ في ذكر الجواب تضييقا له وتحديدا".[1]موقف مروّع عصيب على المجرمين الذين كانت رؤوسهم شامخة في الدّنيا لا تسمع قول الحق، ولا تبصر طريق الهدى، فها هم منكّسة رؤوسهم ذلّا وانكسارا، وهم الآن فقط يسمعون ويبصرون في موقف العذاب والخزي والهوان. جاءت هذه الصورة الكنائية لتصوّر تلك الرؤوس مطأطأة خاضعة مطرقة، ولتدلّ على جزائهم من جنس عملهم.

ومن لطيف الكناية قوله سبحانه وتعالى: **﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾** (**سبأ49**). فالباطل ضدّ الحق، والمعنى" أنّه ذهب الباطل بمجيء الحق، فلم يبق منه بقية، وذلك أنّ الموجود الذي تكون له آثار إمّا أن تكون مستأنفة أو معادة، فإذا لم يكن له إبداء و لا إعادة فهو معدوم".[2] لامحالة من ذهاب الباطل، واضمحلال سلطانه، والنّص كناية عن زهوق الباطل واضمحلاله وزواله، ومحو أثره.

وقوله عزّ من قائل: **﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾**(**فاطر08**). أي: أفتتحسّر على من زُيِّن لهم سوء أعمالهم فرأوها حسنات، واختاروا لأنفسهم طريق الضلال، فإنّ الله أضلّهم باختيارهم، وهو قد تصرّف بمشيئته فأضلّهم وهدى غيرهم بإرادته سبحانه لا بأمره ورضاه الذي دعا به النّاس إلى سبل الرّشاد. فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وإنّما حسرتهم على أنفسهم، إذ رضوا لها باتّباع الشّيطان ونبذوا اتّباع الرشاد.[3] النّهي موجه إلى نفس النّبي صلّى الله عليه وسلّم أن تذهب حسرات على الضّالين، فتوجيه النّهي إلى نفسه عليه الصّلاة والسّلام دونه هو إشارة إلى أنّ الذهاب مستعار للتلف والانعدام.

[1] . ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص843.

[2] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج22، ص239.

[3] . المصدر نفسه، ص265.

يتجلّى لنا أنّ النّص القرآني كناية عن عدم إفلاتهم من العذاب على سوء عملهم، لأنّ حسرة نفس النّبي عليه الصّلاة والسّلام لم تكن لأجل تأخير عقابهم، ولكن لأجل عدم اهتدائهم.

ويقدّم النّص القرآني صورة حسية تُخرج المشركين في صورة غريبة قائلا: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ**﴾(**يس07**).هو مثل ضربه الله لهم في امتناعهم عن الهدى كامتناع المغلول من التصرّف، وقيل:" المراد به جعل الله سبحانه لهم في النار من الأغلال في أعناقهم، ويكون هاهنا الجعل بمعنى الأجرة، أي أجرتهم في النار الأغلال. وقيل أن ناسا من قريش ائتمروا بالنّبي عليه الصّلاة والسّلام فجاءوا يريدون ذلك، فجعلت أيديهم إلى أعناقهم فلم يستطيعوا أن يبسطوا إليه يدا".[1]

هذا التصوير الذي رسمته الآية صورة بالغة السّخرية والتهكّم بالمشركين، من خلال "تصويرهم مغلولين في أعناقهم بأطواق من حديد، تجعلهم لا يستطيعون أن يلتفتوا يمينا ولا يسارا، ولا يستطيعون أن يومئوا إلى أسفل، وإنّما تظلّ أعناقهم مرفوعة إلى أعلى، فهم في تصويرهم هذا ممنوعون عن النظر والرؤية للاهتداء بالدلائل والآيات بسبب تلك الحواجز والأغلال التي غشيت أبصارهم، وهذه العوائق الحسية تشير إلى الأغلال النّفسية والفكرية والعقلية التي كبّلوا به أنفسهم، فهم لا يهتدون".[2]

جعل الله هؤلاء الكفار الذين عُرض عليهم الحقّ فردّوه، وأصرّوا على الكفر وعدم الإيمان، كمن جُعِل في أعناقهم أغلال، فجُمِعت أيديهم مع أعناقهم تحت أذقانهم، فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السّماء، فهم لا يُبصرون الحقّ ولا يهتدون إليه.

[1] . ينظر: الماوردي، النكت والعيون، ج5، ص07.

[2] . أحمد فتحي رمضان الحياني، الكناية في القرآن الكريم، ص230.

وقد أشار الفراء إلى هذه الكناية بقوله:" فكنّى عن هي، وهي للأيمان ولم تُذكر، وذلك أنّ الغل لا يكون إلّا باليمين، والعنق جامعا لليمين والعنق، فيكفي ذكر أحدهما من صاحبه".[1] أي أنّ الأيمان مضمرة في الآية، وحلّت "هي" محلّها، فنابت أو كنّت عنها.

ويقول تعالى في سورة الزمر: ﴿**وَالَارْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتُ بِيَمِينِهِ**﴾(**الزمر 64**)."فالأرض مع سعتها وبسطتها في قبضة الرحمان يوم القيامة، والسّموات على سعتها وعظمتها مطويات بيمينه"[2]. فالآية كناية عن تصوير عظمة الله تعالى ومعرفة جلاله، ونفاذ قدرته، وتمثيل هذه الحالة بحال من يكون له قبضة تحوي الأرض جميعا، ويمينا تطوي السّموات بأسرها،" فالله يخلق فيها صفة الطي حتى تُرى كالكتاب المطوي بيمين الواحد منكم، لتكون أعلى وأفخم للمثل"[3]. النّص القرآني دليل على إثبات القبضة، واليمين، والطيّ، لله كما يليق بجلاله وعظمته.

وذكر عبد القاهر الجرجاني أن الناس يقولون للرجل إذا أرادو حثّه على الأمر وأن يأخذ فيه بالجد: "أخرج يدك اليمنى وذلك أنّها أشرف اليدين و أقواهما التي لا غناء للأخرى دونها، فلا عُني إنسان بشيء إلّا بدأ بيمينه فهيّأها لنيله، ومتى ما قصدوا جعل الشيء في جهة العناية جعلوه في اليد اليمنى".[4] وعلى هذا فاليمين ارتبطت دلالاتها بالخير والبركة والسعادة والقوة والعناية.

واستعمال اليمين للدلالة على القوة مجاز مرسل علاقته السببية، لأنّ اليمين سبب القوة، أو الآلية عند عدد من البيانيين على اعتبار أن اليمين آلة القوة.

---

[1] . أبو زكريا يحي بن زياد الفراء، معاني القرآن، ج2، عالم الكتب، ط3: 1983، بيروت، ص372.

[2] . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص87.

[3] . أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني النحوي، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ص359.

[4] . ينظر: المرجع نفسه، ص 361.

ويصوّر النّص القرآني شدّة الخوف والفزع بطريق الكناية في مشهد من مشاهد القيامة قائلا: ﴿**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ**﴾(**غافر17**). تكاد قلوبهم لشدّة الخوف والجزع تبلغ الحناجر،" وهي الحلق، مكان البلعوم. وكاظمين أي ممتلئين غمّا وحسرة شأن المكروب".[1] فقلوب العباد يوم القيامة ترتفع من الصّدور، فتتعلّق بالحلق، وهم ممتلئون غمّا وحزنا.

فشدّة الموقف وهوله يوم القيامة أعظم على النّفوس والقلوب، إذ نلحظ الظالمين في أول أهوال الآزفة قلوبهم لدى الحناجر، أي كاظمين على قلوبهم لدى الحناجر، أو قلوبهم كاظمة على غمّ وكرب فيها مع بلوغها الحناجر.[2]

وكأنّ القلوب تغادر مكانها فتحشر في الحناجر، وتكظم الأنفاس، وفي ذلك تصعيد للعذاب والغمّ والضيق، فليس لهم صديق يبثّون له، وينفّسون عن صدورهم بالبث ما تضيق به، وليس لهم من شفيع ذي كلمة مسموعة يسعى لهم في تفريج الكرب، ورفع الحرج، وهم هنالك بين الضيق والانفراد والإهمال.[3] هي إشارة للحالة النّفسية للظالمين، وما ينتابها من هلع وخوف من شدّة الموقف وهوله، والآية كناية عن الفزع والخوف.

وفي صورة أخرى لوصف حال الكافرين يقول الحق عزّ وجلّ: ﴿**خُشَّعًا اَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الاَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ**﴾(**القمر07**)."أي ذليلة أبصارهم لا يستطيعون رفعها من شدّة الهول، يخرجون من القبور كأنّهم في انتشارهم وسرعة إجابتهم للداعي، جراد منتشر في الآفاق، لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة".[4] أي يخرجون من القبور ذليلة أبصارهم، كأنّهم

[1] . محمد علي الصّابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص97.

[2] . ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص953.

[3] . ينظر: سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ص165.

[4] . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص 285.

في انتشارهم وسرعة سيرهم للحساب جراد منتشر في الآفاق، مسرعين إلى ما دُعوا إليه، يوم يقول الكافرون : هذا يوم صعب لعظم أهواله.

وجاء في التحرير والتنوير: خشعا أبصارهم: "أي ذليلة ينظرون من طرف خفي لا تثبت أحداقهم في وجوه الناس، وهي نظرة الخائف المفتضح".[1] وفي الكشاف:" خشوع الأبصار كناية عن الذلّة والانخزال، لأن ذلّة الذليل وعزّة العزيز تظهران في عيونهما".[2] فالذلّ والخضوع من شدّة الهول.

النّص القرآني يصوّر حال الكافرين عند بعثهم من قبورهم، وهم يغضون أبصارهم لا يرفعونها إلى شيء، وهي كناية عن ذلّهم وهوانهم. وما يزيد الصورة توضيحا وتقريبا إلى الأذهان الصورة التشبيهية، حيث شبّه خروجهم من القبور بالجراد المنتشر، وهم على كثرتهم وانتشارهم يستتر بعضهم ببعض من شدّة الخوف.

ويجسّد النّص القرآني الحالة النفسية للكافرين في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ يَّكَادُ الذِينَ كَفَرُوا لَيَزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ**﴾(**القلم51**)."عرّف الله رسوله بعض ما تنطوي عليه نفوس المشركين نحو النّبي عليه الصّلاة والسّلام من الحقد والغيظ، وإضمار الشّر عندما يسمعون القرآن، ولما كان الزلق يفضي إلى السّقوط غالبا أطلق الزلق وما يشتق منه على السّقوط على وجه الكناية، ومنه قوله هنا" ليزلقونك" أي يسقطونك ويصرعونك".[3] فهؤلاء الكفار حين سمعوا القرآن، كادوا يصيبون رسول الله عليه الصّلاة والسّلام بالعين، لبغضهم له، لولا حماية ربّه له.

[1] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص177.

[2] . الزمخشري، الكشاف، ص1065.

[3] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص 107.

وقيل:" لقد كاد الكفار من شدّة عداوتهم لك يا محمد أن يصرعوك ويهلكوك".[1]

جسّدت الكناية الحالة النّفسية للكافرين من خلال حركة عيونهم، بتحديق النظر بشدة، وهي حركة قبيحة تشير إلى تلك النّفوس الممتلئة عداوة وبغضاء وحقدا وحسدا.

ومن الكناية أيضا قوله تعالى: ﴿**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**﴾(**القلم16**). الوسم للإبل ونحوها، وذكر الخرطوم فيه جمع بين التشويه والإهانة، "فالوسم يقتضي التمكّن وكونه في الوجه إذلالا وإهانة، وكونه على الأنف أشدّ إذلالا، والتعبير عن الأنف بالخرطوم تشويه. والضرب والوسم ونحوهما على الأنف كناية عن قوة التمكّن وتمام الغلبة، وعجز صاحب الأنف عن المقاومة".[2] وقد غلب ذكر الأنف في التعبير عن إظهار العزّة في قولهم: شمخ بأنفه، وهو أشمّ الأنف, وعبّر عن ظهور الذلّة والاستكانة بكسر الأنف ووقوعه في التراب في قولهم: رغم أنفه.

وقيل وردت هذه الكناية السّاخرة "وصفا للوليد بن المغيرة، -وهو من ألدّ أعداء الإسلام- وما ابتلاه الله به في نفسه وماله وأهله من سوء وذلّ وصغار، بعدما بلغ من السيادة والمجد في قومه مرتبة لم يبلُغها شخص آخر".[3]

وجاء في تفسير الزمخشري: "أنّ الوجه أكرم موضع في الجسد، والأنف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له، ولذلك جعلوه مكان العزّة والحمية، واشتقوا منه الأنفة. وقالوا الأنف من الأنف، وحمى أنفه، وفلان شامخ العرنين. وقالوا في الذليل: رغم أنفه، فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة، لأنّ السّمة على الوجه شين وإذالة، فكيف بها على أكرم موضع منه. وقيل

[1] . ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص431.
[2] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص77.
[3] . المصدر نفسه، ج29، ص78.

معناه: سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوّهة يبين بها عن سائر الكفرة، كما عادى رسول الله عداوة بان بها عنهم".[1]

يريد النّص القرآني أن يجعل على أنفه علامة لازمة لا تفارقه عقوبة له، فمن يراه يعرف المهانة التي لحقت به، والعار الذي ألمّ بسمعته، بعد أن نال من مقومات اختياله وفخره بالمال والبنين، ومكانته ونسبه، وقد تحوّل إلى صورة أشبه بحيوان ذي خرطوم قد وُسم بعلامة بشعة تثير السّخرية منه. إذن فالوسم على الخرطوم كناية عن صفة المهانة والإذلال التي تلحقه، والوعيد الذي سيصيبه.

ويرد التعبير الكنائي عن كشف الساق في مشهد من مشاهد يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾(**القلم42**)."الكشف عن الساق مثل لشدّة الحال وصعوبة الخطب والهول، الذي يلقاه الكافرون يوم القيامة، وأصله أن المرء إذا هلع أن يسرع في المشي، ويشمّر ثيابه فيكشف عن ساقه، يوم تبلغ أحوال الناس منتهى الشدّة والروع".[2]

أراد الله بهذا التعبير المبالغة في حسابهم، وإهانتهم وعقوبتهم، "فالكناية تدل على أمر مبهم في الشدة، منكر خارج عن المألوف، كأنّه قيل: يوم يقع أمر فظيع هائل".[3]

وكان من عادة العرب أن يقولوا لكلّ من يجدّ في أمر ويبالغ فيه (كشف عن ساقه)، وأصل هذا التعبير "أنّ من يجد في عمل من الأعمال سواء أكان حربا أم غير حرب، فإنّه يشمّر عن ساقه حتّى لا يعوقه عن الجد وسرعة الحركة، كما نقول اليوم، فلان شمّر عن ساعد الجد، وإن كان لا يرتدي قميصا بأكمام، فعبّر في الكناية باللّازم وهو الكشف عن السّاق، وأراد ملزومه

[1] . ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص 1130.

[2] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص98.

[3] . الزمخشري، الكشاف، ص1132.

الجد والاهتمام بالأمر".[1] هي كناية عن شدّة الكرب والضيق، وصعوبة الخطب على هؤلاء المتكبرين يوم القيامة.

ومن الكنايات أيضا الكناية باللّون حيث يعدّ اللّون وسيلة هامة من وسائل التعبير والفهم، وقد دلّت الأبحاث والتجارب على أنه لا يزال كنزا مخبأ لم يستطع الإنسان الوصول إلى قراره" فهو قوّة موجبة تؤثر في جهازنا العصبي".[2]

إذ هناك نصوص قرآنية قد تشكلت فيها الكناية باللّون بنوعيه: الأول: ذكر اللّفظ الدال على اللون مباشرة في التعبير عن المعاني والمشاهد والمواقف النفسية المتنوعة، كالكناية باللون الأبيض، والأسود، والأزرق، والأخضر، والأصفر. وتتنوّع الصور الكنائية بهذه الألوان المباشرة في مشاهدها وإيحاءاتها تبعا للون المكنّى به عن المعنى من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ اَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ (**الزمر57**). الظاهر أن الاسوداد حقيقة، وقيل: "يحتمل أن يكون المراد بالسّواد ارتداد وجوههم، وغالب همّهم، وظاهر كآبتهم، فالكذب على الله وغيره مما يؤول بصاحبه إلى اسوداد وجهه".[3] أي جعل الله اسوداد الوجوه يوم القيامة علامة على سوء المصير، كما جعل بياضها علامة على حسن المصير.

ووصف هؤلاء الذين كذبوا على الله بنسبة الشريك له والولد بالمتكبرين فيه إيماء إلى أنّ عقابهم بتسويد وجوههم كان مناسبا لكبريائهم، لأنّ المتكبّر إذا كان سيء الوجه انكسرت كبرياؤه، فالكبرياء تضعف بمقدار شعور صاحبها بمعرفة الناس نقائصه.[4] فيوم القيامة ستكون

[1] . ينظر: أحمد فتحي رمضان الحياني، الكناية في القر آن الكريم، ص285.

[2] . أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2: 1997، ص148.

[3] . ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج7، ص419.

[4] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص51.

جهنّم مأوى ومسكن لهؤلاء المكذّبين المسودّة وجوههم، الذين تكبّروا على الله، ووصفوه بما لا يليق به، ونسبوا إليه الشريك والولد.

فتحوّل وجوه المشركين إلى خلق مشوّه يثير السّخرية على المعنى الحقيقي القريب للكناية، أمّا المعنى البعيد المكنّى عنه فهو تصوير للحالة النفسية التي هم فيها من حزن وكآبة، والكناية هنا باللون الأسود عن العذاب.

ويصوّر النّص القرآني في موضع آخر حال الذي بُشِّر بولادة بنت له بكناية اللون الأسود قائلا: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ (**النحل58**). فاسوداد الوجوه مستعمل في لون الوجه الكئيب إذ ترهقه غبرة، فشبّهت بالسّواد مبالغة.[1]

إنّ اسوداد الوجوه كناية عن العبوس والغم والنفرة التي لحقته بولادة الأنثى، قيل:" إذا قوِي الفرح انبسط روح القلب من داخله، ووصل إلى الأطراف ولا سيما إلى الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلّق الشديد، فترى الوجه مشرقا متلألئا، وإذا قوِي الغمّ انحصر الرّوح إلى باطن القلب، ولم يبق له أثر قوي في ظاهر الوجه، فيصفرّ الوجه ويسود".[2] أي كلّما بُشِّر أحدهم بولادة أنثى اسودّ وجهه، كراهية لما سمِع، وامتلأ غمّا وحزنا، وعليه فمن لوازم الفرح استنارة الوجه وإشراقه، ومن لوازم الغمّ والحزن اسوداده.

تكشف الكناية باللّون الأسود الحالة النّفسية للّذي بُشّر بالأنثى، بما فيها من سخرية لاذعة، وهي تصوّر هذا الشّخص مسود الوجه، بمجرد أن يُبشّر بولادة بنت له، لذلك كنّى عن الغمّ والحزن بالاسوداد.

[1]. ينظر، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج14، ص184.

[2]. أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج5، ص 488.

وقيل هي تعريض بالتهكّم بهم، إذ يعدّون البشارة مصيبة وذلك من تحريفهم الحقائق.[1]

ووردت الكناية باللّون الأزرق للتعبير عن حال المجرمين وماهم عليه من سوء الحال في مشهد من مشاهد يوم القيامة حيث يقول تعالى: ﴿**يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا**﴾(**طه 100**).أي يوم ينفخ إسرافيل في الصّور النفخة الثانية، ونحشر المجرمين إلى أرض المحشر زرق العيون، سود الوجوه.[2] "والزرقة: لون كلون السّماء إثر الغروب، وهو في جلد الإنسان قبيح المنظر، لأنّه يشبه لون ما أصابه حرق نار"[3]، والزرقة أبغض ألوان العيون إلى العرب لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون، وقيل: المعنى عميا لأنّ العين إذا ذهب نورها تلوّنت بزرقة.[4]

وجاء في لسان العرب:" إنّما معناه ازرقت أعينهم من شدّة العطش، وقيل: عميا يخرجون من قبورهم بصراء كما خلقوا أوّل مرة ويعمون في المحشر، وإنّما قيل" زرقا" لأن السّواد يزرق إذا ذهبت نواظرهم، ويقال: زرقا طامعين فيما لا ينالونه".[5] فيوم يُنفخ لصيحة البعث، يُساق الكافرون وهم زرق، تغيّرت ألوانهم وعيونهم، من شدّة الأحداث والأهوال.

تشير الكناية إلى أن أبغض لون و هو اللّون الأزرق ليس لذاته، وإنّما عندما يرتسم حول حدقات أعينهم، فيشوّه خلقتهم، وتكون صورتهم مغايرة لحقيقتهم ترمز إلى المعنى المكنّى عنه، وهو صفة سوء حالهم، وماهم فيه من كربة وخزي وهوان.

وترد الكناية باللّون الأخضر في سياق مثل قرآني في قوله تعالى: ﴿**الذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الَاخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ**﴾ (**يس 79**). "أي الذي جعل لكم بقدرته من

[1] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج14، ص184.
[2] . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2، ص 247.
[3] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص304.
[4] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ص 258.
[5] . ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص139.

الشجر الأخضر نارا تحرق الشجر، لا يمتنع عليه فعل ما أراد، ولا يعجزه إحياء العظام البالية، وإعادتها خلقا جديدا".[1]

جاءت الكناية في سياق إنكار البعث بعد الموت، والمعنى القريب للكناية كما يقول أبو حيان:" ذكره تعالى لهم ما هو أغرب من خلق الإنسان من النطفة، وهو إبراز الشيء من ضدّه، وذلك أبدع شيء، وهو اقتداح النار من الشيء الأخضر، ألا ترى الماء يطفئ النار ومع ذلك خرجت ممّا هو مشتمل على الماء".[2] فالذي أخرج لهم من الشّجر الأخضر الرّطب نارا مُحرقة، فإذا هم منه يوقدون النّار، قادر على إخراج الضدّ من الضد. وفي ذلك دليل على وحدانية الله وكمال قدرته، ومن ذلك إخراج الموتى من قبورهم أحياء.

والأخضر: "هو لون الرزق والخصب في اللّغة العربية، حيث يبعث على التفاؤل والجمال المستمدّ من جمال الطبيعة، وبالشّباب الذي توحي به خضرة النبات الغضّ الرّطب"،[3] وهو لون النعيم في الآخرة، كما أنّه لون الغضاضة وعدم النضج. وهو من الألوان المحبوبة ذات الإيحاءات المبهجة كاللون الأبيض. "ويبدو أنّه استمد معانيه المحبوبة من ارتباط بأشياء مبهجة في الطبيعة كالنبات وبعض الأحجار الكريمة كالزمرد".[4]

فالتعبير الكنائي قائم على التضاد في المعنى، والتضاد من شأنه أن يُظهر المعنى المكنى عنه في أعمق صورة، لأنّ الماء يطفئ النار فتخرج ممّا هو مشتمل على النقيض، وهي صورة تشير إلى المعنى البعيد المكنى عنه وهو إخراج الحياة من الموت.

[1]. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص25. والطبري، جامع البيان، ج19، ص 480.
[2]. أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج7، ص 333.
[3]. أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص210.
[4]. المرجع نفسه، ص79.

وتشير الكناية باللون الأصفر إلى الموت والفناء بعد الحياة، فنجدها في سياق عالم النبات أيضا في تقلّبه السّريع بين الحياة والموت كقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا**﴾ (**الزمر 20**). أي زالت خضرته ونضارته[1]. وقيل ييبس فتراه بعد خضرته مصفرا.[2]

فمعناها القريب " الموت" المرتبط بالزرع في كل هيئاته وأشكاله وألوانه بعد تحوّله من ذروة الحياة في تشكيلها الجمالي في ألوانه وخضرته ونضارته، إلى الموت في تيبّسه وجفافه وزواله.

أمّا المعنى البعيد فقد أشار إليه عدد من المفسرين، قال ابن كثير:" هكذا تكون الدنيا خضرة ناضرة حسناء، ثمّ تعود عجوز شوهاء، والشاب يعود شيخا هرما، كبيرا ضعيفا، وبعد ذلك كلّه الموت".[3] أي بعد نضارته وشبابه يكتهل فتراه مصفرا حتى خالطه اليبس.

وقال الصّابوني: "تمثيل لحياة الإنسان بالحياة الدّنيا، فمهما طال عمر الإنسان فلا بدّ من الانتهاء إلى أن يصير مصفر اللّون، متحطّم الأعضاء، متكسّرا كالزرع بعد نضارته، ثمّ يكون عاقبته الموت".[4] فهذا التحوّل من حال الخضرة والنضارة إلى حال الاصفرار الذي مآله الزوال، هو تصوير لطور التحوّل ومرحلة الذبول والاصفرار.

وجاء في التحرير والتنوير:" هو تمثيل لأطوار الإنسان من طور النطف إلى الشباب إلى الشيخوخة ثم الهلاك والمقصود تشبيه الحالة بالحالة".[5] إنّه تذكير عظيم لأصحاب العقول الخالصة،

[1] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج7، ص405.
[2] . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص76.
[3] . ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط7، 1981، مج3، ص217.
[4] . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص76.
[5] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص379.

وتنبيها لهم على حقيقة الحال، ليتذكروا بذلك حال الدّنيا وسرعة تقضيها، فلا يغترون ببهجتها ولا يفتنون بفتنها.[1]

فالحياة الدّنيا كالزرع في تقلّبه وتحوّله من الحياة إلى الموت، والإنسان يشاهد هذا التقلّب، فلا يغترّ بها ولا ينسى نفسه وهو يقطع رحلته بين الحياة والموت، وذلك لأنّه يخرج من رحم أمّه، لكن ما يلبث بعد رحلة تطول أو تقصر، أن يذبل وييبس ويغيب ثانية في قلب التراب.

2- كناية عن موصوف:

"وهي الكناية التي يستلزم لفظها ذاتا أو مفهوما، ويُكنّى فيها عن الذات كالرجل والمرأة والقوم والوطن والقلب واليد...".[2] أو "هي أن يصرح بالصفة وبالنسبة ولا يصرح بالموصوف المطلوب بالنسبة إليه، ولكن يذكر مكانه صفة أو أوصاف تختص به".[3]

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿**اَوَ مَنْ يَّنْشَؤُاْ فِي الحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾ (**الزخرف17**).الظاهر أنّه أراد النساء، "فالحلي لا يليق إلّا بالإناث للزينة، وفي ذلك إشارة إلى أن الرجل لا يناسب له التزيّن كالمرأة".[4]والخصام ظاهره المجادلة والمنازعة بالكلام والمحاجة، والمعنى "أن المرأة لا تقدر على إبانة حجتها".[5]والنشء في الحلية كناية عن الضعف عن مزاولة الصعاب.

[1] . ينظر: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن والسّبع المثاني، ج23، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ص256.

[2] . محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم البلاغة(البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس . لبنان،ط1، 2003، ص245.

[3] . أبو منصور الثعالبي، الكناية والتعريض، ص31.

[4] . ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج8، ص10.

[5] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص181.

النّص القرآني كناية عن موصوف هو النّساء، لأنّهنّ ينشأن في الحلية، ولا شأن لهنّ بالأمور العويصة وحل المشكلات، أو النظر في المعاني الدقيقة، والقدرة على مواجهة الصّعاب، بل همّهنّ التجمّل وإبداء الزينة، والولع بكل ما هو لافت وجاذب للأنظار.

ويُشبّه الحقّ تبارك وتعالى نساء الجنّة بالبيض قائلا: ﴿**وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ*كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ**﴾ (**الصافات48-49**).أي حابسات أنظارهنّ حياء، لا يمتد طرفهن إلى أجنبي. وقديما شبّهوا الحسان ببيض النّعام، وفي هذه الآية شبههنّ ببيض النعام المكنون في عشّه، وهو الأدحية، ولونها بياض به صفرة حسنة، وبها تشبّه النّساء، فقال مضيئات الخدود.[1]

كنّى عن حور العين بالبيض المصون الذي لم تمسسه الأيدي، لأنّهنّ عفيفات، حِسان الأعين، لا ينظرن إلى غير أزواجهن.

ويقول الحق جلّ وعلا في قصّة سيّدنا نوح عليه السّلام عندما كذّبه قومه ورفضوا دعوته: ﴿**وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ**﴾ (**القمر13**)."فالدسر جمع دسار وهو المسمار، وهي صفة السفينة أُقيمت مقام الموصوف هنا عوضا أن يقال: وحملناه على الفلك، لأنّ في هذه الصفة بيان متانة هذه السّفينة وإحكام صنعها. وفي ذلك إظهار لعناية الله بنجاة نوح ومن معه، فإنّ الله أمره بصنع السفينة وأوحى إليه كيفية صنعها، ولم تكن تُعرف سفينة قبلها".[2] فالله تعالى حمل نوحا ومن معه على سفينة ذات ألواح ومسامير شُدّت بها، بمرأى منه وحفظ، وأغرق الكفار انتصارا لنوح عليه السّلام، وجزاء لهم على كفرهم.

[1] . ينظر:أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج7، ص344. والزمخشري، الكشاف، ص905-906. والطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص115.

[2] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص184. وأبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج8، ص176.

وقد لاحظ محمد أبو موسى معنى آخر مضادّا لهذا المعنى بقوله:" الكناية عن السّفينة بذات الألواح والدّسر ليس بيانا لمكانتها وقوّتها وأنّها يأمن من فيها، وإنّما هو تهوين لها، وأنّها لا تحفظ أحدا، وإنّما كان الحفظ بعناية الله وحدها، وكأنّهم في وسط هذا الموج الهادر الذي ابتلع الحياة والأحياء آمنون وهم على ألواح لا تغني عنهم من الأمر شيئا، لأن عناية الله كانت هي التي تحفظ، وفي هذا تكريم لهؤلاء الذين آمنوا، وأنّهم لم ينجوا بسفينة ناجية، وإنّما على سطوح ألواح هيّنة".[1]

النّص القرآني كناية عن موصوف أراد بها السفينة" وهي من الصّفات التي تقوم مقام الموصوف، فتنوب منابها، وتؤدي معناها بحيث لا تجد فرقا بين ما يدلّ عليه الوصف وما يحمله الموصوف من معنى، ومن أجل ذلك لا يجوز هنا الجمع بين الموصوف وصفته، أي بين السّفينة وبين هذه الصفة، وهذا من فصيح الكلام وبديعه".[2] فالألواح والدسر كناية عنها، وعادة البلغاء إذا احتاجوا لذكر صفة بشيء، وكان ذكرها دالاّ على موصوفها أن يستغنوا عن ذكر الموصوف إيجازا.

وقوله:﴿**فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ**﴾ (**القلم48**).أي تثبيته وحثّه على المصابرة واستمراره على الهدى، وتعريفه بأنّ ذلك التثبيت يرفع درجته في مقام الرسالة ليكون من أولي العزم. فذكّره بمثل يونس عليه السّلام الذي نادى ربّه وهو في بطن الحوت لإنقاذه من كربه الذي وقع فيه بسبب مغاضبته وضجره من قومه. لأنّه استعجل عن أمر ربّه، فأدّبه الله ثم اجتباه وتاب عليه، وجعله من الصّالحين تذكيرا مرادا به التحذير.[3]

[1]. محمد أبو موسى، التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، مكتبة وهبة، ط3، 1993، القاهرة، ص418.

[2]. الزمخشري، الكشاف، ص1067.

[3]. ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص104.

يأمر الله تعالى نبيّه عليه السّلام بالصّبر لحكمه وقضائه ،ويحذّره من الوقوع في كرب من قبيل كرب يونس عليه السّلام في غضبه، وعدم صبره على قومه، حين نادى ربّه بتعجيل العذاب لهم، يقول الزمخشري" لا يوجد منك ما وُجد من يونس عليه السّلام من الضجر والمغاضبة فتُبتلى ببلائه".[1]بل تذرّع بالصّبر حتّى يقضي الله أمرا كان مفعولا. إذن صاحب الحوت كناية عن موصوف هو يونس عليه السّلام.

ومن الكناية عن الموصوف أيضا قوله تعالى: ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾ (**المدثر04**).النّص القرآني خطاب للنّبي عليه الصّلاة والسّلام، والمعنى القريب "هو أنّ الله أمر نبيّه بأن تكون ثيابه طاهرة من النّجاسات، لأنّ طهارة الثياب شرط في الصّلاة لا تصحّ إلّا بها".[2]

والمؤمن طيّب طاهر، لا يليق منه أن يحمل الخبيث،" وقد كان المشركون لا يتطهرون، فأمره الله أن يتطهر وأن يطهّر ثيابه".[3]

أمّا المعنى البعيد المكنّى عنه فهو " القلب" أي كنّى عن الثياب بالقلب، والمعنى "وقلبك فطهّر من الإثم والمعاصي".[4] يقال: فلان طاهر الثوب وطاهر الجيب إذا وصفوه بالنقاء، وذلك لأنّ الثوب يلابس الإنسان ويشتمل عليه، فكُنيّ به عنه،" ألا ترى إلى قولهم: أعجبني زيد ثوبه، كما يقولون: أعجبني زيد عقله وخلقه، ويقولون المجد في ثوبه، والكرم تحت حلّته، يكنّون عن نسبة المجد والكرم إليه، ولأنّ الغالب أن من طهّر باطنه ونقّاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته، وأبى إلّا اجتناب الخبث، وإيثار الطهر في كل شيء".[5] فلمّا كان الثوب كالشيء الملازم للإنسان جعلوه

[1] . الزمخشري، الكشاف، ص 1134.

[2] . المصدر نفسه، ص1154.

[3] . ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص474.

[4] . ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج30، ص192.

[5] . الزمخشري، الكشاف، ص1154.

كناية على سبيل المجاورة، وكناية المجاورة كما عرّفها البلاغيون" أن يريد المتكلم ذكر الشيء، فيترك ذكره جانبا إلى ما جاوره، فيقتصر عليه بدلالته على المعنى المقصود".[1] بمعنى طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن.

وقد عرض ابن قتيبة لهذه الكناية بقوله" معنى الآية طهّر نفسك من الذنوب، فكنّى عن الجسم بالثياب، لأنّها تشتمل عليه"[2]، أراد بالثياب القلب أو الجسد، وللثياب إطلاق صريح وهو ما يلبسه اللّابس، وإطلاق كنائي فيُكنّى بالثياب عن ذات صاحبها.

وممّا يتّصل بيوم القيامة من مشاهد مشهد" أصحاب اليمين" في قوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ* اِلَّآ أَصْحَابَ الْيَمِينِ*فِي جَنَّاتٍ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ*مَاسَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ**﴾ (**المدثر 38-41**)."أي أنّ كلّ نفس محبوسة بعملها، مرهونة عند الله بكسبه ولا تفك حتّى تؤدي ما عليها من الحقوق والعقوبات إلّا فريق السّعداء المؤمنين، فإنّهم فكّوا رقابهم وخلّصوها من السّجن والعذاب بالإيمان وطاعة الرحمان، وهم في جنات وبساتين لا يدرك وصفها، يسأل بعضهم بعضا عن حال المجرمين الذين في النار، وسؤالهم ما الذي أدخلهم جهنّم لزيادة تبكيت أولئك المجرمين وتوبيخهم وتحقيرهم، وإدخال الألم والحسرة على نفوسهم".[3]

يذكر النّص القرآني " أصحاب اليمين" للدلالة على المؤمنين المخلصين الذين فكّوا رقابهم من العذاب بالطّاعة، فهم أهل الثواب والنعيم، وأصحاب المنزلة الحسنة، والمكانة المرموقة. وهو المعنى الذي يُفهم من وراء لفظ الكناية.

[1] . ينظر: ابن الأثير، المثل السائر، ج3، ص58.

[2] . أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، علّق عليه ووضع حواشيه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2007، ص106.

[3] . ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص480.

ونجد في المقابل مشهد آخر وهو ضد المشهد الأول" أصحاب الشّمال" في قوله تعالى: ﴿**وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ*مَآ أَصْحَابُ الشِّمَالِ*فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ*وَظِلٍّ مِّنْ يَّحْمُومٍ*لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ**﴾(**الواقعة 43-47**). وهم أهل النار والشّقاوة قال فيهم الزمخشري عدّة أقوال:" الذين يؤتون صحائفهم بشمالهم، أصحاب المنزلة الدنيا، وقيل أصحاب الشمال أشقياء مشائيم على أنفسهم بمعصيتهم، وهم الموجهون في النار ذات الشمال".[1]

فهم في ريح حارة من حرّ نار جهنّم تأخذ بأنفاسهم، وماء شديد الحرارة، و ظل من دخان شديد السّواد، وهذا الظلّ ليس ببارد يستروح به الإنسان من شدّة الحر، وليس بحسن المنظر يُسرّ به من يستفيء بظلّه، فهم استحقّوا ذلك لأنهم كانوا في الدّنيا منعّمين، مقبلين على الشّهوات والملذات، مصرّين على الشّرك بالله.[2]

يتبيّن أنّ النّص القرآني كناية عن موصوف هم "الكفار" المعذّبون في نار جهنّم ،أهل الشّؤم والعذاب الذين يأخذون نتيجة الحساب كتابا بشمائلهم، فيجدون العذاب والعقاب، وتكون منزلتهم دنيا.

وقيل فيهم في موضع آخر: ﴿**وَالذِينَ كَفَرُوا بِئَايَاتِنَا هُمُ أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ**﴾(**البلد19**). فأصحاب المشئمة: هم أصحاب الشمال والشؤم. أي": المشائيم على أنفسهم".[3]

قرن الحق تبارك وتعالى بين الأبرار والفجار على طريقة القرآن في الترغيب والترهيب، لبيان المفارقة الهائلة بين أهل الجنّة كما رأينا سابقا، وأهل النّار الذين جحدوا نبوّة محمد صلّى الله عليه وسلّم وكذّبوا بالقرآن، هم أصحاب الشمال،" وعبّر عنهم بضمير الغائب إشارة إلى أنّهم غائبون

[1] . ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص1075.

[2] . ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص310.

[3] . ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص1204.

عن قدسه، وكرامة أنسه، عليهم نار مطبقة مغلقة".[1] وهي كناية "مبنية على عرف العرب يومئذ في مجالسهم، ولا ميمنة ولا مشأمة على الحقيقة، لأن حقيقة الميمنة والمشأمة تقتضيان حيّزا لمن تنسب إليه الجهة"[2]. أي كناية عن خلودهم في النار.

ومن الكنايات أيضا ما يستخدمه القرآن من ألفاظ كنائية متعددة في التعبير عن يوم القيامة، حيث أنّ كلّ لفظ يبرز صفة من صفات ذلك اليوم العظيم وأهواله، هي كنايات تصوّر شدّة ذلك اليوم وكربه على الكافرين في مشاهد يوم القيامة نجملها فيما يلي:

قوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾(**النجم56**). عدل القرآن الكريم عن التصريح بلفظ القيامة إلى لفظ الكناية" الازفة"، "وذلك تعظيما لشأنها وتفخيما من خلال إثبات المعنى الذي تحمله "الازفة" ليوم القيامة،" أي دنت السّاعة واقتربت القيامة، وقيل سميت آزفة لدنوها وقرب قيامها."[3] كناية عن يوم القيامة.

إذ تصور الكناية "القيامة" وكأنّها قد أزفت بالعذاب والهلاك، والتعبير عنها بالماضي يدل على تحققها وكأنّه قد فُزع منها. "فالسياق يبرز إيحاء قربها وسرعة وقوعها، لأنّه تحذير وإنذار من العذاب والهلاك الذي حلّ بالأقوام الغابرة: قوم نوح وعاد وثمود ولوط، فناسب السياق أن يكون الإنذار بلفظ الآزفة الدالّة على الإنذار الشديد بقرب وقوعها".[4] فهذا المعنى الذي تحمله من شأنه إحداث الأثر النفسي، المتمثل في تخويف المتلقي وترهيبه من شأنها.

[1]. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص563.
[2]. الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص363.
[3]. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص280.
[4]. ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص159.

ومنها قوله: ﴿**إِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ*لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ**﴾(**الواقعة01-02**). وجاءت كذلك في قوله: ﴿**فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ**﴾(**الحاقة14**).عدل عن التصريح بلفظ" القيامة" إلى الكناية عنه بلفظ "الواقعة"، "ووصفت بالوقوع لأنّها تقع لا محالة".[1] وقيل: الواقعة: "من أسماء القيامة كالصّاخة والطامة والآزفة، وهذه الأسماء تقتضي عظم شأنها، وقيل: الصيحة وهي النفخة في الصور".[2] وقيل سميت بها لكثرة ما يقع فيها من الشدة أو لشدة وقعها.

والواقعة أصلها الحادثة أو الكائنة أو الساعة، والمراد هنا القيامة، فجعل هذا الوصف علما لها بالغلبة في اصطلاح القرآن. والمعنى: "إذا وقعت القيامة تحقق منكروها من ذلك، فأقلعوا عن اعتقادهم أنّها لا تقع، وعلموا أنّهم ضلّوا في استدلالهم، وهذا وعيد بتحذير المنكرين للقيامة من خزي الخيبة، وسفاهة الرأي بين أهل الحشر".[3] وقيل:" إذا قامت القيامة التي لا بدّ من وقوعها، وحدثت الداهية الطامة التي ينخلع لها قلب الإنسان، كان من الأهوال ما لا يصفه الخيال".[4] أي يوم تقوم السّاعة ترفع أولياء الله في الجنّة، وتخفض أعداءه في النّار. فالواقعة إذن كناية عن يوم القيامة.

ونذكر من صفات يوم القيامة أيضا قوله: ﴿**الْحَآقَّةُ مَاالْحَآقَّةُ* وَمَآأَدْرَاكَ مَاالْحَآقَّةُ* كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادُ بِالْقَارِعَةِ**﴾ (**الحاقة01-03**). الحاقة : من حقّ الشيء، إذا ثبت وقوعه. ويجوز أن يكون المراد منها لقبا ليوم القيامة، فالحاقة إذن بمعنى الحق. ويجوز أن تكون وصفا لموصوف محذوف تقديره: "الساعة الحاقة"، أو "الواقعة الحاقة"، فيكون تهديدا بيوم أو وقعة يكون

[1] . الزمخشري، الكشاف، ص 1074.

[2] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج8، ص203.

[3] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص ص281-282.

[4] . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص306.

فيها عقاب شديد للمعرّض بهم، وذلك حق لا ريب في وقوعه، وقد تكون وصفا لكلمة الله التي حقّت على المشركين من أهل مكّة، ويجوز أن تكون مصدرا بمعنى الحق.[1]

والحاقة: الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها، أو التي فيها حواق الأمور من الحساب والثواب والعقاب.[2]. وقيل المراد بها القيامة والبعث، وسُميت بذلك لتحقق وقوعها، فهي حق قاطع، وأمر واقع لا شكّ فيه ولا جدال، والتكرار لتفخيم شأنها، وتعظيم أمرها.[3] فالقيامة الواقعة حقّا هي التي يتحقّق فيها الوعد والوعيد.

تجاور الكنايتين" الحاقة" و"القارعة" في وصف شدّة القيامة وتهويلها، وتفخيم شأنها في حس المتلقي وكيانه، من شأنه إحداث الأثر النفسي الذي يقصده في تحقيق أهدافه.

ومن صفاتها أيضا قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ* تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ* قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ**﴾(**النازعات06-08**). الراجفة: الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال، وهي النفخة الأولى وصفت بما يحدث بحدوثها. والرادفة: الواقعة التي تردف الأولى، وهي النفخة الثانية، ويجوز أن تكون الرادفة القيامة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها، وهي رادفة لهم لاقترابها. وقيل: الراجفة: الأرض والجبال، والرادفة: السماء والكواكب لأنّها تنشق، وتنتثر كواكبها على أثر ذلك.[4]

والرجف: الفزع الشديد والاضطراب، "فالأرض مرجوفة لا راجفة، وأنّ التابعة مُردفة لا رادفة، فالأرض يوم القيامة ترجف بحركة تلقائية ذاتية، فهي مرجوفة راجفة. والردف في العربية: الاتّباع، والرادفة فيه تابعة، والأصل أن يكون التابع مردفا لا رادفا، والعدول عنه بيان للتسخير

[1] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص ص111-112.
[2] . الزمخشري، الكشاف، ص1134.
[3] . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص334.
[4] . ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص1175.

والطواعية، والتلقائية التي يقع فيها الحَدث على المحدَث، فكأنّه هو".[1] بمعنى بعث الخلائق للحساب، يوم تضطرب الأرض بالنّفخة الأولى نفخة الإماتة، تتبعها نفخة أخرى للإحياء، يومئذ تضطرب قلوب الكفار من شدّة الخوف، وهول ما ترى.

ووصف القيامة بالراجفة دلالة لما يحدث بوقوعها من رجفان الأرض واضطرابها وزلزلتها، تتبعها رادفة لها من جنسها، وهو مظهر ينبئ عن شدّة ذلك اليوم العظيم الذي يباغت فيه الناس بالراجفة.

ويعبر بلفظ" الطامّة" عن يوم القيامة في آية أخرى من هاته السّورة فيقول:﴿**فَإِذَا جَآءَتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرَى**﴾ (**النازعات34**). فالطامّة: الداهية التي تطمّ بدواهيها على الدواهي فتعم وتعلو وتغلب[2]. وقيل: هي النفخة الثانية، وقيل السّاعة التي يساق فيه أهل الجنّة إلى الجنّة، وأهل النّار إلى النار[3]. وسميت القيامة بالطامّة لأنّها تطمّ على كلّ أمر هائل مفظع، وفي ذلك اليوم يتذكر الإنسان ما عمله من خير أو شر، ويراه مدوّنا في صحيفة أعماله.[4] كناية عن يوم القيامة، فيوم القيامة يُذكّر الإنسان فيتذكر، أي يُعرض عليه عمله فيعترف به، إذ ليس المقصود من التذكر إلّا أثره، وهو الجزاء، فكُني بالتذكر عن الجزاء.

وصيغة الكناية تدلّ على العموم والشّمول والشّدة والمبالغة،" كما أنّ الطامة لفظة مصوّرة بجرسها لمعناها، فهي تطم وتربي وتطغى على كلّ شيء في الكون والوجود، إنها تطمّ على السّماء المبنية والأرض المدحوة، والجبال المرساة، واللّيل المغطش، والضحى المخرج...إنّها تطمّ على هذا

[1]. عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، ط7، د.ت، ص ص131-132.

[2] أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج8، ص415.

[3]. الزمخشري، الكشاف، ص1178.

[4]. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص516.

كله، وليغطي مشهدها على تلك المشاهد جميعا"[1]. حتّى إذا جاءت القيامة الكبرى، وهي النّفخة الثانية، يتذكّر الإنسان كلّ ما عمله من خير أو شرّ ويعترف به.

ومن صفاتها أيضا" الصّاخة" في قوله: ﴿**فَإِذَا جَآءَتِ الصَّآخَةُ**﴾ (**عبس33**).الصّاخة صيحة شديدة من صيحات الإنسان تصخّ الأسماع أي تصمّها،" فالصاخة صارت في القرآن علما بالغلبة على حادثة يوم القيامة، وتحصل صيحات منها: أصوات تزلزل الأرض، واصطدام بعض الكواكب بالأرض مثلا، ونفخة الصّور التي تبعث عندها النّاس.[2] وصخّ لحديثه مثل أصاخ له، فوصفت النّفخة بالصّاخة مجازا لأن النّاس يصخون لها.[3] أي تصمّ من هولها الأسماع.

وجاء في تفسير البحر المحيط:" أن الصاخة من أسماء القيامة، يصمّ نبأها الآذان، وقيل: الصاخة هي التي تورث الصمم عن الدنيا، و تُسمع أمور الآخرة، وهذا من بديع الفصاحة".[4]

الجليّ هنا أن الكناية توحي بالعنف في أهوالها، ما يجعل الفزع النفسي شديدا على الناس، بحيث تصمّ آذان الناس بدواهيها، وتقطع الروابط بين أقرب الناس صلة.

ويعبّر النّص القرآني بالغاشية في قوله: ﴿**هَلَ اَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**﴾(**الغاشية01**).الغاشية من الغشيان، وهي صفة أُريد بها حادثة القيامة، وسُميت غاشية على وجه الاستعارة، لأنّها إذا حصلت لم يجد الناس مفرا من أهوالها، فكأنّها غاش يغشى على عقولهم، ويُطلق الغشيان على غيبوبة العقل، فيجوز أن يكون وصف الغاشية مشتقا منه، ففُهم من هذا أنّ الغاشية صفة لمحذوف يدل عليه السياق.[5] أي خبر القيامة التي تغشى النّاس بأهوالها.

[1]. ينظر: سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن الكريم، دار الشروق، بيروت، ط7، 1983، ص223.

[2]. ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص135.

[3]. الزمخشري، الكشاف، ص1181.

[4]. ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج8، ص 421.

[5]. ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص294.

وقد عدل القرآن عن التصريح بلفظ "القيامة" إلى "الغاشية" إثباتا لهذا النوع من عذاب يوم القيامة على سبيل التخصيص قال الزمخشري:" الغاشية: الداهية التي تغشى الناس بشدائدها، وتلبسهم أهوالها".[1]وتعم الخلق بأفزاعها، فهي تجللهم الإحاطة من كل جانب، وقد تكون هي النار التي تغشى وجوه الكفار.[2] يعني القيامة. فالاستفهام فائدته تحريك نفس السّامع ولفت انتباهه إلى تلقي خبرها، وفي ذلك تعظيم لشأنها وتفخيم له.

والجواب عن الاستفهام يعرضه السياق مفصلا، فنلاحظ من جانب كيف يرتسم عذاب الغاشية على وجوه الكافرين في الآيات: (03-07)، بوصفها وجوها خاضعة ذلّا وإرهاقا، بالغة الحرارة لا تبرد ولا تروي، تطعم من شوك ترعاه الإبل إذا كان رطبا، فيجتمع على تلك الوجوه عذاب الروح بالذلّ والخزي، فضلا عن عذاب البدن.[3]

ويرتسم نعيم المؤمنين على وجوههم من جانب آخر في يوم الغاشية في الآيات:(08-16)، "فوجوههم ناعمة، راضية عن مسعاها، في جنّة عالية هادئة، فيها عين جارية روية عذبة، ولهم الراحة في السرر المرفوعة، والأكواب المهيّأة للشراب، بل الرفاهية في الوسائد المصفوفة، والبسط المفروشة".[4] فإبراز نعيم المؤمنين الذي يخالط وجوههم في يوم القيامة العظيم بأفزاعه التي تلابس الكافرين بعذابها له قيمته الخاصة.وهنا يتجلّى تكريم الله عزّ وجل لعباده المؤمنين بنجاتهم وفوزهم من العذاب الذي يغشى كل شيء.

[1] . الزمخشري، الكشاف، ص1197.

[2] . ينظر: محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، ، ط1: 2000، بيروت . لبنان ، ص176.

[3] . ينظر: سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص 186.

[4] . ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ونذكر أيضا من بين صفات يوم القيامة "القارعة" في قوله: ﴿الْقَارِعَةُ مَاالْقَارِعَةُ﴾ (القارعة 01).

القارعة: القيامة، لأنّها تقرع القلوب بهولها، وقيل:" صيحة النفخة في الصّور، لأنّها تقرع الأسماع وضمنه القلوب، وقيل: هي النار ذات التغيّظ والزفير".[1] وقيل: القارعة:" الحدث العظيم تقول العرب: قرعت القوم قارعة إذا نزل بهم أمر فظيع، وهنا مراد بها حادثة عظيمة وهي الحشر، وقيل: أُريد بها صيحة النفخة في الصور، وقيل: القارعة النار ذات الزفير، وكأنّه يريد اسم جهنّم".[2]

إنّها في الفخامة والفظاعة بحيث لا يدركها خيال، ولا يبلغها وهم إنسان، فهي أعظم من أن توصف أو تصوّر.

فالسّاعة لا تقرع القلوب فحسب، بل تؤثر في الأجرام العظيمة،" فتؤثر في السّموات بالانشقاق، وفي الأرض بالزلزلة، وفي الجبال بالدك والنسف، وفي الكواكب بالانتثار، وفي الشمس والقمر بالتكوير و الانكدار إلى غير ذلك"[3]. أي أنّها تقرع قلوب النّاس جميعا، وتقرع الكون بأكمله بالدمار والتحطيم. ومن شأن هذه الكناية عن القيامة بأهوالها العظيمة أن تُحدث استجابة نفسية يثيرها القرآن الكريم في نفس المتلقي لتحقيق أهدافه.

إنّها حقيقة يوم القيامة برحلتها الطويلة في الشدائد، والنوازل، والقوارع، والوقائع، لتصوّر عن كثب شدة غليانها وهيجانها، وما تثيره من فزع وهلع وخوف في قلوب العباد، وخاصة أعداء الله.

[1] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج8، ص503.
[2] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص510.
[3] . ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص595.

3 – كناية عن نسبة:

وتظهر لنا ميزة أخرى من ميزات الكناية تفيد الإيجاز في التعبير، فالكلمة الواحدة في الكناية تحمل في طياتها معاني كثيرة يحتاج كل معنى إلى لفظ خاص للتعبير عنه مثل قوله تعالى: **﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ﴾(الزمر53)**.

ظاهر القول أنّه القول جهرة، "وهو شأن الذي ضاق صبره عن إخفاء ندامته في نفسه، فيصرخ بما حدّث به نفسه، فتكون هذه الندامة المصرّح بها زائدة على التي أسرّها، ويجوز أن يكون قولا باطنا في النّفس، والتفريط في جنب الله، أي جهته، والجنب مستعار للشأن والحق، أي شأنه وصفاته ووصاياه. وهو تمثيل لحال النّفس التي أُوقفت للحساب والعقاب".[1]

ويقال: "أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته، وفلان ليّن الجنب والجانب، ثمّ قالوا فرّط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقّه، وهذا من باب الكناية. وقيل: فرطت في جنب الله بمعنى فرطت في ذات الله".[2]

فجنب الله كناية عن نسبة، وهي تدل على معانٍ كثيرة بألفاظ قليلة فتوحي بتفريط الإنسان في حقّ الله بعدم طاعته، لترك أوامره أو التقصير فيها، وإتيان نواهيه وعصيانه بها، وترك أعمال الخير، واقتراف الذنوب والمنكرات، وكل ما هو مخالف لتعاليم الإسلام.

ومنها قوله تعالى: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(الشورى09)**."أي ليس له تعالى مثيل ولا نظير، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، والغرض تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، والكاف لتأكيد النّفي أي ليس مثله شيء".[3]

[1] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص ص45-46.

[2] . الزمخشري، الكشاف، ص944.

[3] . محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص134.

وقال القرطبي: "والذي يُعتقد في هذا الباب أنّ الله جلّ اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسن أسمائه، لا يشبه شيئا من مخلوقاته، ولا يُشبّه به أحد، وما أطلقه الشرع على الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي، إذ صفات القديم عزّ وجلّ بخلاف صفات المخلوق، وإذ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض والأغراض وهو تعالى منزه عن ذلك، وقد قال بعض المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات، ولا معطّلة من الصفات وزاد الواسطي فقال: ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل".[1] فلا أحد يشبهه سبحانه وتعالى، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وهو السّميع البصير، لا يخفى عليه من أعمال خلقه وأقوالهم شيء. وهي كناية عن نفي المماثلة عن ذاته ونحوه، فقد كنّى عن نفي وجود الله بنفي وجود مثل المثل.

4- الكناية التعريضية:

تتفاوت الكناية إلى تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء، وإشارة،[2]. "فمتى كانت الكناية عُرضية على ما عرفت كان إطلاق اسم "التعريض" عليها مناسبا، وإذا لم تكن كذلك نُظر، فإن كانت ذات مسافة بينها وبين المكنّى عنه متباعدة، لتوسط لوازم كما في: كثير الرماد وأشباهه، كان إطلاق اسم" التلويح" عليها مناسبا، لأنّ التلويح هو: أن تشير إلى غيرك عن بعد، وإن كانت ذات مسافة قريبة، مع نوع من الخفاء كنحو: عريض القفا، وعريض الوسادة، كان إطلاق اسم "الرمز" عليها مناسبا، لأنّ الرمز هو: أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية".[3] والرمز هو

[1]. ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص ص8-9.

[2]. ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص403.

[3]. ينظر: المصدر نفسه، ص 411.

الذي قلّت وسائطه مع خفاء في اللّزوم بلا تعريض.[1] ويكفينا في هذا المقام أن نشير إشارة خفيفة إلى بعض الكنايات التعريضية باعتبارها لون من ألوان الكناية على سبيل المثال لا الحصر.

فالتعريض هو" اللفظ الدّال على الشيء من طريق مفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي، فإنّك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب: والله إنّي لمحتاج، وليس في يدي شيء، وأنا عريان والبرد قد آذاني، فإنّ هذا وأشباهه تعريض بالطلب، وليس هذا اللّفظ موضوعا في مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازا، إنّما دلّ عليه من طريق المفهوم"[2].

وقد توافر النّص القرآني على هذا النوع من الكناية "التعريضية" التي تمتاز بالإيجاز في التعبير عن المعاني والأفكار التي تهدف إليها، فهي تحقق معناها أوّلا ثم تصل إلى الغرض الذي ترمي إليه عن طريق المفهوم من السياق وقرائن الأحوال، من غير أن تذكر الطرف المقابل المعَرّض به، وفيما يأتي سنعرض بعض الآيات القرآنية التي احتوت على كنايات تعريضية على سبيل المثال قوله تعالى في شأن سيّدنا نوح: **﴿فَقَالَ المَلَأُ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَانَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الذِينَ هُمُ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾** (**هود27**).

النّص القرآني موضعه في قصدهم واعتقادهم موضع التعريض" بأنّهم أحق بالنبوّة، وأنّ الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم. فقالوا: هب أنك واحد من الملأ ومواز لهم في المنزلة فما جعلك أحق منهم. ولأنّهم كانوا جهّالا ما كانوا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدّنيا، فكان الأشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتّسمين بالإسلام يعتقدون ذلك، ويبنون

[1] . السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، توثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ص289.

[2] . ابن الأثير، المثل السّائر، ج3، ص56.

عليه إكرامهم و إهانتهم. و لقد زلّ عنهم أنّ التقدّم في الدنيا لا يقرب أحدا من الله و لا يرفعه، وإنّما يبعده ويضعه".[1]

أي أنّ نوحا لم يكن متميزا عليهم بحالة يجب لأجلها أن يكون نبيّا من بينهم، فلو أراد الله أن يجعل النبوة في أحد من البشر لكانوا أحق بها دونه. فما أبعد حال هؤلاء من الاتصاف بما يبعد من الله، والتشرّف بما هو وضيع عنده سبحانه.

وقوله تعالى: ﴿**قَالُوا ءَآنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِئَالِهَتِنَا يَإِبْرَاهِيمُ*قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْئَلُوهُمُ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ**﴾ (**الأنبياء62–63**). "إنّ قصد ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه لم يكن إلّا أن ينسب الفعل الصّادر عنه إلى الّصنم، وإنّما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على أسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة وتبكيتهم".[2] أراد إبراهيم عليه السّلام إظهار سفاهتهم، فاحتجّ معرّضا بغباوتهم ، بنسب الفعل لكبير الأصنام، وليسألوا آلهتهم المزعومة لعلّها تتكلّم، أو تملك جوابا لذلك. وإنّما قصد تقريره لنفسه برمز خفي ومسلك تعريض، يبلغ به إلزام الحجة لهم، والتسفيه لعقولهم، وكأنّه قال لهم:" يا ضعفاء العقول كيف تعبدون ما لا ينطق إن كُلّم، وما لا يجيب إن سُئل، وتجعلونه شريكا لمن له الخلق والأمر؟".[3]

وقيل:" إنّ كبير الأصنام غضب لما عُبد مع غيره من هذه الأصنام الصّغار فكسرها، وغرض إبراهيم بذلك أن يعرض بهم في كونهم قد أشركوا في العبادة من هو دون الله، مخلوق من مخلوقاته، فجعل إحالة القول إلى كبير الأصنام مثالا لما أراده".[4] أي أنّه وضع هذا الكلام لفاحش ما أتوا به، وعظيم ما تلبّسوا به من عبادة غير الله. وهذا التعريض لم يدل عليه اللفظ، بل السياق.

[1] . ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص481.

[2] . ينظر: المصدر نفسه، ص682.

[3] . الثعالبي، الكناية والتعريض، ص 56.

[4] . ينظر: ابن الأثير، المثل السائر، ج3، ص72.

ومن التعريض أيضا قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوِ اِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى اَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (**سبأ24**)."أي إنّ أحد الفريقين من الذين يوحّدون الرازق من السّموات والأرض بالعبادة، ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال، وهذا من الكلام المنصف".[1]وهو "أن لا يترك المجادل لخصمه موجب تغيظ واحتداد في الجدال. ومع ذلك فقرينة إلزامهم الحجة قرينة واضحة، وهذا من التعريض وهو أوقع من التصريح، لا سيما في استنزال طائر الخصم".[2]

إنّها غاية الاعتدال والأدب في الجدال أن يقول رسول الله عليه الصّلاة والسّلام للمشركين: إنّ أحدنا لا بدّ أن يكون على هدى، والآخر لا بدّ أن يكون على ضلال، ثم يدع تحديد المهتدي منهما والضّال ليثير التدبّر والتفكّر في هدوء، لا تغشى عليه العزّة بالإثم، والرغبة في الجدال، فإنّما هو هاد ومعلم يبتغي هداهم وإرشادهم لا إذلالهم.[3] أي أنّ أحد الفريقين لعلى هدى متمكّن منه، أو في ضلال بيّن منغمس فيه.

إن الجدل على هذا النحو المهذّب الموحي أقرب إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين المتطاولين بالجاه والمقام، المتكبرين على الإذعان والاستسلام، وأجدر بأن يثير التدبّر الهادئ والاقتناع العميق.

"فالكناية التعريضية تهدف إلى تبكيتهم وتسفيه ما يعبدون بالأسلوب الهادئ الذي يأخذ بخناقهم، وإلّا فإنّ الهدى واضح بيّن، وصاحبه على الحق مستعل، والضلال واضح بيّن، وصاحبه كأنّه منغمس في الظلام، كما صوّر ذلك الحرفان "على" و"في" بدخول" على" على الحق، و"في"على الباطل، لأنّ صاحب الحق كأنّه على فرس جواد يركبه، وصاحب الباطل كأنّه منغمس

[1] . ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص874.

[2] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج22، ص192.

[3] . سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2905.

في ظلام لا يدري أين يتوجه".[1] فصاحب الحق لظهور حجّته وقوة إيمانه وتمكّنه من دينه، كأنّه مستعل ظهر جواد يهديه كيف يشاء، أمّا أصحاب الباطل لشركهم وكفرهم ومكابرتهم، كأنّهم منغمسون في ظلمة لا نور فيها.

ويقول الحق تبارك وتعالى في الآية الموالية من السورة نفسها: ﴿**قُل لَّا تُسْئَلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾(**سبأ25**)."أي إذا نحن أجرمنا فأنتم غير مؤاخذين بجرمنا، وإذا عملتم عملا فنحن غير مؤاخذين به، أي أنّ كلّ فريق مؤاخذ وحده بعمله".[2] يجب أن ينظر كل فريق في أعماله وأعمال الخصم، ليتبيّن أيّهما أحقّ بالفوز والنجاة عند الله.

فالسؤال كناية عن الأثر، "وهو الثواب على العمل الصّالح، والجزاء على الإجرام بمثله. وصيغ ما يعمل المشركون في صيغة المضارع، لأنّهم ينتظرون منهم عملا تعريضا بأنّهم يأتون عملا غير ما عملوه، أي يؤمنون بالله بعد كفرهم".[3]

ولو لم يكن القصد بالآية التعريض بحال الكافرين، وما هم عليه من إجرام في أعمالهم من كفر ومعاص، لكان حق الحال من حيث الظاهر أن يقال" لا تُسئلون عمّا عملنا ولا نُسئل عمّا تجرمون"، ولكن أُسند الإجرام للمتكلم، والعمل للمخاطبين على سبيل التعريض بهم، لأنّه يحقق المقصود على سبيل التلطّف.[4] وهو التأثير في أنفسهم بهدف استدراجهم إلى الإذعان والتسليم، "فالتعريض أدخل في الإنصاف وأبلغ، وأكثر تلطّفا واستدراجا، حيث سُمي فعله جرما كما يزعمون مع أنّه مثاب مشكور، وسُمي فعلهم عملا مع أنّه مزجور عنه محظور، وقد يُراد ب"أجرمنا" نسبة

[1] . الزمخشري، الكشاف، ص874.

[2] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج22، ص194.

[3] . المصدر نفسه، ج22، ص194.

[4] . ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص313.

ذلك إلى المؤمنين دون الرسول، وذلك ما لا يكاد يخلو المؤمن منه من الصّغائر، والذي تعملون هو الكفر وما دونه من المعاصي الكبائر".[1]

وفي هذا ترجيح لكفة الخصم وهضم للنفس بعد تسوية أقامتها الآية بين الطرفين، إنّه منطق الواثق من أنّ الحقيقة تفرض نفسها، وأنّ الحق يعلو وإن تواضع صاحبه أمام خصمه.[2]

يكشف التعريض عن حالهم، وما هم في من إجرام في صورة خفيّة لطيفة، فضلا عمّا يدلّ عليه من محاسن أخلاق المتكلم في الدّعوة والخطاب، وهو يواجه النّفوس المجرمة للكفر والمعاصي والآثام، كل ذلك بلطف شديد لعلّها تتأثر، وتعطي استجابة لما يدعوهم إليه من خير، فتهتدي إلى الصراط المستقيم.

ويرد التعريض في النّص القرآني كثيرا بذكر أحوال الكفرة في التهكم والنقص وإسقاط المنزلة، وحط القدر مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا تُنذِرُ الذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ**﴾ (**فاطر18**). أي يخشون ربهم غائبين عن عذابه، أو يخشون عذابه غائبا عنهم، وقيل: بالغيب في السر، وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله من أصحابه، فكانت عادتهم المستمرة خشية الله، وهم الذين أقاموا الصّلاة وتركوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا، يعني إنّما تقدر على إنذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك، وعلى تحصيل منفعة الإنذار فيهم دون متمرديهم وأهل عنادهم.[3]

وقيل معنى الآية:" أي الذين يخشون ربهم في خلواتهم وعند غيبتهم عن العيان، وهم الذين آمنوا حقا غير مرائين أحدا، وهو تعريض بتأمين المسلمين بما اقتضاه عموم الإنذار والوعيد. وأُطلق الإنذار هنا على حصول أثره، وهو الانكفاف أو التصديق به، وليس المراد حقيقة الإنذار، وهو

[1] . أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج7، ص 268.

[2] . ابراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، ص169.

[3] . ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص884.

الإخبار عن توقع مكروه لأن القرينة صادقة عن المعنى الحقيقي، وهي قرينة تكرر الإنذار للمشركين الفينة بعد الفينة".[1]

وجاء في الظلال: "أنّ هؤلاء الذين يخشون ربهم ولم يشاهدوه، ويقيمون الصّلاة ليتّصلوا بربّهم ويعبدوه، هؤلاء الذين ينتفعون بك، ويستجيبون لك، هؤلاء هم الذين يفلح فيهم الإنذار، فلا عليك ممّن لا يخشى الله ولا يقيم الصّلاة".[2] الخطاب موجّه لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ليحذّر الذين يخافون عذاب الله بالغيب.

فالتعبير القرآني في الآية يتجاوز معناه الظاهر الذي يدل عليه إلى التعريض بالذين ليس لهم هذه الخشية، قال الزركشي: "المقصود التعريض بذم من ليست له هذه الخشية، وأن يُعرف أنّه لفرط عناده كأنّه ليس له أذن تسمع، ولا قلب يعقل، وأن الإنذار له كلا إنذار، وأنّه قد أنذر من له هذه الصفة، وليست له".[3] فالكناية التعريضية تنال من الكافرين على نحو خفي لطيف كاشفة بذلك عن حالهم، لأنّهم لم يتأثروا بالنذير، ولم يستجيبوا له، فهم لا يؤمنون ولا يخشون ربهم، وإنذار هؤلاء لا يجدي، فإنذارهم مثل عدمه.

ويقول الحق تبارك وتعالى في موضع آخر من السورة نفسها: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاؤُا**﴾ (**فاطر28**). أي لا يخشاه الجُهّال، وهم أهل الشّرك، "فالمؤمنون يومئذ هم العلماء، والمشركون جاهلون نُفيت عنهم خشية الله. ثمّ إنّ العلماء في مراتب الخشية متفاوتون في الدرجات تفاوتا كبيرا، فأمّا العلماء بعلوم لا تتعلق بمعرفة الله وثوابه وعقابه معرفة على وجهها، فليست علومهم بمقربة لهم من خشية الله، ذلك أن العالم بالشريعة لا تلتبس عليه حقائق الأسماء الشرعية، إن هو خالف ما دعت إليه الشريعة في بعض الأحوال والأوقات، لداعي شهوة أو هوى أو تعجل

[1] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج22، ص290.

[2] . سيد قطب، في ظلال القرآن، ص2937.

[3] . الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص314.

نفع دنيوي. بينما غير العالم إن اهتدى بالعلماء فسعيه مثل سعي العلماء، وخشيته متولّدة عن خشية العلماء".[1] بمعنى إنّما يخشى اللهَ ويتّقي عقابه بطاعته، واجتناب معصيته العلماء به سبحانه، وبصفاته، وشرعه، وقدرته على كلّ شيء، فهو غفور يثيب أهل الطّاعة، ويعفو عنهم.

النّص القرآني كناية عن نفي خشية الله عن غير العلماء، فإذا قيلت لشخص معيّن منحرف كان تعريضا بعدم خشيته.

ويعرض القرآن بالمشركين على لسان الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى في قوله: ﴿وَمَالِيَ لَآ أَعْبُدُ الذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس21). أي لا شيء يمنعني من عبادة الذي خلقني، وهذا الخبر مُستعمل في التعريض بهم كأنّه يقول: "ومالي لا أبعد ومالكم لا تعبدون الذي فطركم بقرينة قوله ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، إذ جعل الإسناد إلى ضميرهم تقوية لمعنى التعرض، وإنّما ابتدأه بإسناد الخبر إلى نفسه لإبرازه في معرض المناصحة لنفسه، مريدا بذلك مناصحتهم ليتلطف بهم، فيسمعهم الحق على وجه لا يثير غضبهم، ويكون أحسن لقبولهم إيّاه حين يرون أنّه لا يريد لهم إلّا ما يريد لنفسه.[2] أي لا شيء يمنعه من عبادة الله، وإليه يصير الجميع. وهذا تعريض على وجه اللّطف ليرشدهم إلى الحق دون نفور منه.

وممّا يقوّي التعريض ويجعله جليّا قوله بعد ذلك: ﴿ءَآتَّخِذُ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ (يس22). رجع إلى طريقة التعريض بالمخاطبين، "لأنّهم جعلوا الأوثان آلهة وليست بآلهة، لأنّ الإله الحق لا يُجعل جعلا، ولكنّه يستحق الألوهية بالذات".[3] فلا مجال لعبادة إلاه آخر من دون خالقه سبحانه.

[1]. ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج22، ص ص304-305.

[2]. ينظر: المصدر نفسه، ج22، ص368.

[3]. ينظر: المصدر نفسه، ج22، ص368.

يكشف التعريض عن حالهم بعمق، إذ أسمعهم الحق دون أن تخدش كرامتهم، ودون أن يصرّح بنسبة الآلهة إلى الباطل، كما أنّه أشار إلى حرصه عليهم، فهو لا يريد لهم إلّا ما يريده لنفسه.

والتعريض جُنّة الصادقين يَتوَقَون به الكذب في مواقف يضطر فيها المرء إلى إخفاء أمور يعرفها، "لما يترتّب على إظهارها من مفسدة، أو شر يصيبه أو يصيب غيره، أو يكون في إخفائها وسيلة وحيدة لتحقيق مصلحة أو خير منها"[1] كقول سيدنا ابراهيم عليه السّلام: ﴿**فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ**﴾ (**الصافات89**). أي إني مشارف للسّقم، وهو الطاعون، لأنّه السّقم الغالب عليهم.[2]

وقيل "هو عذر انتحله ليتركوه فيخلو ببيت الأصنام، ليخلص إليه عن كثب، فلا يجد من يدفعه عن الإيقاع بها، وقد ظهر من نظم الآية أنّه لم يكن مرضا، وتسمية هذا الكلام كذبا منظور فيه إلى ما يفهمه أو يعطيه ظاهر الكلام، وما هو بالكذب الصريح، بل هو من المعاريض، أي إنّي مثل السّقيم في التخلّف عن الخروج، أو في التألم من كفرهم".[3] الظاهر أنّ ابراهيم عليه السّلام أوهمهم أنه سقيم عليل، ولم يكن عليلا ولا سقيما، ولا كاذبا، وهذا تعريض منه، لأنّ من كتب عليه الموت، لابد أن يبتليه بالسقم.

وممّا ورد أيضا من التعريض ما أخبر الله به سبحانه عن نبأ الخصم بقوله: ﴿**وَهَلَ اَتَاكَ نَبَؤُاْ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ*إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ**﴾(ص**21**). فيها عدة أجوبة: **أولا:** "أن الخوف انفعال جبلي وضعه الله في أحوال النّفوس عند رؤية المكروه، فلا تخلو من بوادره نفوس

[1] . ابراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، دار البصائر، ط1، 2004، القاهرة، ص183.

[2] . الزمخشري، الكشاف، ص908.

[3] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ،ج23، ص ص142- 143.

البشر، فيعرض لها ذلك الانفعال بادئ ذي بدء ثمّ يطرأ عليه ثبات الشجاعة فتدفعه على النفس، ونفوس النّاس متفاوتة في دوامه وانقشاعه".[1]

ثانيا: أنّ الذي حصل لداود عليه السّلام فزع وليس خوف، والفزع أعمّ من الخوف، إذ هو اضطراب يحصل من الإحساس بشيء شأنه أن يتخلص منه.

ثالثا: أنّ الأنبياء مأمورون بحفظ حياتهم، لأنّ حياتهم خير للأمّة، فقد يفزع النّبي عليه السّلام من توقع خطر، خشية أن يكون سببا في هلاكه، فينقطع الانتفاع به لأمّته.[2]

التعريض وسيلة مهذّبة مؤثرة، فضلا عن إيجازه فهو" أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل إذا أداه إلى الشعور بالمعرض به كان أوقع في نفسه، وأشدّ تمكّنا من قلبه، وأعظم أثرا فيه، وأجلب لاحتشامه وحيائه، وأدعى إلى التنبّه على الخطأ من أن يبادره به صريحا مع مراعاة حسن الأدب بترك المجاهرة".[3]

والملاحظ من خلال النّص القرآني أنّ تسوّر الخصم المحراب والدخول على داود عليه السّلام قد تمّ في صورة غير طبيعية، حيث قيل: "إنّ داود عليه السّلام جزّأ أزمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة، ويوما للقضاء، ويوما للاشتغال بخواص أموره، ويوما يجمع بني إسرائيل فيعظهم ويبكيهم، فجاءوه في غير يوم القضاء ففزع منهم، ولأنّهم نزلوا عليه من فوق، وفي يوم الاحتجاب، والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه".[4]

فتسوّرهم المحراب ودخولهم عليه كان بطريقة عجيبة، ممّا سبّب فزعا للنّبي داود عليه السّلام، وما يؤكد ذلك هو الاستفهام" هل أتاك" فظاهره الاستفهام، ومعناه الدلالة على أنّه من

[1]. ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص232.

[2]. المصدر نفسه، ص233.

[3]. الزمخشري، الكشاف، ص922.

[4]. المصدر نفسه، ص922.

الأنباء العجيبة التي حقّها أن تشيع، ولا تخفى على أحد، و ما فيه من تشويق لسماعه.[1] هو مثل ضربه الله له، ونبّهه على خطيئته به، وجاء هذا الإنكار على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح، لأنّه الأبلغ في الإنكار والتوبيخ له.

وتتواشج الكناية والتعريض في تركيب واحد في السورة نفسها، وذلك في وصف الله لأنبيائه(ابراهيم وإسحاق ويعقوب) في الآية الكريمة: ﴿**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الَاْيْدِي وَالَابْصَارِ**﴾(ص**44**). ذكر هؤلاء الثلاثة للقدوة والأسوة الحسنة، فأمّا ابراهيم عليه السّلام فيما عُرف به من الصبر على أذى قومه، وإلقائه في النار، وابتلائه بتكليف ذبح ابنه. وابتدئ به عليه السّلام "لتفضيله كذلك بالرسالة والشريعة، وعطف عليه ابنه، وعطف على ابنه ابنه يعقوب، ليقتدي النّبي بثلاثتهم في القوّة في إقامة الدين، والبصيرة في حقائق الأمور".[2] وتخصيص هؤلاء الثلاثة، لأنّهم أصحاب قوّة في طاعة الله، وبصيرة في دينه.

وقيل: إحسانهم في الدين، وتقدمهم عند الله على عمل صدق فهي كالأيدي. وقيل: النعم التي أسداها الله إليهم من النبوّة والمكانة، وقيل: الأيدي الجوارح المتصرفة في الخير والأبصار الثاقبة فيه.[3]

وقيل:" لما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلبت، فقيل في كلّ عمل هذا ممّا عملت أيديهم، وإن كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالأيدي، وعلى ذلك ورد قوله﴿**أُوْلِي الَاْيْدِي وَالَابْصَارِ**﴾ يريد أولي الأعمال والفكر، كأنّ الذين لا يعملون أعمال الآخرة، ولا يجاهدون في الله، ولا يفكرون أفكار ذوي الديانات، ولا يستبصرون في حكم المرضى الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم، والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم، وفيه تعريض بكل من لم يكن من

[1] . الزمخشري، الكشاف، ص922.

[2] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص276.

[3] . ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج7، ص385.

عمال الله، ولا من المستبصرين في دين الله، وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمّل مع كونهم متمكّنين منهما".[1]

وبذلك يكون التعبير القرآني كناية عن العمل الصّالح بالأيدي، الذي هو مصدر قوّة لصاحبه، فضلا عن العمل الصّالح بالنّظر الصائب والحكمة والفكر السّديد بالأبصار، وكلا المعنيين متصل بالآخر.

ومن جانب آخر يمكن عدّ هذا التعبير كناية تعريضية تلوّح بمعناها التعريضي من بعيد،" فهي تعريض بالذي لا يعمل صالحا كمن لا يد له، وبالذي لا يفكر تفكيرا سليما صائبا كمن لا عقل له ولا نظر".[2] فهو أعمى القلب والبصيرة، لأنّه يفتقد إلى الإيمان بالله المنبعث في النّفس، والذي يوجّه إلى العمل الصالح.

ومن التعريض بأحوال الكافرين كما سبق قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الَالْبَابِ**﴾(**الزمر10**). والمعنى: "أعلمهم يا محمد بأنّ هذا المؤمن العالم بحقّ ربّه ليس سواء للكافر الجاهل بربّه، ولهذا كان نفي الاستواء في الآية أبلغ، أي لا يستوي الذين لهم علم، فهم يدركون الأشياء على ما هي عليه، وتجري أعمالهم على حسب علمهم، مع الذين لا يعلمون فلا يدركون الأشياء على ما هي عليه، بل تختلط عليهم الحقائق، وتجري أعمالهم على غير انتظام".[3]

[1]. الزمخشري، الكشاف، ص928.

[2]. سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص3022.

[3]. ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص348.

يشير إلى "أنّ الإيمان أخو العلم، لأنّ كليهما نور ومعرفة وحق، وأنّ الكفر أخو الضلال، لأنّه والضلال ظلمة وأوهام باطلة".[1]

النّص القرآني يثبت صفة التذكّر للمؤمنين الذين يعلمون ربّهم ودينهم الحقّ، دون غيرهم على وجه الخصوص. والتعريض بالكافرين الذين لا يعلمون شيئا من ذلك. والتقابل على سبيل التضاد يعمّق حال الفريقين في الذهن.

ويمكن أن يُفهم التعريض في الآية من جانب آخر بالعالمين غير العاملين في دلالته العامة، قال الزمخشري:" وأراد بالذين يعلمون: العاملين من علماء الديانة، كأنّه جعل من لا يعمل غير عالم. وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويفتنون، ثمّ يُفتنون بالدّنيا فهم عند الله جهَلة، حيث جعل القانتين هم العلماء، ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه أي: كما لا يستوي العالمون والجاهلون، كذلك لا يستوي القانتون والعاصون".[2]

هو تعريض بالكفار الذين لم يتذكروا، وأعرضوا عن الدّعوة، وهذه الدلالة التعريضية يستوي فيها الكافرين الذين لا يعلمون ولا يعملون، والعالمون غير العاملين بما يجب عليهم من الطاعة، فهم جهلة على صعيد واحد مع الكافرين.

والتعريض أخفى من الكناية، لاعتماده في دلالته على السياق دون اللفظ، حيث كان له من الأثر في النّفوس ما لا تبلغه الحقيقة المجردة أو المجاز أو الكناية، لأنّه يعين صاحبه على إخفاء ما يريد من عتاب أو نقد أو سؤال أو شكاية عن الحاضرين حتّى لا يفهم مراده إلّا من يقصده بالتعريض، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**لَئِنَ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(**الزمر62**). "أي بيانا لما أوحي إليه وإلى الذين من قبله. و يجوز أن يكون الخطاب

[1] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص349.

[2] . الزمخشري، الكشاف، ص935.

للنّبي عليه الصّلاة والسّلام، وأيّا ما كان المقصود بالخطاب تعريض بقوم الذي أوحى إليه، لأنّ فرض إشراك النّبي عليه السّلام غير مُتوقع".[1]

وقيل هو" خطاب للنّبي عليه الصّلاة والسّلام، ولكن أُريد به غيره لاستحالة الشرك عليه شرعا".[2]

الخطاب موجّه للنّبي عليه الصّلاة والسّلام، ولكن المراد بها غيره، فكلّ من يُشرك بالله يبطُل عمله، ويكون من الهالكين الخاسرين، فهي تعريض بالخصم لاستدراجه إلى التسليم والإيمان.

ويعرض الحق تبارك وتعالى أثر القرآن في الصّخر الجامد لو تنزّل عليه بإيقاع يتخلل القلب ويهزّه قائلا: **﴿لَوَ اَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الَامْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** (**الحشر21**). أي لو كان الجبل في موضع هؤلاء الذين نسوا الله، وأعرضوا عن فهم القرآن، ولم يتّعظوا بمواعظه لاتّعظ الجبل وتصدّع صخره وتربته من شدّة تأثره بخشية الله..[3] هو مثل ساقه الله تعالى لقسوة الذين نسوا الله، وضُرب التصدّع مثلا لشدّة الانفعال والتأثر. فهو تعريض لهم بأنّ القرآن في متناولهم، ولا كُلفة عليهم في تدبّره، ولكنّهم قصدوا الإعراض عنه.

إنّ بنية هذا المثل قائمة على التصوير المجازي في نسبة الخشوع والتصدّع والخشية إلى الجبل الأصم" إذ ليس من شأن الجبل أن يخشع ولا أن يخشى، والخشوع والخشية كلاهما من أفعال القلوب التي لا تصدر عن جماد، إلّا أن يكون ذاك من صنع البيان، إذ يبث الحياة في الصّخر

[1] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص58.

[2] . عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج4، تح: مركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ، ص1564.

[3] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص116.

الأصمّ".[1] أي أن للفظ معنى آخر يوحي بدلالته، فليس المقصود خشية الجبل وتصدّعه، بل خشية الإنسان وخشوعه.

وقيل معناه:" أنّ الجبل لو كان ممّا يعي القرآن، ويعرف البيان، لخشع في سماعه، ولتصدّع من عظم شأنه على غلظ إجرامه، وخشونة أكنافه، فالإنسان أحقّ بذلك منه، إذ كان واعيا لقوارعه، وعالما بصوادعه"[2]. وفي ذلك بيان منزلة القرآن وعظمته، وشدّة تأثيره في النّفوس.

يمكن عدّ هذا النّص القرآني كناية تعريضية بالإنسان الذي لا يخشى ولا يخشع، وقد كشف الزمخشري عن معناها بقوله" والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وقلّة تخشّعه عند تلاوة القرآن، وتدبّر قوارعه وزواجره".[3]

فإذا كان الجبل الأصم يخشع ويتشقّق مع شدّة صلابته وقوته وضخامته من خشية الله، فمن باب أولى أن يتدبّر هذا الإنسان في القرآن، ويفهم معانيه، ويعمل به، ويتفكّر في قدرة الله وعظمته كونه معني بالخطاب.

ومن التعريض أيضا ما كان للإهانة والتوبيخ كقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ*بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**﴾(**التكوير08-09**). والوأد: وأد بنته دفنها حيّة.[4] ووَأَدَ- يَئِدُ وَأْدًا البنت: دفنها في التراب وهي حية، فالابنة وئيد ووئيدة وموءودة[5]. وهي الطفلة التي تُدفن حيّة،"حيث كان العرب إذا وُلد لأحدهم بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبّة من صوف أو شعَر ترعى له الإبل والغنم في

[1] . محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني- دراسة نقدية وبلاغية-، دار الرشيد للنشر، 1981، العراق، ص255.

[2] . الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص312.

[3] . الزمخشري، الكشاف، 1097.

[4] . محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصّحاح، مكتبة لبنان، 1986، "باب الواو"، ص294.

[5] . لويس معلوف، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط19، د.ت، باب الواو، ص883.

البادية، وإن أراد قتلها تركها حتّى إذا كانت سداسية يقول لأمّها طيبيها وزينيها حتّى أذهب بها إلى أحمائها. وقد حفر لها بئرا في الصّحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها: انظري فيها ثمّ يدفعها من خلفها، ويهيل عليها التراب حتّى تستوي البئر بالأرض".[1]

وقيل: كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرة فتمخّضت على رأس الحفرة، فإذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة، وإن ولدت ابنا حبسته. وذلك خوفا من لحاق العار بهم من أجلهنّ، أو الخوف من الإملاق.[2]

خُصّ سؤال الموءودة بالذكر دون غيرها ممّا يُسأل عنه المجرمون يوم الحساب،" ذلك لأنّ إعادة الأرواح إلى الأجساد كان بعد مفارقتها بالموت، والموت إمّا بعارض جسدي، وإمّا باعتداء عدواني أو غيره، وكان من أفظع الاعتداء إزهاق الأرواح من أجسادها، اعتداء الآباء على نفوس أطفالهم بالوأد، والله سبحانه وتعالى جعل في الفطرة حرص الآباء على استحياء أبنائهم، وجعل الأبوين سبب إيجاد الأبناء، فهو أفظع أعمال أهل الشّرك. وسؤال الموءودة سؤال تعريضي المراد منه تهديد وائدها ورُعبه بالعذاب.[3] يظهر من النّص القرآني أنّ سؤال الموءودة وعقوبة من وأدها أوّل ما يُقضى فيه يوم القيامة.

وسؤال الموءودة وجوابها تبكيت لقاتلها، وتوجيه السّؤال لها في ذلك الحشر إدخال الرّوع على وائدها، "وجعل سؤالها عن تعيين ذنب أوجب قتلها، للتعريض بالتوبيخ والتخطئة للذي وأدها، وليكون جوابها شهادة على الوائد، فيكون استحقاقه للعذاب أشدّ وأظهر".[4] فسؤال الموءودة تعريض بإهانة قاتلها وتوبيخه.

---

[1] . ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص1182. وأبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج8، ص425.

[2] . الزمخشري، الكشاف، ص 1182.

[3] . ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص144.

[4] . ينظر: المصدر نفسه، ص146.

فالتعريض إذن لون من ألوان الكناية، أو طريقة متميّزة من طرقها، له خاصية فنية في التعبير عن المعنى الذي يهدف إليه، ودلالته أخفى من دلالة الألوان الأخرى من الكناية كالإرداف والتمثيل والتلويح والإيماء والإشارة... وغيرها.

يمكن القول أنّ المعاني الكنائية التي أثارتها النّصوص القرآنية تدل دلالة قاطعة على عدّة جوانب نفسية توخّى القرآن مراعاتها والحفاظ عليها، تكريما للألفاظ واحتراما للكلمات ومراعاة لأدب النّفوس، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أهمية الكناية في التعبير القرآني، وعند العرب، وأنّها تحتل مكانة عالية بين الأساليب.

خاتمة

خاتمـــة

تبيّن لنا من خلال رحلتنا في هذا البحث أنّ القرآن الكريم كان يتنزل في مكة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليواجه به مجتمع الجاهلية العنيد، وليوجّه القلّة المستضعفة المغلوبة على أمرها ممن آمن واهتدى. ولكنّه في المدينة كان يواجه مجتمعا قائما على أساس الإيمان والانقياد لتعاليم هذا الدين، فكان من الطبيعي أن يكون هناك اختلاف بين موضوعات كل من المرحلتين، ويتبع هذا الاختلاف في الموضوع اختلافا في خصائص الأسلوب كذلك.

راعى النّص القرآني البلاغة في كلا العهدين، والموضوعات التي تكلّم عليها القرآن المكي تقتضي ألفاظ معيّنة، وأسلوب معين، وكذلك الأمر في المدني، غير أنّ أسلوب القرآن في النوعين المكي والمدني يبقى هو الأسلوب المعجز الذي تميّز عن أساليب البشر، وبلغ الذروة في الجمال والبيان والروعة والدقة في التصوير.

ويعتبر التصوير وسيلة من وسائل تقديم المعاني الدينية، وتقريبها إلى الأفهام، وتهيئة الفكر لاستقبال ما تحمله هذه الصور من معان، عن طريق التأثير النّفسي والوجداني، فتتلقاها النّفس الإنسانية كما تتلقى التربة الطيّبة ما يحمله السّحاب من غيث، بقبول حسن فتؤتي ثمارها كل حين بإذن الله.

والرحلة البحثية عكست وكشفت كثيرا من جوانب التصوير البياني، الدالة على عظمة القرآن الكريم وإعجازه، إذ تنوّعت طرق التعبير عن المعاني المرادة في علم البيان بين المجاز والتشبيه والكناية والتعريض، وكلّ على طريقته التي تميّزه عن غيره. والبداية كانت مع المجاز بنوعيه:(المجاز اللغوي بما فيه من استعارة ومجاز مرسل، والمجاز العقلي) الذي كان له قدرا رفيعا ومستوى عاليا من البيان، بحيث تميّز عن غيره، وانفرد بخصائص باين بها أسلوب البشر، فلا يُعدل عن الحقيقة إلى

المجاز، إلّا لإفادة أسرار متنوّعة، وتحقيق أغراض بلاغية متعددة سواء كان المجاز لغويا أو عقليا، وسواء كان ذلك المجاز اللغوي مرسلا أو استعارة.

يشخّص المجاز المرسل المعاني، ويجسّد الأفكار، ويجعل لها صورة ماثلة للعيان، مما يجعله قادرا على التأثير والتوجيه نحو المثل العليا، والأخلاق الفاضلة، ونظرا لتعدد علاقاته وتنوّعها، فهذا من شأنه كشف جمال التعبير، وإعطاء آفاق واسعة للتأمل وتذوّق كنه الصور المجازية في القرآن الكريم، لأنّ الكثير من علاقاته قائمة على التضاد والتقابل، فهناك الكلية والجزئية، الحالية والمحلية، السببية والمسببية، فكلما ذكرت الكلية يرد على الذهن الجزئية المرادة من هذا الكل، وكلما ذكرت المسببية يرد السبب الذي تسبب عنه.... وغيرها.

والمجاز العقلي لا يقلّ قدرا وشأنا عن المجاز المرسل في خصائصه وبلاغته وأسراره، فهو موجود في طبائع النفوس، وقد جرى على ألسنتهم، وكثُر استخدامهم له، لما تضمّنه من خصائص ومميزات لا تظهر بلاغتها إلّا في القرآن الكريم.

والتشبيه بأنواعه (المرسل، التمثيلي، الضمني، البليغ، المقلوب) ثمرة أخرى من ثمار البيان، باعتباره وسيلة بيانية لنقل الأحاسيس، وإيضاح المعاني، وأداة من أدوات توصيل الحقائق القرآنية، والغايات الدينية، فالنّص القرآني لا يعتمد على التشبيه في المعاني الظاهرة، والصور الحقيقية المشاهدة في الكون والطبيعة، وإنّما يعتمد على التشبيه في إبراز المعاني الدقيقة أو الخفية. وقد تنوّعت تشبيهات القرآن من حيث الشكل والدلالة.

والكناية فن متميّز عن المجاز في شواهده وأسلوبه وغاياته، فهي لا تجافي الحقيقة ولا تنافي المجاز، وهي من الثراء بحيث تلتقي مع كل الألوان في شواهد كثيرة كما رأينا. فتارة تكون بالألفاظ الحقيقية، وتارة كناية بالألفاظ المجازية.

ومن خلال سعينا واستقرائنا لشواهدها وجدنا أنّها تنقسم باعتبار نوع المكنى عنه إلى كناية عن صفة وكناية عن موصوف وكناية عن نسبة، وتتفاوت باعتبار آخر إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء. فالكناية تجسّد المعاني وتبرزها في صورة محسوسة تزخر بالحركة والحياة، بالإضافة إلى أنّها تعرض المعنى مصحوبا بدليله، مقرونا بحجته وبرهانه.

ومن أبرز مزايا التعبير الكنائي أنّه يؤدي إلى ستر وتغطية ما يستحب ستره، وهذا كان له الأثر في الإقناع والتأثير. ومع التسليم بأنّ الكناية شيء والتعريض شيء آخر، فإنّ هذا لا يمنع من اجتماعهما في شاهد واحد، على أن يكون لكل واحد منهما اعتبار خاص، فالتعريض أخفى من الكناية لاعتماده في دلالته على السياق دون اللفظ، وهو أعمق الألوان البيانية وأبعدها أثرا، وأحوجها إلى الفطنة والذكاء، وقراءة ما وراء الأفكار، وللتعريض دور لا يستطيعه المجاز ولا الكناية، لأنّه يعين صاحبه على نقل مراده بغير اللفظ الصّريح الدّال عليه، وهو طريقة مهذّبة للتعبير عن بعض المعاني تلويحا وإشارة بدلالة الموقف والسياق.

التأمّل في السياقات التي ورد فيها التعريض في القرآن الكريم، نجد أنّ دور هذا الأسلوب الكشف عن موقف المشركين من القرآن، وبيان حالهم معه، وموقفهم منه تعريضا لا تصريحا. وهذا مكمن بلاغته، وسرّ إعجازه، فقد كان وسيلة ناجحة في ذكر حقيقة القوم وما كانوا عليه من الجحود والغفلة والإنكار والإعراض والكفر بالقرآن، وما جاء فيه من البيان والهدى، كلّ هذا دون مواجهة أو مجابهة لهم، وإنّما كان يذكر هذه المعاني تعريضا.

ويبقى المجال مفتوح لأيّ باحث ليصبح عمله نقطة بداية لعمل آخر، وما عملي هذا إلّا غيض من فيض وقطرة من بحر، لأنّ القرآن الكريم بحر زاخر بالكنوز والنفائس، ومن أراد الحصول على لآلئه ودرره فعليه أن يغوص في أعماقه، فلآلئه لا تنفذ ودرره لا تنتهي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع.

أولا: المصادر.

1. أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمد شرف، القاهرة، 1995 .
2. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة دار التراث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1984.
3. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني النحوي، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، د.ط.
4. جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين بهامش المصحف الشريف بالرسم العثماني، قدم له وراجعه: مروان سوار، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، د.ط.
5. جلال الدين محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن محمد (الخطيب القزويني)، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2003.
6. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق :محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966.

7. عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ.

8. عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، اعتنى به: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2006.

9. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، ط5، 1981.

10. ـــــــــــــــ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط2، 1955.

11. ركن الدين محمد بن علي الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب القاهرة، 1418هـ.

12. أبو زكريا يحي بن زياد الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983.

13. الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تح: علي محمود مقلد، دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت.

14. صديق حسن خان القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 1992.

15. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط2، د.ت.

16. أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، تلخيص صحيح مسلم لابن الحجاج القشيري النيسابوري، تح: رفعت فوزي عبد الغني وأحمد محمود ابراهيم عثمان الخولي، دار السلام للطباعة والنشر ،د.ط، د.ت.

17. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، 2016.

18. ـــــــــــــــ، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط.

19. أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، مجاز القرآن، علق عليه: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د.ط.

20. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1967.

21. فخر الدين محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، ط3، د.ت.

22. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1997.

23. أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمان ابن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية دار الأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، د.ت.

24. أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن والسّبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، د.ط.

25. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط3، 2009.

26. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1998.

27. القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001

28. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2003.

29. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط2، 1999.

30. ـــــــــــ، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2000.

31. ـــــــــــ، مختصر تفسير ابن كثير، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط7، 1981.

32. عبد الله بن الحسين بن نافيا البغدادي، الجمان في تشبيهات القرآن، تح: محمود حسن أبو ناجي الشيباني، ط1، 1987، بيروت.

33. محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

34. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

35. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2000.

36. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995.

37. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، علّق عليه ووضع حواشيه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2007.

38. أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي، الاشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، مطبعة العامرة، ط1، 1313هـ.

39. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1981 .

40. أبو منصور إسماعيل الثعالبي، النهاية في الكناية، تح: فرج الحوار، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة–تونس.

41. أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، الكناية والتعريض، تح: عائشة حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 1998.

42. ابن هشام، السيرة النبوية، تح: جودة محمد جودة، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 2006.

43. أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي، ط2.

44. أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983.

ثانيا: المراجع.

1. إبراهيم محمد عبد الله الخولي، التعريض في القرآن الكريم، دار البصائر، القاهرة، ط1، 2004.

2. أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مارس، 2005.

3. أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده للنشر بمصر، ط1، 1946 .

4. أحمد فتحي رمضان الحياني، الكناية في القرآن الكريم موضوعاتها ودلالاتها، دار غيداء للنشر والتوزيع عمان، ط 2014 .

5. أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1997.

6. الأزهر الزناد، دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء- بيروت، ط1، 1992.

7. بدوي طبانة، البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر، القاهرة، ط2، 1958.

8. برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1984.

9. بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1998.

10. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 2002.

11. بهجت عبد الواحد الشيخلي، بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز إعرابا وتفسيرا بإيجاز، مكتبة دنديس، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط1، 2001

12. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، د.ط.

13. عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1996.

14. السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، توثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.

15. السيد جعفر السيد باقر الحسيني، أساليب البيان في القرآن، مؤسسة بوستان كتاب، ط1، د.ت.

16. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، د.ط، د.ت.

17. ـــــــــ، في ظلال القرآن، دار الشروق للطبع والنشر، بيروت، ط32، 2003.

18. ـــــــــ، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1972.

19. ـــــــــ، مشاهد القيامة في القرآن الكريم، دار الشروق، بيروت، ط7، 1983.

20. شعبان محمد إسماعيل، المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، دار ابن حزم الأولى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009.

21. ـــــــــــــــ، مع القرآن الكريم . تاريخه، خصائصه، أحكامه، أسراره، قراءاته، آداب تلاوته، ناسخه ومنسوخه، دار الاتحاد العربي للطباعة، 1978.

22. صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ط1، 1995.

23. صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب– المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988.

24. ـــــــــــــــ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفاروق، عمان- الأردن، ط1، 2016.

25. عادل محمد صالح أبو العلا، خصائص السور والآيات المدنية ضوابطها ومقاصدها، مؤسسة علوم القرآن بيروت، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، د.ط، د.ت.

26. عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، ط7، د.ت.

27. عبد العزيز بن صالح العمار، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن دراسة بلاغية تحليلية، جائز دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 2007.

28. عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1985.

29. علي الجندي، فن التشبيه" بلاغة أدب . نقد"، مكتبة نهضة مصر، ط1، 1952.

30. عمر محمد عمر باحاذق، أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والاعجاز البياني، دار المأمون للتراث، دمشق-بيروت، ط1، 1994.

31. عبد الفتاح لاشين، ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1982.

32. ــــــــــــــ، ابن القيم وحسّه البلاغي في تفسير القرآن، دار الرائد العربي، بيروت . لبنان، ط1، 1982.

33. ــــــــــــــ، البيان في ضوء أساليب القرآن، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1992.

34. ــــــــــــــ، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، مصر، 1978.

35. فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط14، 2005.

36. عبد القادر حسين، القرآن والصورة البيانية، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1985.

37. محمد أبو موسى، التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1993.

38. ـــــــــــــــ، التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، مكتبة وهبة، ط3، 1993، القاهرة.

39. محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم البلاغة(البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس ـ لبنان، ط1، 2003.

40. محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف: بكر بن عبد الله بوزيد، دار علم الفوائد، د.ط، د.ت.

41. محمد الصالح الصديق، البيان في علوم القرآن، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1994.

42. محمد بدري عبد الجليل، المجاز وأثره في الدرس اللّغوي، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1975.

43. محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، ط2، 1419هـ-1999م.

44. محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1990.

45. محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2002.

46. محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، ط1، 2000، بيروت . لبنان.

47. ــــــــــــــــ، الصورة الفنية في المثل القرآني- دراسة نقدية وبلاغية-، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981.

48. ــــــــــــــــ، مجاز القرآن خصائصه الفنية وبلاغته العربية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط1، 1999.

49. ــــــــــــــــ، مجاز القرآن وخصائصه الفنية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1994.

50. محمد سالم محيسن وشعبان محمد إسماعيل، الهادي إلى تفسير غريب القرآن، دار الاتحاد العربي للطباعة، د.ط، د.ت.

51. محمد سعيد رمضان البوطي: من روائع القرآن الكريم. تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

52. محمد محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط3، 1987.

53. محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، دار الرشيد، دمشق . بيروت، ط3، 1995.

54. مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب متو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1998.

55. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط11، 2000.

56. نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصبل، دمشق، ط1، 1993.

57. يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، عمان الأهلية للنشر والتوزيع، 1997.

ثالثا: المعاجم والقواميس والموسوعات.

1. أحمد مصطفى متولي، الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن والسنة النبوية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2005.

2. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1987.

3. ــــــــــــ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان، ط2، 1996.

4. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2003 .

5. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، د.ط.

6. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط4، 1990.

7. لويس معلوف، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط19، د.ت.

8. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصّحاح، مكتبة لبنان، 1986.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة..... أ

الفصل الأول: البعد الدلالي للسور المكية والمدنية في الخطاب القرآني. 1

توطئة..... 2

أولا: دلالة المكي والمدني عند العلماء..... 7

ثانيا: الضوابط التي يعرف بها المكي والمدني..... 10

ثالثا: الخصائص الأسلوبية والموضوعية للسور المكية..... 20

1- الخصائص الأسلوبية للسور المكية..... 20

2- الخصائص الموضوعية للسور المكية..... 27

رابعا: الخصائص الموضوعية والأسلوبية للسور المدنية..... 46

أ- الخصائص الموضوعية..... 46

ب- الخصائص الأسلوبية..... 48

الفصل الثاني: أسلوب المجاز في النص القرآني المكي 51

المجاز لغة واصطلاحا 52

أولا: المجاز المرسل وعلاقاته..... 55

أ- ما يقوم على العلاقة الجزئية..... 55

ب- ما يقوم على العلاقة الكلية..... 57

ج- العلاقة السببية والمسببية..... 57

د- الحالية والمحلية..... 63

هـ- اعتبار ما كان..... 65

و- علاقة المجاورة..... 67

ز- علاقة المآلية والآلية..... 67

ثانيا: المجاز اللغوي الاستعاري..... 70

1- الاستعارة لغة واصطلاحا..... 70

2- أنواع الاستعارة..... 71

أ- الاستعارة التصريحية..... 71

ب- الاستعارة المكنية..... 84

ج- الاستعارة التمثيلية..... 96

الفصل الثالث: أسلوب التشبيه في النص القرآني. **107**

أولا: التشبيه لغة واصطلاحا..... 109

ثانيا: أنواع التشبيهات في السور المكية..... 113

1- **التشبيه المرسل**..... 114

2- **التشبيه البليغ**..... 127

3- **التشبيه المقلوب**..... 134

4- **التشبيه الضمني**..... 138

5- **التشبيه التمثيلي**..... 139

الفصل الرابع: الكناية وجوهر المعنى في الخطاب القرآني. **151**

أولا: الكناية لغة واصطلاحا..... 152

ثانيا: الظواهر الكنائية..... 156

1- **كناية عن صفة**..... 156

2- **كناية عن موصوف**..... 182

3- **كناية عن نسبة**..... 195

4- الكناية التعريضية..... 196

خاتمة..... 214

قائمة المصادر والمراجع..... 218

فهرس المحتويات..... 231

الملخص:

يتبيّن لنا من خلال الرسالة أنّ النّص القرآني موجّه لجميع النّاس على اختلاف معتقداتهم وتفاوت درجاتهم، ومدى تأثرهم بهذا المنبع والمصدر الأول لثقافتهم الدينية والعقلية والأدبية، ويظهر ذلك جليا في ألفاظ اللغة وأسلوبها، وفي فنون الآداب المختلفة من شعر ونثر. فالقرآن الكريم قلب خشونة الطباع عذوبة ولينا وسلاسة وقوة، وأورث العرب وضوحا في التفكير، ودقة في التعبير والتصوير، وروعة في الحجة، فهو يجمع بين العمق والمتانة مع السهولة واليسر بأسلوب تصويري يمتاز بالتشويق، وقوّة الإقناع ،وشدّة التأثير ،وحسن النّظم، وجودة السّبك، وما يختص به هذا أسلوب من رقة في الربط بين العبارات القرآنية بما فيها من الفصاحة والبلاغة، والحقيقة والمجاز، والتشبيه والاستعارة والكناية، ومن زينة لفظية، وحلية معنوية.

الكلمات المفتاحية: النص القرآني– أسلوب تصويري– الفصاحة والبلاغة– الحقيقة والمجاز– التشبيه والاستعارة والكناية.

Résumé:

Il est clair à travers le message que le texte coranique est adressé à tous les gens de croyances et de grades différents, et comment ils sont touchés par cette source et la première source de leur culture religieuse, mentale et littéraire, et cela est évident dans la langue et le style, et dans les arts de la littérature de poésie et de prose. Le Coran est le cœur de la rugosité de la nature du type douceur, douceur et puissance, et les Arabes ont hérité d'une pensée claire, d'une précision dans l'expression et de la photographie, et de la magnificence dans l'argumentation, il allie profondeur et durabilité avec facilité dans un style pictural caractérisé par le suspense et le pouvoir de persuasion et d'intensité Influence, de bons systèmes, la qualité du casting, et l'élégance connexe dans le lien des phrases coraniques, y compris l'éloquence et l'éloquence, la vérité et la métaphore, l'analogie, la métaphore et la métaphore, l'ornementation verbale et l'ornement moral.

Mots clés : le texte coranique- style pictural- l'éloquence et l'éloquence- la vérité et la métaphore- l'analogie, la métaphore et la métaphore.

Summary:

It is clear through the message that the Qur'anic text is addressed to all people of different beliefs and grades, and how they are affected by this source and the first source of their religious, mental and literary culture, and this is evident in the language and style, and in the arts of literature of poetry and prose. The Qur'an is the heart of the roughness of the nature of the type sweetness and softness and power, and the Arabs inherited a clear thinking, accuracy in expression and photography, and magnificence in the argument, it combines depth and durability with ease and ease in a pictorial style characterized by suspense and the power of persuasion and intensity Influence, good systems, quality of casting, and the related elegance in linking Qur'anic phrases, including eloquence and eloquence, truth and metaphor, analogy, metaphor and metaphor, verbal adornment, and moral ornament.

Keywords: the Qur'anic text- pictorial style- eloquence and eloquence - truth and metaphor- analogy- metaphor and metaphor,